وزارة الثقافة
مديرية إحياء ونشر التراث العربي
إحياء التراث العربي
(١٧٥)

سلسلة التراث العربي الإسلامي
في مجال الفكر التربوي
(٣)

الفكر التربوي عند ابن سينا

د. محمود عبد اللطيف

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة – دمشق ٢٠٠٩

مقدمة

في الواقع إن مواهب ابن سينا تلخصت في ذكائه النادر، وذاكرته القوية وعقله الخصب، والجلد المنقطع النظير على العمل. وقد بدت ملامح ذلك كله في العاشرة من عمره، ووصل إلى مرتبة النبوغ والتخصص قبل سن العشرين فأضحى حجة في الطب والفلك والرياضة، وإماماً في الفلسفة. عالج موضوع النفس في مؤلفاته بقدر ما عالج فيها موضوع الجسم. وخصص للنفس أهم الفصول في مؤلفاته بقدر ما عالج فيها موضوع الجسم. وخصص للنفس أهم الفصول في مؤلفاته الفلسفية، كما وإنه خصص لها رسائل كاملة وقصصاً رمزية: إن الفصل الذي عقده للنفس في (الشفاء) وفي مختصر «النجاة» وفي «الإشارات والتنبيهات» والرسائل العديدة التي بحث فيها موضوع النفس وهي تقدر بحوالي ثلاثين رسالة. رسالة السياسة التي أودع فيها ابن سينا آراءه التربوية. وتتكون رسالته من خمسة فصول هي: سياسة الرجل نفسه، سياسة الرجل دخله وخرجه، سياسة الرجل أهله، سياسة الرجل ولده، وسياسة الرجل خدمه، وقد ضمن آراءه التربوية في الفصل الرابع وهو سياسة الرجل ولده، تناول فيه تربية الولد من مولده حتى خروجه إلى ميدان العمل والكسب، فأشار إلى أهم ما يأخذ به الناشئ من أنواع التربية الجسمية والخلقية والعقلية. وهو يرى أن الغاية من التربية هي العمل، واستثمار المعارف في الكسب والارتزاق، ليتذوق الناشئ حلاوة الكسب بالبضاعة، ويعتاد طلب المعيشة بالجد.

ويمكننا أن نعتبر هذا الكتاب (**الجزء الثالث من سلسلة التراث العربي الإسلامي** في مجال **الفكر التربوي عند ابن سينا**) إنه يتضمن أهم محددات الفكر التربوي عند الشيخ الرئيس في مؤلفاته الفلسفية، والرسائل والقصص الكاملة، التي بحث فيها مكونات الفكر التربوي النفسي وإبراز المضامين التي ينطوي عليها هذا الفكر من إبداع فكري أسهم في تكوين العقل العربي الخلاق الذي يمكن استثماره للارتقاء بتربية الفرد.

لقد أضحى ابن سينا حجة في الطب والفلك والرياضيات، وإماماً في الفلسفة، ورغب الملوك والأمراء في أن ينضم إلى حضرتهم وينخرط في سلك بلاطهم، وتوج ذلك كله بإنتاج متنوع غزير قلَّ أن يتوفر لرجل مثله لاقى ما لاقى من عنت واضطراب، فخلف لنا ما يزيد على مائتي مؤلف بين طويل ومتوسط ومختصر.

واتسم الشيخ الرئيس بنزعة إنسانية أجازت لنا نعته بالانتماء إلى ضرب من عمل تنوير تربوي أصيل يوضح تعمق مزاياه إمكانات مشاركته العربية الإسلامية في خصائص الحضارة الإنسانية النابعة عبر العصور وفي مختلف الثقافات القومية والمحلية، فهو يتمتع بعبقرية فذة وذكاء خارق، وقد استقى نظريته التربوية والاجتماعية والسياسية مما كان يتمثل أمام ناظريه من مشاهد فساد الخلافة العباسية.

وقدم ابن سينا للتربية العربية الإسلامية آراء جديدة تمثلت بتربية الطفل في دور الرضاعة، والتربية الخلقية بعد الرضاع، والتربية العقلية. وأكد ضرورة الأخذ بمبادئ هذه التربية متى اشتدت مفاصل الصبى واستوى لسانه ووعى سمعه، وتهيأ للتلقين، كل مافيه من مكارم الأخلاق.

ولابن سينا إسهامات واسعة في شتى حقول التربية الدينية والأخلاقية، والاجتماعية والعقلية والجسمية والجمالية، وله آراء فلسفية وتربوية هامة يجب عدم إغفالها لما لها من أهمية في حياة الفرد والإنسانية.

إن الدراسات التربوية الحديثة تناولت سمات التربية العربية الإسلامية وأبعادها إلا أن عملية الربط بين ماضي هذه التربية وحاضرها كانت ضعيفة، إذ لم تحاول أن تفيد من نتائج البحوث في ترشيد الواقع التربوي الحالي ودفعه إلى الأمام.

فالتراث العربي التربوي أصيل في أساسياته ومنطلقاته فهو تجريبي واقعي في وسائله وأساليبه، وفي فكره وأعماله، فهو بيان وتربية، وهو مسؤولية علمية وعملية في بناء الذات الإنسانية لتأصيل التراث التربوي والإفادة من قواعده في صياغة النفس فكراً وسلوكاً وتواصلاً.

ولا يفوتني أن أوجه شكري وتقديري إلى العلامة الكبير الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد لرعايته وتوجيهاته المفيدة في إعداد سلسلة التراث العربي الإسلامي في مجال الفكر التربوي عند الجاحظ، والفارابي، وابن سينا، فله كل الشكر والتقدير راجياً الله أن يمده بالصحة والعافية.

كما أوجّه الشكر والتقدير للدكتور علي القيّم معاون وزير الثقافة، لاهتمامه وتشجيعه على نشر وإحياء التراث العربي الإسلامي لتحقيق عملية التواصل الفعال بين الماضي والحاضر في جميع الميادين.

إن غنى التراث العربي الإسلامي بأعلام التربية ومؤلفاتهم الضخمة وفي طليعتهم الشيخ الرئيس **(**ابن سينا**)** مكننا أن نتعرض في دراستنا هذه إلى مسيرته الثقافية والتربوية والإحاطة بجميع ما وضعه في مجال الفكر التربوي العربي الإسلامي على تنوع أغراضه ومواضعه.

أسأل الله حسن القصد والتوفيق وهو خير وأبقى وأن يكون هذا السفر بعد جهد طويل ثمرة من ثمرات ابن سينا وإسهاماً في التراث بشخص أحد كبار أعلامه.

المؤلف

د. محمود عبد اللطيف

الباب الأول

محددات الاتجاه التربوي عند ابن سينا

الفصل الأول: مسيرة ابن سينا الثقافية والتربوية

الفصل الثاني: أهمية الفترة التي عاش فيها ابن سينا

الفصل الثالث: أثر ابن سينا العلمي والتربوي في القرن العشرين

الفصل الرابع: المنهج العلمي التربوي عند ابن سينا

الفصل الخامس: الازدهار العلمي والحضاري والثقافي في القرن الرابع الهجري

الفصل الأول

مسيرة ابن سينا الثقافية والتربوية

١- حياة ابن سينا

٢- ذكاؤه وفطنته

٣- طفولته

٤- بيئته التربوية

٥- ثقافته

٦- أساتذته

٧- تلامذته

٨- آثار ابن سينا العلمية والتربوية

٩- مؤلفاته

مسيرة ابن سينا الثقافية والتربوية

مقدمة

كان ابن سينا مفكراً عالمياً ارتفع عن حدود الزمان والمكان، وامتاز بذاكرته القوية وجلده المنقطع النظير على العمل، وقد بدت ملامح ذلك كله في سن مبكرة أكمل ثقافته اللغوية والدينية والعقلية. ولم يجاوز العاشرة من عمره، ووصل إلى مرحلة النبوغ وهو في سن العشرين، فهو أول فيلسوف عربي ترك لنا من لفظه شيئاً عن سيرته ووصف حاله، كان شديد الارتباط بموطنه الأصلي، بذل جهداً كبيراً لتلقي العلم والمعرفة بين مختلف الاتجاهات، فهو من الأوائل الذين وصفوا حياتهم في جميع مراحلها، فقال عنه ابن أبي أصيبعه: كان أشهر من أن يذكر، وفضائله أظهر من أن تسطر لم يتفرغ للعلم والتعليم، بل انخرط في الحياة السياسية وتقرب إلى سلاطين زمانه، قضى فترة طويلة في صحبة الملوك والأمراء ومجالستهم، وامتاز بغزارة نتاجه وابتكاره وقدرته الخارقة التي لاتحد في سرعة التأليف مع التجويد والإتقان والخصائص المتميزة على بناء الإنسان الممتاز.

فهو ينظر إلى الإنسان بجميع جوانبه ومراحل حياته لتحقيق التوازن بين جميع طاقات الإنسان لاستغلالها بشكل حسن في مجال التربية الإسلامية التي تستوعب سلوك الإنسان في جميع قضايا حياته.

إن مسيرة ابن سينا الثقافية والتربوية إنسانية واسعة الأفق لاتخشى الأخذ عن الغير مادامت تؤمن بنفسها، كما لاتخشى أن يؤخذ عنها فتستفيد وتفيد، تظهر فيها أصالته وآراؤه الثقافية والتربوية والفلسفية في جميع المجالات.

أولاً: حياة ابن سينا

ابن سينا هو أبو علي الحسين ابن عبد الله الملقب بالشيخ الرئيس ولد سنة ٣٧٠هـ – ٩٨٠ ميلادية في قرية أفشنه قرب بخارى في تركستان أو ما يعرف حالياً بجمهورية أزبكستان وفي بيت له اشتغال بخدمة الدولة، رحل مع والده وهو صغير السن إلى مدينة بخارى حيث كانت تُعتبر كعبة العلماء وفيها تلقى ابن سينا علومه ومعارفه وألمَّ بالقرآنِ الكريمِ فحفظه ولم يتجاوز عمره عشر سنوات، وتابع دراسته في مجالات قواعد التربية الإسلامية من القرآن إلى التفسير والأدب واللغة والفقه والحساب والهندسة وجميع العلوم الرياضية، والمنطق والطب والكلام والفلسفة. وهي كما نلاحظ علوم متنوعة بعضها يرتبط بعالم السماء، وبعضها يربط بعالم الأرض، ولقد شهد منذ صغره تضارب الآراء وتنازع العقائد «لأنه نشأ في بيئة تميل إلى الحرية والتسامح».

كان ابن سينا في السابعة عشرة من عمره حينما أسعده الحظ بشفاء الأمير نوح ابن منصور الساماني الذي كان يعاني من مرض عضال، وحينما أذن له هذا الأمير بالدخول إلى دار كتبه أقبل ابن سينا على قراءة ما تحتويه من كتب نادرة ولقد تمكن باطلاعه على مكتبة نوح بن منصور أن يلمّ بكثير من العلوم وهو في ريعان صباه، مما أدى إلى كثرة تأليفه، وقيل: إنه كان يكتب يومياً خمسين ورقة كمعدل وسطي، دون الرجوع إلى أي مصدر، «وحينما احترقت مكتبة نوح ابن منصور قيل: إن ابن سينا هو الذي أحرقها كي لا يطلع أحد غيره على ما تشتمل عليه من نفائس الكتب» (فخري رشيد خضر، بدون تاريخ تطور الفكر التربوي).

روي أنه كان كثير التنقل في حياته بين مدن جرجان وهمذان وأصفهان، واستقر في همذان فترة من الوقت حيث عمل وزيراً لشمس الدولة أبي طاهر الديلمي غير أن جنود شمس الدولة ثاروا على ابن سينا ونهبوا داره وقبضوا عليه فنفاه شمس الدولة إرضاء لهم ولكنه ما لبث أن أعاده إليه. وبعد عودته أصيب بمرض معوي مؤلم، وجرت محاولات كثيرة من قبل الأطباء لمعالجته ولم يكتب لهم النجاح في شفائه فحقن نفسه في يوم واحد ثماني مرات حتى تقرَّحت أمعاؤه، وعندما أحس بدنو الأجل استسلم للقضاء ووزع ماله على الفقراء وأهمل مداواة

نفسه وفارق الحياة عن عمر يناهز السابعة والخمسين فدفن في همذان تحت السور من جانب القبلة، وقال المؤرخون: إن قبر الشيخ الرئيس معروف هناك لدى عامة الناس. وفي حديث لابن سينا وهو يترجم سيرته الذاتية التي رواها تلميذه أبو عبيدة الجوزجاني[١] حديث نشأته فيقول: «إن أبي كان رجلاً من أهل (بلخ)[٢] وانتقل إلى (بخارى)[٣] في أيام (نوح بن منصور)[٤] واشتغل بالتصرف وتولى العمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها: (خرميشن)[٥] من ضياع بخارى وهي من أمهات القرى، وبقربها قرية يقال لها: أفشنة[٦] وتزوج أبي منها بوالدتي، وقطن بها وسكنها وولدت له بها، وولد أخي ثم انتقلنا إلى بخارى[٧]، وأحضرت معلم القرآن، ومعلم الأدب، وأكملت العشر من العمر، وقد أتعبت على القرآن، وعلى كثير من الأدب، حتى كان يقضي مني العجب...»[٨].

وفي الكلمة التي ألقاها الدكتور شاكر الفحام في رحاب جامعة دمشق احتفاء بذكرى مولد ابن سينا الألفية ١٩٨٠م يقول: «وعلى هذا النمط من البيان مضى الشيخ الرئيس يقصّ بكلماته السهلة العذبة لا تزويق فيها ولا تهويل، مسيرة حياته، والعلوم التي ثقفها، وأحكم دراستها في صباه وصدّر شبابه، ليذكر من بعدُ الكتب التي ألّفها، والمدن التي تنقل فيها»(شاكر الفحام، ١٩٨٠، في ذكرى ابن سينا الألفية).

لقد كان الشيخ الرئيس مؤلفاً كثير الإنتاج، وقد شملت كتاباته موضوعات الفلسفة والتربية والتصوف والفلك والموسيقى والطب والكيمياء واللغة والشعر.

ومن أشهر كتبه التي خلفها لنا كتاب «الشفاء» في الطبيعة والإلهيات وغيرها، وكتاب (القانون) في الطب وكتاب (السياسة) في التربية.

ومن هنا نستطيع القول: إن ابن سينا كان متوقد الذكاء، امتاز بمواهبه الفذة، وعبقريته الأهابة في تعلم القرآن والأدب وهو ابن عشر سنين وتعلم حساب الهند، واشتغل بالفقه وتردد على إسماعيل الزاهد، حتى ألف طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على المجيب على الوجه الذي جرت عادة القوم به». ثم ابتدأ كتاب إيساغوجي على الناتلي (أبو عبد الله الناتلي، بدون تاريخ، حكماء الإسلام)[٩]، وأحكم المنطق، وكتاب أقليدس(أبو عبد الله الناتلي، بدون تاريخ، حكماء الإسلام)، وانتقل إلى المجسطي، قرأها جميعاً على نفسه، وفهمها، واستمّر على طريقته يعلّم نفسه ويثقفها، يقول: (وصارت أبواب العلوم تتفتح عليَّ، ثم رغبت في علم الطب، وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه، وعلم الطب ليس من الأمور الصعبة، فلا جرم أنني برّزت فيه في أقلّ مدة... وتعهدت

---

(١) جوزجان: اسم كورة واسعة من كوربلخ بخراسان، وهي بين مرو الروز وبلخ (معجم البلدان) وتقع اليوم في شمالي جمهورية أفغانستان.

(٢) بلخ: مدينة مشهورة من أجلّ مدن خراسان، وأذكرها، وأكثرها خيراً، وأوسعها غلة (معجم البلدان) وهي اليوم في شمالي جمهورية أفغانستان.

(٣) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، وكانت قاعدة ملك السامانية (معجم البلدان) وهي اليوم في جمهورية أوزبكستان.

(٤) أبو القاسم نوح بن منصور من أمراء السامانية، تولى الإمارة على خراسان وما وراء النهر اثنتين وعشرين سنة.

(٥) خِرْميشن . بفتح أوله وتسكين ثانيه وهي من قرى بخارى (معجم البلدان).

(٦) أفْشنة: بفتح الهمزة وسكون الفاء والشين معجمة مفتوحة، وهي من قرى بخارى (معجم البلدان).

(٧) بخارى: نسب ياقوت الحمدي ابن سينا إلى بخارى، وعده من أكابر من أنجبته من علمائها (معجم البلدان بخارى)، وقد سلك مسلكه عدة مؤلفين ترجموا لابن سينا ويقول الذهبي يترجم ابن سينا «أصله بلخي، ومولده ببخار

(٨) تاريخ الحكماء للقفطي: ٤١٣ عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي، والوافي بالوفيات للصفدي ط ١٢/١٩٧٩: ٣٩١.

(٩) هو أبو عبد الله الناتلي (تاريخ حكماء الإسلام) والناتلي: نسبة إلى ناتله، ويقال: ناتل، مدينة بطبرستان (معجم البلدان).

المرضى، فانفتح عليّ من أبواب المعالجات من التجربة ما لا يوصف»(الناتلي أبو عبد الله، بدون تاريخ، حكماء الإسلام)، إن طريقة ابن سينا في التعلم الذاتي تعتمد على الجهود الذاتية لتعزيز ذاتيته الفكرية والمعرفية، والحقيقة أن ما نسميه، ونقرؤه لا يصبح ملكاً لنا إلا من خلال التفكير فيه؛ فبالتفكير وحده يمكن أن نصفي مما قرأنا ما يدعم رؤيتنا المعرفية، أو يعدّلها، أو يضيف إليها، وبذلك كان ابن سينا يتبع أسلوب الحوار والمناظرة، فهو يرى أن الأفكار في لحظة إنتاجها أو استقبالها، يكون لها وهج ورهبه، ولها وقع في النفس، وتوضح موضع التمحيص على محكات الجدل، وذاك هو طريق نضجها واكتمالها.

وهكذا كان الشيخ الرئيس يدرس بجد، لا ينام ليلة بطولها، ولا يشتغل في النهار بغير العلم، (ويصلي إذا ما أغلق عليه عسير، ومن أعسر ما لقي في درسه فهم الهبات لأرسطو فقد حفظها ولم يفهمها، وصدف أن قرأ كتاب الفارابي في أغراض ذلك الكتاب، ففهمه وتصدق على الفقراء شكراً لله»(يوحنا قمير،١٩٨٢، – فلاسفة العرب – ابن سينا).

ثانياً: ذكاؤه وفطنته

وهذا ما أدى إلى لفت الأنظار إليه منذ عهد مبكر، حتى إن الناتلي نفسه نصح والده ألا يشغله بغير العلم، وهذا ما اتبعه، فلم يعرف طعم الراحة، حتى أحكم علم المنطق والعلم الطبيعي والعلم الرياضي، وإنه ليقول قول الواثق مما يذهب إليه: «وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم أزد فيه إلى اليوم» (ابن أبي أصيبعة، بدون تاريخ، عيون الأنباء) ورحل ابن سينا عن بخارى بعد موت والده، وهو في الثامنة عشرة من عمره، وأخذ يبحث عن أمير يقدره، فلم يوفق، وانتهى به المطاف إلى شمس الدولة، أمير همذان، فيشفيه من مرض، ويصبح وزيره، وكان في ظله يقوم بأعباء الوزارة نهاراً، ويقبل على العلم والشراب ليلاً»(يوحنا قمير، ١٩٨٥، فلاسفة العرب – ابن سينا). ثم انتقل ابن سينا بعد موت شمس الدولة إلى علاء الدولة أمير أصفهان، وهناك تابع التأليف والقراءة واهتم بالعلوم اللغوية والمعرفية بشكل خاص إلى أن مات في أصفهان.

ويروى في مسألة نشأته وما يتصل بأسرته ثقافياً وعلمياً وتربوياً ومكانته بين رجال العلم والفكر «إنه أول فيلسوف عربي ترك لنا من لفظه شيئاً عن سيرته ووصف حاله» (جميل صليبا: ١٩٣٧، ابن سينا) وإن ما كتبه المترجمون والمؤرخون عن سيرته « يعتبر المصدر الرئيس لترجمته الذاتية، فقد نقلوا عنها ولم يضيفوا إليها جديداً»(محمد عبد الغني حسن: ١٩٥٢ «ابن سينا عند قدماء المترجمين والمؤرخين، مجلة الثقافة)، فقد جمع في حياته بين كثير من المتناقضات بسبب إقبال الناس عليه، نظراً لتفوقه من جهة وللبيئة المضطربة التي عاش بها من جهة أخرى، فقد كان يجمع بين الضجيج السياسي وسكينة الفيلسوف، وبين الإقبال على الأهواء والشهوات والإقبال على البحث والتأمل»(عادل عوا، بدون تاريخ، الثقافة الفلسفية، ابن سينا).

لقد كان الشيخ الرئيس متفائلاً في جميع مراحل حياته يعتقد أن العالم الذي نعيش فيه أحسن العوالم الممكنة وكان شديد الارتباط بموطنه الأصلي، فهو لم يغادر موطنه مرة واحدة رغم اضطراب حياته فيها، وهو بذلك يخالف الفارابي «الذي كان يجول البلاد دون التقيد بأي رابطة طبيعية أو اجتماعية» (محمود عبد اللطيف، ٢٠٠٤، الفكر التربوي عند الجاحظ). ويتضح لنا من دراسة ابن سينا أنه منذ صغره كان يبذل جهداً كبيراً لتلقي العلم والمعرفة بين مختلف الاتجاهات، وقد تكونت لديه الرغبة في الحصول خاصة على العلوم الفلسفية والهندسية، وكان والده يؤمن له كل المقومات التي تسهم في اكتسابه وحصوله على المعرفة والفكر، وقيل: إن

والده أرسله إلى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند وهو (محمود المساح) الذي وصفه البيهقي[١] بقوله: «وكان عالماً في الحساب والجبر والمقابلة». ثم أنزله عند الناتلي ليتعلم منه المباحث العقلية، واستطاع الناتلي أن يصرفه عن الاشتغال بالفقه والتصوف إلى العلوم العقلية والمباحث الفلسفية.

ولما توفي أبو علي الحسين بن عبد الله الملقب بالشيخ الرئيس سنة ١٠٣٧م كان يعدُّ وقتئذ أحد عباقرة الفلسفة في الإسلام، وفي الطب وضع في مصاف جالينوس حيث أطلق عليه لقب جالينوس الإسلام، وبسبب شهرته الواسعة فقد تسابق للاحتفال بذكراه عدة شعوب، والأتراك هم أول من احتفلوا بذكراه، عندما أقاموا عام ١٩٣٧ مهرجاناً ضخماً بمناسبة مرور تسعمئة سنةٍ على وفاته. ثم حذا حذوهم العرب والفرس حيث أقيم مهرجانان للاحتفال به في كل من بغداد عام ١٩٥٢ وفي طهران عام ١٩٥٤. وفي عام ١٩٧٨ دعت منظمة اليونسكو كلَّ أعضائها للمشاركة في احتفال إحياء ذكرى مرور ألف عام على ولادة ابن سينا وذلك اعترافاً بمساهماته في مجالي الفلسفة والطب، وبالفعل فقد استجاب كل أعضاء المنظمة وشاركوا في الاحتفال الذي أقيمَ عام ١٩٨٠ في دمشق.

إن حياة ابن سينا كلها دروس وعبر، فهو من الأوائل الذين وصفوا حياتهم في جميع مراحلها، وهذا ما ذكره ابن أبي أصيبعة في افتتاحية مقالته عن ابن سينا بقوله (ابن أبي أصيبعة، ١٩٦٧، عيون الأنباء في طبقات الأطباء): «الشيخ الرئيس ابن سينا هو أبو علي: الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا وهو، وإن كان أشهر من أن يذكر، وفضائله أظهر من أن تسطر، فإنه قد ذكر من أحواله، ووصف من سيرته ما يغني غيره عن وصفه، ولذلك إننا نقتصر من ذلك على ما قد ذكره هو عن نفسه» ونقله عنه أبو عبيد الجوزجاني. ومن ثم يعرض ابن أبي أصيبعة ما قاله ابن سينا عن نفسه ما قال الشيخ الرئيس:... الخ. ويتابع الجوزجاني[٢] تلميذ ابن سينا الحديث عن حياة أستاذه فيقول: اتصل ابن سينا بالأمير شمس الدولة الذي أصابه القولنج فعالجه ابن سينا حتى شفاه الله ثم قال: (ابن أبي أصيبعة، ١٩٦٧، عيون الأنباء في طبقات الأطباء) « ثم سألوه تقلد الوزارة فتقلدها، ثم اتفق تشويش العسكر عليه، وإشغالهم منه على أنفسهم، فكسبوا داره وأخذوه إلى الحبس وأغاروا على محتوياته وأخذوا جميع ما كان بملكه، وسألوا الأمير قتله فامتنع، وعدل إلى نفيه عن الدولة طلباً لمرضاتهم، فتوارى الشيخ في دار الشيخ «أبي سيد بن دخدرك» أربعين يوماً، فعاود الأمير «شمس الدولة» القولنج، وطلب الشيخ، فحضر مجلسه، فاعتذر الأمير إليه بكل الاعتذار، فاشتغل بمعالجته، وأقام عنده مكرماً مبجلاً وأعيدت الوزارة إليه ثانية». هكذا كانت حياة ابن سينا وما فيها من مشاكل أحياناً ومشاغل أحياناً أخرى، وهذا ما اعتاد عليه في معظم مراحل حياته بين الوزارة والسجن، ومع هذا وذاك استمر في التدريس والتأليف كما سنرى عند دراستنا للجوانب التربوية عنده.

فقد ابن سينا أباه وهو في الثانية والعشرين من عمره (البيهقي، بدون تاريخ، تاريخ حكماء الإسلام). وهذا ما اضطره إلى ترك بخارى في رحلات متقطعة بين مكان وآخر، ما يعنينا من ذلك أن ابن سينا قد خالف سنةَ أسلافه الحكماء، فهو لم يقتصر على الدرس والمطالعة، ولم يتفرغ للعلم والتعليم، بل انخرط في الحياة السياسية وتقرّب إلى سلاطين زمانه، وولي الوزارة مرة بعد مرة، ودفع ضريبة ذلك تخفياً حيناً، وفراراً حيناً، وسجناً حيناً، وكان يتطلع إلى السلطة ليتراوح بين النظر والعمل، بين المثل العليا والواقع، ليجعل معرفته في خدمة مجتمعه

W. marteometg. Watt Isamie plilosokg and the ology edivburrgh, the vriverity. (١) 1962. p. 96.

(١) الجوزجاني: تركيب فارسي بمعنى (قاطف الجوز) وهي صفة معروفة عند المزارعين.

بدل أن تظل حبيسة الكتب، مهما يكن فقد كان تلاميذ الشيخ الرئيس ومحبوه في قلق كبير بسبب المشكلات التي حالت بينه وبين التفرغ للعلم والإفادة منه.

والحق أن ابن سينا قضى شطراً طيباً من حياته في صحبة الملوك والأمراء ومجالستهم، وقد امتاز بغزارة نتاجه، وإحاطته، وابتكاره، وقدرته الفائقة التي لا تحد في سرعة التأليف مع التجويد والإتقان.

عاش حياته في البحث والتأمل، وكان متفائلاً في جميع مراحل حياته السياسية والفلسفية، كما كان شديد الارتباط بموطنه الأصلي وبقي هكذا حتى وفاته وعلى فمه ابتسامة الرضا في شهر رمضان من عام ٤٢٨هـ وقد تردَّى الثامنة والخمسين من عمره، وضمّه ثرى همذان ضنيناً به، حريصاً عليه، منارة هادية من منارات الحضارة العربية العريقة»(ابن أبي أصيبعة، بدون تاريخ، عيون الأنباء).

إنّ حياة ابن سينا جمعت الشتيت المتباين من الأوضاع، وضمت صنوفاً مختلفة من الحالات، فهو لم يكن فيلسوفاً فحسب، بل كان رجل سياسة تقلّد الوزارة وصاحب الأمراء، وهدد بالقتل والسجن والدمار، حيث كان له صنفان من الناس، فئة تحبه، وأخرى تبغضه، « نازع مبغضيه، وخرج أحياناً على محبيه. وبقي طوال حياته قوي الأمل شديد العزم، لأنه كان يريد حياته أن تكون عريضة قصيرة، ولا يحبها ضيقة طويلة، وكان له ما أراد!» (جعفر آل ياسين، ١٩٨٤، حياة ابن سينا وفكرة الفلسفي).

والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه هل كان ابن سينا راضياً من الأعماق بأوضاع حياته حلوها ومرّها؟

ويأتي الجواب منه فيقول في كتاب المباحثات: «لقد أنشب القدر في مخاليب الغير، فما أدري كيف أتملص وأتخلص، لقد دُفعتُ إلى أعمال لستُ من رجالها، وقد انسلخت عن العلم، فكأنما ألحظه من وراء سجنٍ ثخين!، مع شكري لله تعالى، فإنه على الأحوال المختلفة، والأحوال المتضاعفة، والأسفار المتداخلة، والأطوار المتناقضة، «لايخليني من وميضٍ يحيي قلبي، ويثبت قدمي، إياه أحمد على ما ينفع ويضر، ويسوء ويسر» وهذا يمثل التواضع الجم، والكبرياء الأشم طوال مراحل حياته، ويرسم ابن سينا السبيل الموصل إلى فهم الوضع الحياتي الذي مر به، وسيرة حياته التي أملاها بنفسه من حيث تواضعه فهو يقول في كتابه المباحثات: «... إن معلوم البشر متناهٍ، وأنا فيما اجتهدت قد علمت كثير أشياء معرفة قد حققتها لا مزيد عليها؛ إلا أنها قليلة، والذي أجهله لا أهتدي سبيله كثير جداً، لكنني قد يئست أن يتجدد لي علمٌ بما أجهله لم يظفرني به البحث الجاد الذي توليته وأنا مسلم إلى طلب أن الحق لا تعارض يده فيه يد... وإذا ثبت لي فكرٌ ما استقصيته بالسعي الأول؛ أقنعت به، لكنني مع هذا كله لله حامد، فقد وهب لي يقيناً لا يزول بالأصول التي لابد منها لطالب النجاة، ومجالاً فيما بعد ذلك غير ضيّق، ومعرفة بما لا أعرفه، بالغة».

وهناك أمثلة كثيرة تدل على تواضعه منها رسالته إلى علماء بغداد «يسألهم فيها الإنصاف بينه وبين رجل يتكلم في الحكمة مدعياً أن ما يقوله هو من آراء حكماء دار السلام» (محمود قاسم،١٩٦٩، السماء والعالم والكون والفساد). ويتضح من رسالته ثقته بنفسه، وإيمانه بقدراته الفكرية، ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن ابن سينا كان شديد الاعتزاز بمعرفته وبعلومه ومهاراته، وبالإنجازات العلمية التي حققها لخدمة الإنسانية جمعاء في جميع الحالات، وهذا ما هدفه وعمل على تحقيقه وبذلك يقول: « ما أنا تعلمت العلم للتسوق، وما أنا ممن أوطأت نفسي عشوة فيما أحسب أنني أحسنه، بل اجتهدت وبلغت، فلا يرد على مناقض ولو نزل من السماء، ولا يهجس في بالي أنّ الشيء الذي أتيته عرضة لنقد أو إبطال أو فساد، وإن اجتمع عليّ كل فان وحي! وما لا أعلم فلا أدعيه، واعلم أنّ المستعز باليقين لا يذعره شيء، وإن هال أصحاب الظنون».

والذي يظهر لي أن ابن سينا كان دقيقاً في معرفته للعالم الذي لا ينجلي إلا بطول النظر وإعمال الفكر فيما يمكن أن ينصف عبقري كالأستاذ الرئيس نفسه أمام الناس وأمام التاريخ!.

وتجدر الإشارة إلى أنه لابد من النظر إلى التراث على أنه حياة لا موت، وحركة لا جمود، فهو عبارة عن مجموعة من المثل والقيم والأعمال والمضامين والأشكال نشأت من الماضي القديم وشقت طريقها إلى الماضي الحديث، وسافرت إلينا عبر القرون لتكوّن خلفيتنا وحالنا وكثيراً من مستقبلنا» (ابن أصيبعة١٢٣٩، عيون الأنباء القاصرة).

والتراث بهذا المعنى ليس مرحلة تاريخية بعينها، ولكنه جماع التاريخ المادي والمعنوي للأمة منذ أقدم العصور إلى الآن، يرى الدكتور غالي شكري في كتابه «التراث والثورة» أن الفكر العربي المعاصر نظر إلى تراثنا نظرة جزئية من ناحية وتعميمية من ناحية أخرى « يرى أن النظرة جزئية لأنها حددت مولد تراثنا بالفتوحات العربية، وأصبح الإسلام وحده هو كل تراثنا، وهي نظرة تعميمية لأنها لم تركز على فترة الازدهار العظيم الذي عرفته الحضارة الإسلامية، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت النظرة شكلية أيضاً لم تؤثر إيجابياً باستلهام التراث» (محمود أحمد السيد،١٩٨١، في قضايا التربية المعاصرة). كما يرى أن تراثنا أغنى من أن يحد بمرحلة حضارية واحدة، فمن بابل وآشور، ومن الفراعنة والبابليين، وغيرهم من بناة الحضارات القديمة، ومن الديانات السماوية وغيرها من الرسالات الروحية والاجتماعية والفكرية الكبرى ينحدر إلينا تراث ضخم لم يلق ما هو جدير به، وما هو جدير بنا من تمحيص وتحقيق قبل الرفض والقبول إبان يقظتنا القومية والفرز والتبويب والتصنيف والتوثيق من المهام الأولية الواجبة، على أن تتلوها مباشرة عملية التقويم التحليلي الأمين البعيد عن الأهواء العارضة، وأخيراً تجيء عملية من أقدس الواجبات وهي ترشح أكثر عناصر التراث قدرة على الإسهام في تغيير واقعنا باستخدام المنهج العلمي في التفكير وهذا ما نأخذ به من تراث الأقدمين ما نستطيع تطبيقه تطبيقاً عملياً في جميع المجالات.

ثالثاً: طفولة ابن سينا

ولد الشيخ الرئيس ابن سينا عام ٣٧٠هـ في قرية أفشنة ويقول نفسه: تزوج أبي منها (أفشنه) بوالدتي وقطن فيها وسكن، وولدت منها بها ثم ولدت أخي ثم انتقلنا إلى بخارى «وهي مدينة من بلاد ما وراء النهر فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٩٠هـ وكانت قاعدة الدولة السامانية التي ظهرت فيما وراء النهر سنة ٨٧٤هـ» أما والده فهو من أهل بلخ، وانتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور وعمل في وظيفة إدارية، وهي تقابل وظيفة الوالي أو مدير الناحية أو عامل الإقليم، في قرية يقال لها «خرمثين» من ضياع بخارى، وهي من أمهات القرى، وبقربها قرية يقال لها «أفشنة» التي ولد بها ابن سينا.

والذي يظهر أن والد ابن سينا عبد الله بن علي كان من الموظفين الكبار في عهد نوح بن منصور وهو فارسي من أهل بلخ... التي تقع الآن في أفغانستان – أما والدته فهي من قرية خرمتين – التي تقع في بخارى وهي اليوم في منطقة أوزبكستان الروسية – ثم انتقلت وظيفة والده إلى بخارى قاعدة الدولة السامانية حتى يتيح لولديه فرصاً أكبر من العلم والتعليم.

ويحضر الوالد لابن سينا معلم القرآن ومعلم الأدب فيقبل ابن سينا على معلميه، وروي عن ابن سينا قوله: «وأحضرت معلم القرآن، ومعلم الأدب، وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن، وعلى كثير من الأدب حتى كان يقضي مني العجب» (محمد خير عرقسوسي، ١٩٨٢ ابن سينا والنفس الإنسانية).

والحق أن ابن سينا نضج فكره الوقاد وهو بعد لم يتجاوز العقد الثاني من حياته، وكان يكمل وحده درس الطبيعيات والإلهيات، ثم تعلم الطب، وعالج المرضى، وتعلم أوائل المنطق والهندسة والفلك.

كل هذا يدلنا أنه كان يدرس بجد، لا ينام ليلة بطولها، ولا يشتغل في النهار بغير العلم إلى أن جمع بين العلم والسياسة يعد أن أصبح وزيراً.

وواضح أن ابن سينا في المرحلة الأولى من حياته التعليمية بدأ بتعلم القرآن من أول يوم بدأ فيه الدراسة، ومع القرآن تعلم الأدب «وهو بلا شك أدب يتصل بالقرآن الكريم وبالتعاليم، الإسلامية».

وقد رسم ابن سينا لوحة سريعة تضمنت خطوات تعليمه في المرحلة الأولى من حياته في قرية بخارى وهي يومئذ كعبة العلماء حيث كان والده يبعث بولده (ابن سينا) إلى معلم القرآن ومعلم الأدب، وروي أنه لم يكن تلميذاً عادياً يكتفي بالحفظ عن ظهر قلب، بل كان ذكاؤه يظهر من حين لآخر في فهم معاني القرآن الكريم، ويستظهر كتاب الله الكريم استظهاراً تاماً مجوَّداً مرتلاً، ثم درس قواعد التربية الإسلامية والرياضيات والفلسفة والفقه والنحو والبلاغة والمنطق والطبيعة.

وإذا تتبعنا مسيرة الشيخ الرئيس في طفولته نرى أنه أكبّ على دراسة الطب فبرع فيه براعة منقطعة النظير لكنه لم يتخذه وسيلة إلى الكسب وجمع المال، والذي يستعرض براعة ابن سينا في الطب وفي العلوم الأخرى يرى أنه كان موسوعياً كثير الإنتاج، وقد شملت كتاباته جميع الجوانب العلمية والمعرفية، وقد عرف بميله الغريزي للمطالعة والتنقيب في الكتب.

ويظهر لنا شغفه بالمطالعة من القصة التالية حيث قال: «وكان سلطان بخارى في ذلك الوقت، نوح بن منصور، واتفق له مرض تلجلج الأطباء فيه، وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة فأجروا ذكري بين يديه، وسألوه إحضاري، فحضرت وشاركتهم في مداواته، وتوسمت بخدمته، فسألته يوماً الإذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب، فأذن لي، فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض، في بيت منها كتب العربية والشعر وفي آخر الفقه، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد، فطالعت فهرست كتب الأوائل، وطلبت ما احتجت إليه منها. ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط، وما كنت رأيته من قبل، ولا رأيته من بعد، فقرأت تلك الكتب، وظفرت بفوائدها، وعرفت مرتبة كل رجل في علمه».

ولعل السماح له بدخول مكتبة الأمير نوح بن منصور الساماني وإقباله على قراءة ما تحتويه من كتب نادرة، ما يؤكد على مدى حبه للمطالعة، وقد حاز في هذا المضمار شهرة عالمية لم ينلها أي عالم آخر ذلك لأنه يقرأ ويكتب أو يملي في يسر وسهولة وما قوله: «وظفرت بفوائدها» إلا إشارة إلى أنه أخذ من كل كتاب قرأه كفاية ما يريد الحصول عليه.

وأياً ما كان فقد ترقى ابن سينا خلال مرحلة طفولته على توالي الزمن حتى أصبح من الرجال القلائل في العالم الإسلامي الذين يصح أن نسميهم «موسوعيين»، فقد خلّفَ لنا ثروة كبيرة انتشرت في جميع أنحاء العالم، ونسب إليه ما ليس له من الكتب لترويجها.

رابعاً: بيئة ابن سينا التربوية

عاش ابن سينا في عصر كثرت فيه مذاهب الفلسفة والحكمة، ونشأ في بيت عريق في خدمة الدولة،

فقد كان والده يعمل محاسباً ويجمع الضرائب لصالح الدولة، اهتم بالدرجة الأولى برعاية ولده (ابن سينا) بالتعليم والتثقيف وأحاطه بالمربين يعلمونه معارف زمانهم وشروح العلماء في الفلسفة والمنطق والهندسة والإلهيات والطبيعيات (سليم عمار، ١٩٨٠، أسبوع العلم العشرون، لألفية ابن سينا) لقد انخرط مبكراً في جو ملائم حققه له والده فتعوّد منذ نعومة أظفاره على الاستماع إلى المربين والمعلمين وعلى مطالعة الكتب.

ومن أكبر المظاهر التي تأثر بها في طفولته البيئة التي عاش فيها، وبالتالي تطلعه إلى فهم المحيط الذي يعيش فيه، وهذا ما ساعد على نبوغه بفضل مواهبه في جميع الجوانب العلمية والتربوية رغم الصعوبات والعراقيل التي مرّ بها، والمعروف أن الشيخ الرئيس حفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره، وقد دفعه طموحه إلى دراسة ميادين الفقه والفلسفة والحساب الهندسي، وتمكن من دراسة الطب ويقول عن نفسه في هذا الصدد (سليم عمار، ١٩٨٠، أسبوع العلم العشرون، لألفية ابن سينا). « ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه وتعهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف». وهو لم يكن طبيباً فحسب وإنما ألَّف في علوم الدين واللغة والهندسة وطبقات الأرض، وإن كان قد اشتهر بموسوعته الضافية في الطب والموسوعة بـ «القانون» والتي تمثل خلاصة الطب اليوناني والعربي وما وصلت إليه الحضارة العربية في هذا المجال.

وروي عن الشيخ الرئيس نفسه أن والدته من قرية أَفْشَنَة وقد ولد هو وشقيقه فيها، ثم انتقلوا إلى بخارى وفيها تلقى علوم القرآن والأدب وهو في السنة العاشرة من عمره، كما تلقى علم الفلسفة على يد الناتلي الذي كان يدّعي التفلسف وهذا ما أوضحه ابن سينا بقوله: «ثم وصل إلى بخارى أبو عبد الله الناتلي، وكان يدّعي التفلسف، فأنزله أبي دارنا، واشتغل بتعليمي، وكنت قبل قدومه أشتغل بالفقه والتردد فيه إلى إسماعيل الزاهد، وكنت من أحزم السائلين، وقد ألفت طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على المجيب على الوجه الذي جرت عادة القوم به» وبالرغم من أن ابن سينا اشتغل أحياناً بتدبير أمور الدولة فلم يكن لذلك أي تأثير محسوس على إنتاجه العلمي ومواصلته للبحث والتأليف، وبذلك أعطى الدولة حقها من جهوده وعقله وأعطى للطب والفلسفة حقهما من مواهبه وقابليته كما سعى إلى إعطاء نفسه من الترفيه القسط الذي تستحقه.

كان ابن سينا مؤلفاً كثير الإنتاج، وقد شملت كتاباته موضوعات الفلسفة والتربية والتصوف والفلك والموسيقى والطب والكيمياء واللغة والشعر، وكان للبيئة التي عاش فيها الدور الكبير في إغناء علومه ومعارفه، وما إحاطته بالمربين الذين يعلمونه إلا دليلً على سعة اهتمام والده به، فقد تعهد مبكراً ابنه بالتعليم والتثقيف، وأحاطه بالمربين يعلمونه معارف زمانهم وشروح العلماء في جميع الجوانب العلمية والتربوية، وهذا ما أكسبه الخصال الحميدة والأخلاق العالية وكثيراً ما كان يتصف بالرفق والإحسان ويتميز بالتسامح ونكران الذات كلما اقتضت الحاجة لذلك. كما أن انخراطه في الحياة العامة مكَّنه من الاندماج في صميم المجتمع الذي يعيش فيه وهذا ما أثر في جعل فلسفته التربوية أميل إلى الاهتمام بإعداد الفرد للحياة في جميع المجالات، وأن تكون تربيته شاملة لكل وجه من الوجوه.

وبذا نرى أنَّ الإنسان هو محور العملية التربوية، وللبيئة الدور الكبير في إيضاح هذه الصورة في مجالاتها المجتمعية كافة.

«فلكل مجتمع من المجتمعات مبادئه ومثله العليا، وله مصالحه وطموحاته وتقاليده ومشكلاته، وبين هذا وتلك نوع من التشابك والتضاغط المستمر؛ المثل والمبادئ تضغط على المصالح؛ حتى تظل في إطارها،

والمصالح تضغط على المبادئ كي تتسع لها من خلال توسيع مدلولاتها، والتخفيف من صرامة أحكامها، ومن المبادئ والمصالح تتكون البيئة القيمية الأخلاقية» (عبد الكريم بكار، ٢٠٠١، المسلمون والتحدي) ومن هنا يمكن القول بأن جميع الممارسات التربوية تؤول إلى الإخفاق ما لم تبن على فهم واضح وصحيح لماهية الإنسان وخصائصه. والإنسان الذي خلق حراً عاقلاً مفطوراً على الخير طلب منه في المقابل الالتزام بالأهداف التي تساعد على تطوير العملية التربوية وصياغة الأهداف وتحديدها.

إن التسليم بوجود أهداف ثابتة يزود القائمين على التربية بمعايير ثابتة وصادقة، للاستعانة بها للحكم على مدى تقدم التلاميذ في عملية التعلم.

إن البيئة التي عاش فيها ابن سينا ساعدته على إتقان علومه ومعارفه وتكوينه الاجتماعي والثقافي والفكري والتربوي في جميع المجالات التي عمل فيها، فقد كان فيلسوفاً كاملاً وإماماً صادقاً، زكيَّ النفس، قويَّ الذكاء، مهتماً بالعلم، وكانت له المكانة العالية في صناعة الطب والعلوم التقنية الأخرى، وقد انعكست ممارساته العلمية والتعليمية على جميع المهن في الحياة، إذ يجب على صاحب المهنة أن يتحلى بآداب هذه المهنة، وأن يكون تام الخلق حريصاً على التعلم والمبالغة في نفع الناس، والتزام الدقة العلمية والأمانة في جميع مجالات التأليف العلمي.

ودراستنا هذه تحاول أن تقدم لنا الجوانب التربوية لمفكر اتفقت كلمة القدماء والمحدثين على أن ابن سينا (الشيخ الرئيس) يعدّ بحق من أشهر الفلاسفة في المشرق العربي إلى جانب الكندي والفارابي وابن رشد، فقد اهتم بإيجاد المنافذ العملية التي تمكن الإنسان من الفهم الحقيقي للغايات التي تعلم من أجلها، وكيف يستخدم المعارف التي تعلمها عند الحاجة إليها، وكيف يستفيد منها في مواجهة تحديات الواقع، والارتقاء بنفسه، وهذا يعني أن الحاجة قائمة على نوع من البيان العلمي والتربوي لتوظيف الأفكار والآراء التي تملكها لمصلحة الإنسان في جميع المجالات.

خامساً: ثقافة ابن سينا

بدأت الفترة البارزة في عطاء ابن سينا في سن مبكرة ساعده على ذلك موهبته وثقافته وتفكيره العالمي، «فمواهبه تتلخص في ذلك الذكاء النادر، والذاكرة القوية، والعقل الخصب، والجد المنقطع النظير على العمل» (إبراهيم مدكور، ١٩٥٢، الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لذكرى ابن سينا) وفي الحق أن الشيخ الرئيس أكمل ثقافته اللغوية والدينية والعقلية ولمَّا يجاوز العاشرة من عمره، وروي أنه وصل إلى مرتبة النبوغ والتخصص ولما يناهز العشرين.

وهذا يدلنا أنه لما بلغ ست عشرة سنة كان قد ألمّ بما شاء من العلوم، «وكانت نجابته وذكاؤه وفطنته قد لفتت إليه الأنظار منذ عهد مبكر حتى إن الناتلي نصح لوالده ألا يشغله بغير العلم» (ابن أبي أصيبعة، بدون تاريخ، عيون الأنباء).

ثم تفرغ على القراءة والعلم سنة ونصفاً يدرس ليله ونهاره دائباً لا يتوقف ولا يعرف طعم الراحة، وحتى أحكم علم المنطق والعلم الطبيعي، والعلم الرياضي، وإنه ليقول قول الواثق: «وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن ولم أزدد فيه إلى اليوم» (ابن سينا، بدون تاريخ، تاريخ الحكماء) وبذا يؤكد الشيخ الرئيس أنه لما بلغ ثمان عشرة سنة من عمره، فرغ من هذه العلوم لمهامه فيقول: «وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ، ولكنه اليوم معي أنضج، وإلا فالعلم واحد، لم يتجدد لي بعده شيء»(ابن سينا، بدون تاريخ، تاريخ الحكماء)، ومضى ابن سينا يقول: «كان «نظرنا» أيام

انصبابنا على العلم، وانقطاعنا بالكلية إليه واستعمالنا ذهننا، أذكى وأفرغ لما هو أوجب».

وهذا يذكرنا بقول أبي العلاء المعري وهو يكتب لخاله في رسالة له: «ومنذ فارقت العشرين من العمر ما حدّثت نفسي باجتداء علم، من عراقي ولا شآم» (رسائل أبي العلاء المعري، بدون تاريخ) ﴿**ومن يهد الله فهو المهتد ومن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشداً**﴾ والواقع أن هذا القرن يعتبر بحق قرن العباقرة الأربعة: ابن سينا والمعري والبيروني وابن حزم.

وأما أنه عنوان ثقافة؛ فذلك لأنه يعبر تعبيراً صادقاً عن الفكر الإسلامي، ولهذا الفكر خصائصه ومميزاته. أخذ عن اليونان والرومان، كما تأثر بالفرس والهند والسريان، وضم هذا إلى ذاك، ليكوّن منه مزاجاً جديداً، ويصقله بصقله الخاص، وبذا أضحى وليد بيئته وظروفه بقدر ما اعتمد على الثقافات العالمية الأخرى» (إبراهيم مدكور، ١٩٥٢، الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لذكرى ابن سينا) وابن سينا – بين مفكري الإسلام – من خير من يحمل هذا الطابع ويعبر عنه: ألمَّ بالثقافة الإسلامية الشاملة المعاصرة له، وهضمها خير هضم، ثم ترجم عنها ترجمة صادقة، فكتب في الطب والكيمياء، والطبيعة وعلم الأحياء، والفلك والرياضة، والمنطق والميتافزيقي، والأخلاق والسياسة، والتوحيد والتفسير، وكتابا «الشفاء» و«القانون» خير مثل لهذه الثقافة الواسعة.

وفي الحق أن ابن سينا بدأ قراءة كتاب ما بعد الطبيعة فالتبس عليه غرض واضعه، ولم تستبن له مقاصده، « وعسر عليه العلم الإلهي فلم يسأم ولم يتبرم، بل انكبّ على كتابه بعيد قراءته أربعين مرة، حتى صار محفوظاً له، فلما وقع بيده كتاب أبي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة انفتحت له مغاليق الكتاب، وأدرك معانيه ومراميه» (ابن أبي أصيبعة، بدون تاريخ، عيون الأنباء).

على كل حال اتجه الباحثون إلى الوقوف على آثار ابن سينا الذي يعتبر بحق قمة عليا من قمم القرن الرابع الهجري، وهو العصر الذهبي للفكر الإسلامي، فما أن بلغ العشرين من عمره حتى أخذ الملوك والأمراء يتنافسون في دعوته إلى حضرتهم، كي يفيدوا من علمه وفلسفته وقضى نحو أربعين سنة متنقلاً بين بعض العواصم الإسلامية – وابن سينا يعدّ بحق في مقدمة الباحثين والمبتكرين المسلمين وقد برهنت آراؤه وأبحاثه، وما تضمنته من تجديد وابتكار على ذلك. وعني الباحثون بإظهار نواحي أصالته المختلفة «في المنطق، وعلم النفس والطب، والموسيقى، وبذا يمكن أن يقال إن ثقافته إنسانية واسعة الأفق، لا تخشى الأخذ عن الغير ما دامت تؤمن بنفسها، كما لا تخشى أن يؤخذ عنها فتستفيد وتفيد»(إبراهيم مدكور، ١٩٥٢، الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لذكرى ابن سينا).

وغني عن البيان أن ابن سينا يعدّ قمة من قمم الثقافة العربية فقد استطاع أن يحتفظ بمكان بارز في تاريخ الثقافات العالمية، أدى رسالته في المغرب كما أداها في المشرق، أداها في الحاضر كما أداها في الماضي. إن ما جاء به الشيخ الرئيس من المسائل الهامة والحيوية جداً التي تستحق التفكير والاهتمام والتضحية، والعطاء في سبيل الكشف عن ماهية الثقافة التي تمتع بها. والذي يقرأ كتابات ابن سينا سيلاحظ أنه كفيلسوف مسلم قد اتخذ من الوحي «قرآناً وسنة» مصدراً أصيلاً من مصادر فلسفته، وإن كان فهمه للنصوص أحياناً قد تأثر بثقافته الفلسفية اليونانية، وانتمائه الفكري الشيعي، إلا أن ذلك لا يلغي تأثره الواضح والعميق بالقرآن والسنة ورجوعه إليهما في تكوين آرائه الفلسفية والتربوية.

فقد كان أكثر الناس في عصره فهماً لآيات الله وتمثلاً لبديع قدرته فقال تعالى: ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**﴾ سورة العنكبوت آية ٤٣ وقد تضمن القرآن الكريم الكثير من الآيات التي دعت العقل إلى

النظر في موجودات الله يقول عز وجل: ﴿**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج۞ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج۞ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** ﴾ سورة ق آية ٦،٧،٨.

لقد اهتم الشيخ الرئيس بالعلوم الدينية ورسم في الحضارة الإسلامية لوحة كاملة لفلسفته التي تتناول كل شؤون الوجود، إذ حدد الغاية من العلوم النظرية والعلوم العملية، فالعلوم النظرية تبقى في حدود العلم، في حين أنه لابد في العلوم العملية من تجاوز العلم إلى العمل وإجراء التجارب للوصول إلى الحقيقة وبهذا الصدد يقول ابن سينا: « فقد دللت على أقسام الحكمة، وظهر أنه ليس شيء منها يشتمل على ما يخالف الشرع، فإن الذين يدعونها ثم يزيغون عن منهاج الشرع، إنما يضلون من تلقاء أنفسهم، ومن عجزهم وتقصيرهم لأن الصناعة نفسها توجبه، فإنها بريئة منهم» وهذا يشير إلى أنه لابد للعلوم العملية من أن تستند إلى الأساس الذي تستند إليه العلوم النظرية وهذا يشكل العلاقة الوثيقة بين هذين النوعين من العلوم النظرية والعملية[1] (الخطيب البغدادي،بدون تاريخ، تاريخ بغداد).

سادساً: أساتذة ابن سينا

إن الناظر في حياة ابن سينا ونشأته يرى أنه ترك لنا من لفظه شيئاً كثيراً عن سيرته ووصف حاله؛ وهو بحق أول فيلسوف عربي تحدث عن نشأته وما يتصل بأسرته وميراثها الثقافي، والأساتذة الذين التقاهم، والأمراء والحكام الذين قربوه وجعلوا له مكانة في بلاطهم، وبين رجال العلم والفكر في حلقاتهم الخاصة، تعلم القرآن والأدب وهو ابن عشر سنين.

والحق أن ابن سينا تميّزَ بالثقافة الذاتية. وهذا ما جعله يعدل أحياناً عن ذكر أسماء أساتذته الذين أخذ عنهم، وأفاد منهم بل تفوق على بعضهم معرفةً وعلماً، ولعلّ أبرز أساتذته الذين تجلَّت آثارهم في مسيرته الثقافية والموسوعية:

١- الفارابي الذي شكل مع ابن سينا ثنائياً لا ينازعهما منازع في الإسلام في طول باعهما وقدراتهما المنطقية. الفارابي في شروحه وجوامعه ومختصراته، وابن سينا في موسوعيته وتنسيقه ومنهجيته – مهد الأول للثاني فكان أبو علي ثمرة من ثمار أبي نصر: «تميز عمله المنطقي بالاستيعاب والجدة والتحديد، مع قدراتٍ وملكات فاقت الحد الأعلى لرجال عصره ومفكريه»(جعفر آل ياسين،١٩٨٤، دراسة تحليلية لحياة ابن سينا وفكره الفلسفي). والحق أن الفارابي وابن سينا لا يبتعدان عن أن يكونا فيلسوفين تامي الشروط، يحيطان بمعارف عصرهما، ويتأملان في كونه مجتمعاً وتاريخاً وأخلاقاً وتكويناً.

والذي يبدو أن ابن سينا كان عظيماً في كل شيء، إلا أن قدراته العقلية التي تميز بها وهو في العاشرة من عمره فاقت أساتذته، وكان مرموقاً في طليعة رجال الفلسفة عند العرب.

٢- البغال – قيل إنه كان أول معلميه، ولم يفصح الفارابي عن اسمه وتسمية بعض المصادر – مثل ابن أبي أصيبعة (محموداً) وقد تعلم ابن سينا على يديه حساب الهند.

٣- إسماعيل الملقب بالزاهد وكانوا يسمونه أبا محمد إسماعيل الملقب بالزا
والعرفان وذكر الله، وقد درس ابن سينا على يديه علم الفقه.

---

(١) إسماعيل الزاهد من فقهاء الحنفية في بخارى، وإمام المعتزلة – تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٦: ٣١٠ – ٣١١، والمنتظم لابن الجوزي ٧: ٢٥٨ والجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي (طبعة حيدر أباد بالهند ١٣٣٢هـ.

٤- وفي مجال الفلسفة كان أبو عبد الله الناتلي ثاني أساتذته، وأطلق على ابن سينا صفة المتفلسف.

٥- ذهب بعض المؤرخين إلى أن ابن سينا تتلمذ على أبي سهل عيسى ابن يحيى صاحب كتاب (المئة في الطب) وهناك مصادر أخرى تشير إلى أنه تلقى علومه الطبية على يد أبي منصور الحسن بن نوح القمري كما ورد في حواشي القزويني على كتاب (جهار مقالة) للسمرقندي.

والحق أن ابن سينا برع براعة تامة في جميع العلوم معتمداً على ثقافته الذاتية وفي رأينا أن هذه الثقافة الذاتية هي الأصل في بنائه العلمي بناء محكماً دقيقاً، وهذا ما جعله أحد كبار فلاسفة الإسلام.

إن ابن سينا لم يكن طبيباً فقط، وإنما ألف في علوم الدين واللغة والهندسة وطبقات الأرض. وتجلى ذلك كله في تعلمه الذاتي، ونشير إلى تأثره بأفلاطون وأرسطوطاليس، وأفلوطين، وأساتذة مدرسة الإسكندرية، إلا أن تأثره بالفارابي كان بشكل مباشر وباعتراف الحكيم نفسه. وهذا ما عمق قدراته العلمية والتربوية – في إتقان الحقائق العلمية والتربوية وهضمها وتمثلها بسرعة فائقة.

سابعاً : تلامذة ابن سينا

لا أحد ينكر لابن سينا الآثار التي تركها من دور وأثر في بناء الإنسان العربي المسلم بجانبيه الفردي والاجتماعي، وفي تكوينه الفكري والخلقي، ولا تزال آثاره تُدرس وتدرَّس في الشرق والغرب من زوايا متعددة، وجوانب مختلفة في مختلف الجوانب خاصة منها كتابه (القانون) في الطب.

دأب في (مجالس الأمراء) لمناظرة ومناقشة الجالسين في مختلف العلوم، وانصب جهده العلمي على تلامذته ومن العلماء والحكماء الذين أعجبوا بشخصيته وعلومه أشير إليهم في ثنايا كتب التراجم المختلفة ومنهم:

١- أبو عبيد عبد الواحد بن محمد الفقيه الجوزجاني: وكان ملازماً له في جميع مجالسه بقي بجانب أستاذه ابن سينا أكثر من خمس وعشرين سنة أو كان لسان حاله يساعده في جميع تصانيفه ومؤلفاته كما كان يشجعه على التأليف والكتابة عندما أصبح وزيراً، وكان للجوزجاني الفضل الكبير في تأليف كتاب الشفاء. وبعد وفاة ابن سينا تفرغ إلى جمع مؤلفاته وتصانيفه، وبذل جهداً كبيراً في هذا السبيل وحقق ما أراد. وكتب الجوزجاني بعض الكتب المفقودة من خزانة أستاذه وسيرته وحياته، وأكمل كتاب النجاة، وفسر مشكلات القانون وشرح رسالة حي بن يقظان وهذا ما ذكره البيهقي بقوله: «ولم يوجد في تلامذة أبي علي أقل بضاعة منه وسمعت بعض أساتذتي أنه قال: الحكيم أبو عبيد كان في مجلس أبي على شبه مريد لا شبه تلميذ مستفيد» (ظهر الدين البيهقي، ١٩٤٦، تاريخ حكماء الإسلام – تحقيق محمد كرد علي) وهذا يشير إلى مكانة العلماء وأهميتهم في المجتمع.

٢- شرف الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الإبلاقي: نسب إلى مدينة إيلاق وهو عربي الأصل كان عالماً وفقيهاً اتصف بذكائه الحاد له عدة مصنفات منها: كتاب سلطان نامة وكتاب درست نامه، وكتاب اللواحق وغير ذلك من المؤلفات ومات بعد ابن سينا بثلاثين عاماً.

٣- غياث الدين عمر بن إبراهيم الخيام النيسابوري: كان عالماً باللغة والفقه والتاريخ والعلوم الفلسفية، وكان يعتبر ابن سينا أستاذاً له، وكان مهتماً بكتاب الشفاء لابن سينا، وقيل: قبل وفاته بفترة قصيرة كان يقرأ في كتاب الشفاء ولما وصل إلى فصل الواحد والكثير توقف عن القراءة، وقال: أدعو الأذكياء حتى أوصى، فأوصى وقام وصلى ولم يأكل ولم يشرب. فلما صلى العشاء الأخيرة سجد وكان يقول في سجوده: «اللهم إنك تعلم أني

عرفتك على مبلغ إمكاني فاغفر لي فإن معرفتي إياك وسيلتي إليك» (محمد كرد علي تحقيق، ١٩٤٦، تاريخ حكماء الإسلام) وكانت وفاته سنة ٢١٧هـ.

٤- أبو منصور الحسين بن محمد بن عمر بن زيلة الأصفهاني: كان عالماً بالرياضيات امتاز بالمهارة والدقة في صناعة الموسيقى والتأليف فيها، ومن تصانيفه الاختصار من طبيعيات الشفاء، وهو من الذين شرحوا رسالة حي ابن يقظان وذكر البيهقي أنه كان مجوسياً ويعتبر بحق من تلاميذ ابن سينا المقربين له، توفي بعد ابن سينا باثنتي عشرة سنة»(محمد كرد علي تحقيق، ١٩٤٦، تاريخ حكماء الإسلام).

٥- أبو عبد الله بن عبد الله بن أحمد المعصومي: أجمع المؤرخون أنه كان أفضل تلامذة أبي علي، وهو أصفهاني صنف كتاباً في المفارقات وأعداد العقول والأفلاك وترتيب المبدعات، وذكر البيهقي: «أنه رأى رسالة في عالمية الله تعالى منسوبة إليه» وظل المعصومي ملازماً لابن سينا حتى وفاة الشيخ الرئيس فخلفه في البحث والتدريس إلى حين وفاته في عام ٤٥٠هـ (ظهر الدين البيهقي، بدون تاريخ، تاريخ حكماء الإسلام).

٦- الرئيس كيا بهمنيار بن موزبان الأذربيجاني: وهو أحد تلامذة ابن سينا - له مباحثات عديدة مع الشيخ الرئيس وقال البيهقي: «والمباحث التي لأبي أكثرها مسائل بهمنيار للبحث عن غوامض المشكلات».

ومن تصانيف بهمنيار - كتاب الموسيقى، وكتاب الرتبة في المنطق، وبعض الرسائل الأخرى توفي بعد ابن سينا بثلاثين عاماً. وهو مجوسي الملّة ثم أسلم ولا يجيد العربية، عرفه الشيخ الرئيس وهو فتى في مطلع شبابه، فيه النجابة والذكاء، وكان الشيخ الرئيس يلقبه في أخريات حياته بلقب الكيا، أي الرئيس، ولقب سائر تلاميذه بلقب الفقيه أو الحكيم ومن تلامذة بهمنيار أبو العباس اللوكوي وكان عالماً بأجزاء علوم الحكمة دقيقها وجليلها.

إن ما ذكره ابن سينا عن أساتذته يجعلنا على ثقة عامة أنه لايدين بشيء من عبقريته وفطنته لأي من أساتذته، لقد كان شيخاً للمترددين عليه والملازمين لمجالس علمه وتدريسه، وكانت مؤلفاته (منتشرة في الشرق والغرب) مرجعاً لكل طالب علم في مختلف الجوانب العلمية والتربوية. ومن تلامذة بهمنيار أيضاً أبو العباس اللوكوي وهو من قرى مرو وكان يتقن اللغة العربية إلى درجة مكنته من نظم الشعر المتين.

ومن تلامذة ابن سينا أبو القاسم الكرباني، وأبو الريحان البيروني، وأبو محمد الشيرازي، وسليمان الدمشقي - وابن مسكويه المتوفى٤٢١هـ، وأبو الحسين العروضي، وأبو بكر البرقي الخوارزمي وآخرون»(عباس محمود العقاد،١٩٥٢، الشيخ الرئيس ابن سينا، الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي).

ثامناً: آثار ابن سينا العلمية والتربوية

لقد أحاط ابن سينا بجميع علوم زمانه، من القرآن إلى التفسير والأدب واللغة والفقه والحساب والهندسة والمنطق والطب والكلام والفلسفة، وهي موزعة في الآفاق منذ بدأت أنامل الفيلسوف تسجل أفكاره الحكيمة، «فكان منها صفحات معطرة وعابقة بأريج هذا المنظر المبدع للفكر الفلسفي في الإسلام»»(جعفر آل ياسين،١٩٨٤، ابن سينا وفكره الفلسفي)..

لقد كانت علومه متنوعة بعضها يربطه بعالم السماء، وبعضها يربطه بعالم الأرض، ولقد شهد منذ صغره تضارب الآراء وتنازع العقائد، لأنه نشأ في بيئة تميل إلى الحرية والتسامح، وقد دأب في إعطاء الصورة الحقيقية لعلم الفلسفة في القرن الرابع الهجري، وهذه الصورة ضرورية لفهم الفكر التربوية عند ابن سينا ووضعه في إطار

عصره وثقافته، كما تمكن باطلاعه على مكتبة نوح ابن منصور أن يلم بكثير من العلوم وهو في ريعان الحداثة، مما أدى إلى كثرة تآليفه، حيث كان يكتب يومياً خمسين ورقة كمعدل وسطي، دون الرجوع إلى أي مصدر.

والحق أن ابن سينا (الشيخ الرئيس) تناول في مؤلفاته جوانب متعددة من الفكر التربوي ومصادره والمؤثرات التي كانت تؤثر فيه في ميدان التربية، جميع الاتجاهات التربوية الدينية، واللغوية، والعلمية الموضوعية، والعقلية، والاجتماعية، والجسمية. فقد كان حاذقاً في استخدام الطرق الملائمة لإبلاغ المتعلم إلى كماله الإنساني، وأن يكون ملماً بالمعرفة الإنسانية المكتسبة، هذه المعرفة التي ترسم دقائق الطبيعة الإنسانية، وتبين الهدف الرئيس من دراسة الظواهر الكونية والاجتماعية، وهذا ما امتاز به أبو علي ابن سينا بالقدرة النادرة على العمل، حصّل كثيراً، وألّف كثيراً، وعُني بشؤون السياسة، كما امتاز بالاعتداد بالنفس، وبالطموح إلى المجد، ونجد ذلك في جميع تآليفه المطبوعة والمخطوطة التي بلغ مجموعها (٢٤٢) رسالة وكتاباً ومقالة وهذا ما أكده الدكتور يحيى مهدوي في كتابه (فهرست مصنفات ابن سينا) مع الإشارة إلى أن إحصاء كتب ابن سينا يبقى خاضعاً لاحتمالات متباينة عند بعض الباحثين. وإن أغلب مؤلفاته في الفلسفة والعلم كان باللغة العربية، وذهب بعض الباحثين إلى أنه ألف بعض الرسائل والكتب باللغة الفارسية وهي لا تتجاوز (١٨) مخطوطاً؛ ولعل أهمها في هذا المجال كتاب (حكمت علائي) الذي ألفه للأمير علاء الدولة البويهي» وإن أهم كتبه المطبوعة من طبية وفلسفية وتربوية تضمنت ما يلي:

– كتبه الطبية وشملت:

– **كتاب القانون:** وفيه وصف كامل لتشريح جميع مكونات الإنسان الجسمية من عظام وعضلات وأعصاب وشرايين وأوردة، مع العرض الكامل لكل الأمراض التي يتعرض لها الإنسان وكيفية علاجها، وكتاب القانون في الطب لابن سينا من أهم ما كتب العرب في الطب؛ وظل يدرس في جامعات أوربا حتى القرن السادس عشر وقد نال (القانون في الطب) حظوة كبيرة في العلم، وأكد ذلك الأستاذ براون في كتابه المعروف عن الطب العربي بقوله: «بطابعه الموسوعي وتنسيقه الدقيق وتصميمه الفلسفي، بل لعلّ أسلوبه العنيف في الجزم أيضاً مضافاً إلى شهرة المؤلف في غير الطب من ميادين الفكر؛ كل هذا أعطى (القانون) مكانة فريدة في الأدب الطبي في العالم، وقد استطاع أن ينسخ عملياً مؤلفات الرازي وعلي بن عباس، على الرغم من قيمتها المعترف بها».

وأما المنهج الذي سار عليه أبو علي ابن سينا في تنظيم موضوعات كتاب القانون فقد حددها في مقدمته قائلاً: «ورأيت أن أتكلم أولاً في الأمور العامة الكلية في كل من القسم النظري والقسم العملي. ثم بعد ذلك في الأمراض الواقعة بعضو عضو؛ فأبتدئ أولاً بتشريح ذلك العضو ومنفعته، وأما تشريح الأعضاء المفردة البسيطة فيكون قد سبق في ذكره في الكتاب الأول الكلي وكذلك منافعها. ثم إذا فرغت من تشريح ذلك العضو ابتدأت في أكثر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته، ثم دللت بالقول المطلق على كليات أمراضه وأسبابها، وطرق الاستدلالات عليها وطرق معالجاتها بالقول الكلي أيضاً، فإذا فرغت من هذه الأمور الكلية أقبلت على الأمراض الجزئية؛ ودللت أولاً في أكثرها أيضاً على الحكم الكلي في حدّه وأسبابه ودلائله، ثم تخلصت إلى الأحكام الجزئية، ثم أعطيت القانون الكلي في المعالجة؛ ثم نزلت إلى المعالجات الجزئية بدواء بسيط أو مركب، وما كان سلف ذكره من الأدوية المفردة ومنفعته في الأمراض في كتاب الأدوية المفردة في الجداول والأصباغ التي أرى استعمالها فيه... وما كان من الأدوية المركبة إنما الأحرى به أن يكون في الأقرباذين الذي أرى أن أعماله

أخّرت ذكر منافعه وكيفية خلطه إليه»(مخطوطات ابن سينا، ١٢٤٩، القانون، المجلد الأول).

وهذا الكتاب (القانون) ترجم كاملاً إلى اللاتينية، ترجمه جيرار الكريموني وظل يدّرس في جامعات أوربا حتى القرن السادس عشر. كما ترجم إلى اللغة العربية وطبع عدة مرات آخرها كان في بداية القرن التاسع عشر، وأجمع الباحثون أن كتاب القانون تم تدريسه في جامعات لوفيان مومبلييه حتى أواخر القرن السابع عشر. وقد ورد في المجلة التي تصدرها اليونسكو في عدد تشرين الأول من عام ١٩٨٠، أن كتاب القانون ظل قيد الاستخدام في جامعة بروكسل حتى عام ١٩٠٩.

وقد قام كثير من الأطباء المسلمين بوضع شروحات لكتاب القانون وبعضهم قام باختصاره، وأشهر تلك الاختصارات كتاب الموجز في الطب الذي كتبه ابن النفيس الدمشقي الذي توفي عام ١٢٨٨هـ.

ابتدأ ابن سينا كتابه القانون بتعريفه للطب قائلاً: «الطب يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة».

يتألف كتاب القانون عند ابن سينا من خمسة كتب تناول فيها جميع الأمراض التي يتعرض لها جسم الإنسان وأسبابها وأعراضها وعلاجها وأحياناً إنذارها. إلا أن ما يتعلق بموضوع التربية فقد تناوله في الكتاب الأول فصل العناية بالطفل وتربيته عند ابن سينا فقد خصص في الكتاب الأول من كتاب القانون في الطب فصلاً خاصاً للحديث عن تربية الأطفال وأمراضهم، وقد سماه التعليم الأول في التربية، وقسمه إلى أربع مقالات:

- **في المقالة الأولى:** تناول الحديث عن تدبير المولود منذ أن يولد إلى أن ينهض.
- **وفي المقالة الثانية:** بحث عن الإرضاع، وفي ذلك ألح على أن يرضع الطفل لبن أمه ما أمكن فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم، ثم تحدث عن موضوع النظام، وأكد أن يكون تدريجياً.
- **أما المقالة الثالثة:** فقد تحدثت عن بعض أمراض الطفولة وضرورة الوقاية منها.
- **وأما في المقالة الرابعة:** فقد تناول تدبير الطفل وتربيته حتى سن البلوغ، وفيه يستعرض ابن سينا فصول التربية النفسية للأطفال وفق أحسن الطرق التربوية المعروفة حالياً. وهذا يقع ضمن دراستنا للجوانب التربوية عند ابن سينا، وقد اصطلح على نعت مجموعة العلوم التي جاء بها أبو علي ابن سينا بالعلوم التربوية لأنها تؤدي إلى اكتساب مهارات واتجاهات معينة للإنسان في جميع جوانب الحياة، ولن تحالف الدقة كل من يجرد بعض العلوم من صفتها التربوية إذا قصد بالتربية المفهوم العام والذي قوامه في الإسلام تنشئة الإنسان الصالح الذي سيقع عليه فعل التربية ونظرته للمجتمع الذي سيربى فيه، ونظرته للأخلاق والمعرفة واتباع السلوك الحسن، لأن الإنسان هو موضوع التربية، فالذين يذهبون إلى أن قيمة الإنسان في عقله وتربيته يعتبرون أن الإنسان هو محور العملية التربوية وطبيعتها.

هناك من يعتقد أن التربية علم قائم بذاته، وهي تقع في زمرة العلوم الاجتماعية، واستندوا في هذا الاتجاه، أننا نجد في التربية قواعد ومعايير نحكم بها على طبيعة العملية التربوية، فوجود مثل هذه المعايير دليل على وجود علم مستقل قائم بذاته.

أما الذين يرون عدم وجود علم مستقل يدعى (علم التربية) ويشيرون إلى أن وجود هكذا قواعد لا يعتبر دليلاً كافياً على الاستقلال، وأن القواعد التي تستعين بها التربية مأخوذة من علوم أخرى كعلم النفس والطب والاجتماع والرياضيات والفلك والكيمياء، «يرون أنه من الأفضل الحديث عن علوم تسهم في تحسين العملية

التربوية»(عبد الرحمن عبد الله،١٩٨٨، الفكر التربوي الإسلامي).

ومن هنا نستطيع القول: إن الوظائف التي تؤديها التربية تشمل جميع الاتجاهات العلمية من حيث فهم طبيعة المجتمع، وتحديد الطرق التي تُنمَّى بها المهارات الاجتماعية بدءاً من مراحل نمو الفرد، ومعرفة خصائص التعلم الإنساني، وهذا يتوقف على الإسهامات التي تقدمها العلوم الأخرى مثل: التاريخ وعلم النفس وعلم الطب وعلم الاجتماع والرياضيات... الخ وما تخصيص ابن سينا فصلاً خاصاً في الكتاب الأول من كتاب القانون في الطب للحديث عن تربية الأطفال وأمراضهم إلا دليل على أن علاقة علم التربية بالعلوم الأخرى هي علاقة تأثير وتأثر، وأن التربية ليست علماً قائماً بذاته، وأن هناك علوماً أخرى ترفد التربية بما تحتاج إليه. «فالعلوم التربوية تؤدي وظيفة أساسية حين تعمق من فهمنا لما يجري في ميدان التربية وفي فهمنا لبعضنا البعض أثناء أداء ما يطلب منَّا في التربية» (عبد الرحمن عبد الله، ١٩٨٨، الفكر التربوي الإسلامي).

ويشير ابن سينا في كتاب السياسة أن جميع العلوم تبصّر المعلمين بنفسية المتعلمين وبحاجاتهم الفردية والاجتماعية، فهي تزودهم بطرق التعليم الملائمة. وتسهل تحقيق الأهداف المرسومة التي تقوم عليها التربية. وله في ذلك آراء فلسفية وتربوية هامة يجب عدم إغفالها والتقيد بالقواعد التربوية التي وضعها يقول في ذلك: «ينبغي البدء بتعلم القرآن بمجرد تهيؤ الطفل للتلقين جسمياً وعقلياً، وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء ويلقن معالم الدين، ثم يروي الصبي الشعر مبتدئاً بالرجز ثم بالقصيدة، لأن رواية الرجز وحفظه أيسر إذ أن بيوته أصغر ووزنه أخف، على أن يختار من الشعر ما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وذمّ الجهل وكما حث على بر الوالدين واصطناع المعروف وإكرام الضيف، فإذا فرغ الصبي من حفظ القرآن وألم بأصول اللغة ينظر عند ذلك في توجيهه إلى ما يلائم طبيعته واستعداده» وهذا يجسد نظرية التربية الحديثة حيث يجب الأخذ بعين الاعتبار ميول الطفل وتوجهاته لكي يكون مبدعاً في دراسته ومهنته المستقبلية، والتربية المعاصرة تهدف أولاً إلى تنمية مواهب الطفل وثانياً تحديد ميوله ليكون فعالاً في مجتمعه.

لقد عني الشيخ الرئيس بحاجات الإنسان النظرية والعملية، واهتم بجوانب حياته المختلفة، ومعالجاته النفسية والجسمية وبتقسيم الناس إلى طبقات، لكل منها طريقها في الفهم والتصديق والاستدلال.

ألف في علم المنطق وعلم الطبيعة وعلم النفس، وكتب كذلك في الرياضيات والإلهيات (ما بعد الطبيعة) ومشكلاتها المستعصية، وانتحى نحو الفلسفة العلمية فدَّون رسائل متفرقة فيها.... وألف أيضاً في العلم والتربية، وخاصة في الطب وموضوعاته نثراً وشعراً، وتربية الطفل، ووجه الأنظار إلى الصفات السلوكية والخلقية التي على المدرس أن يتمتع بها وأن يكون قدوة حسنة لمن يعلمهم.

ولم يكتف بهذه الحقول العلمية والتربوية فحسب بل اتجه إلى التفسير القرآني فدون فيه مجموعة من الرسائل، وكذلك عن اللغة وعلاقتها بالفكر، واتجه إلى الموسيقى فأبدع فيما دونه عنها.

تاسعاً: مؤلفات ابن سينا

إن حصر مؤلفات ابن سينا عمل شاق ويحتاج إلى عدة محاولات للكشف عن هذه المؤلفات وبيانها معتمداً على الترتيب الزمني إن أمكن ذلك، ومن قصة حياته كما نقلها الجوزجاني(محمد خير عرقسوسي، ١٩٨٢، ابن سينا والنفس الإنسانية):

آ – مؤلفاته في عهد الدراسة شملت:

١– كتاب المجموع: أو الحكمة العروضية ألفه وله من العمر إحدى وعشرون سنة.

٢- كتاب الحاصل والمحصول.

٣- كتاب البر والإثم في الأخلاق.

ونشير إلى أنه ألفهما قبل أن يتصل بأبي عبيد الجوزجاني في مدينة جرجان.

ب – مؤلفاته في جرجان كما ذكرها الجوزجاني:

١ – المختصر الأوسط في المنطق.

٢ – كتاب المبدأ والمعاد في النفس.

٣ – كتاب الأرصاد الكلية.

٤ – ويقول الجوزجاني: «وصنف هناك كتباً كثيرة كأول القانون».

٥ – «ومختصر الماجسطي».

٦ – «وكثير من الرسائل».

ج – مؤلفات ابن سينا عند شمس الدولة في همدان:

وإذا تتبعنا ما يرويه الجوزجاني من قصة حياته نجد أنه بعد ذلك قد ألف ما يلي:

٧- أوائل كتاب الشفاء: الطبيعيات.

٨- وأوائل كتاب القانون. وذلك عندما كان وزيراً لشمس الدولة.

ثم عندما كان متوارياً في دار أبي غالب العطار.

٩- تتمة كتاب الشفاء في الطبيعيات والإلهيات مع جزء من المنطق.

د- في قلعة فردجان: خلال سجنه فيها صنف الكتب الآتية:

١- كتاب الهدايات . الهداية.

٢- ورسالة حي بن يقظان.

٣- وكتاب القولنج.

وبعد عودته من فردجان إلى همدان تابع التصنيف:

- في المنطق من كتاب الشفاء.
- وفي الأذية القلبية.
- الأدوية القلبية.

هـ – في أصفهان:

تابع التأليف وهو بجوار علاء الدولة حيث ألف ما يلي:

١ – إتمام كتاب «الشفاء» في المنطق والمجسطي واختصار أوقليدس والأرثماطيقي والموسيقى.

٢- أما كتاب الحيوان والنبات من «الشفاء» فقد ألفهما أثناء رحلة إلى «سابور خواست» وألف معهما:

٣- كتاب النجاة وهو مختصر الشفاء، واشتغل بعد ذلك بالتقاويم والرصد وألف:

٤- كتاب العلائي، ثم ألف:

٥- ثلاثة كتب في اللغة كل كتاب على طريقة كاتبه.

٦- وأخيراً ألف كتاب لسان العرب، ولعله آخر كتبه لأن الجوزجاني يقول: إنه لم ينقله في البياض حتى

توفي.

ويشير الجوزجاني إلى أن مؤلفات الشيخ الرئيس (ابن سينا) عند ابن أبي أصيبعة سميت بالمجلدات فقد شمل كتابه (القانون في الطب) أربع عشرة مجلدة وكتابه (النجاة) ثلاث مجلدات، إلا أن ابن أبي أصيبعة قدم قائمة من كتب ابن سينا وهي أوسع مما ذكر الجوزجاني، كما قدم فهرساً بمؤلفات ابن سينا كما قال: وللشيخ الرئيس من الكتب، كما وجدنا في كلام أبي عبيد الجوزجاني، نورد بعضاً منها للرجوع إليها عند الحاجة كما جاءت في فهرس ابن أبي أصيبعة:

١- كتاب الحدود.
٢- رسالة في تعرض رسالة الطبيب في القوى الطبيعية.
٣- كتاب عيون الحكمة، يجمع العلوم الثلاثة.
٤- مقالة في عكوس ذوات الجهة.
٥- الخطب التوحيدية في الإلهيات.
٦- كتاب الموجز الكبير في المنطق.
٧- أما الموجز الصغير فهو منطق النجاة.
٨- القصيدة المزدوجة في المنطق، صنفها للرئيس أبو الحسن سهل بن محمد السهيلي بكركانج.
٩- مقالة في تحصيل السعادة، وتعرف بالحجج الغر.
١٠- مقالة في القضاء والقدر، صنفها في طريق أصفهان عن خلاصه وهربه إلى أصفهان.
١١- مقالة في الهندبا.
١٢- مقالة في الإشارة إلى علم المنطق.
١٣- مقالة في تقاسيم الحكمة والعلوم.
١٤- رسالة في السكنجبين.
١٥- مقالة في اللانهاية.
١٦- كتاب تعاليق، علقه عنه تلميذه أبو منصور ابن زيلا.
١٧- مقالة في خواص خط الاستواء.
١٨- المباحثات، بسؤال تلميذه أبي الحسن بهمنيار بن الموزبان وجوابه له.
١٩- عشر مسائل أجاب عنها لأبي الريحان البيروني.
٢٠- جواب ست عشرة مسألة لأبي الريحان.
٢١- مقالة في هيئة الأرض من السماء وكونها في الوسط.
٢٢- كتاب الحكمة المشرقية، ولا يوجد تاماً.
٢٣- مقالة في تعقب المواضع الجدلية.
٢٤- المدخل إلى صناعة الموسيقى، وهو غير الموضوع في النجاة.
٢٥- مقالة في الأجرام السماوية.
٢٦- كتاب التدارك لأنواع خطأ التدبير سبع مقالات ألفه لأبي الحسن أحمدابن محمد السهلي.
٢٧- مقالة في كيفية الرصد ومطابقته مع العلم الطبيعي

٢٨- مقالة في الأخلاق،
٢٩- رسالة إلى الشيخ أبي الحسن سهل بن محمد السهيلي في الكيمياء،
٣٠- مقالة في آلة رصدية ،صنعها بأصفهان عند رصده لعلاء الدولة،
٣١- مقالة في غرض قاطيغورياس،
٣٢- الرسالة الأضحوية في المعاد،صنفها للأمير أبي بكر محمد بن عبيد
٣٣- معتصم الشعراء في العروض،صنفه ببلاده وله سبع عشرة سنة
٣٤- مقالة في حد الجسم.
٣٥- الحكم العرشية ،وهو كلام مرتفع في الإلهيات عهد له عاهد الله به لنفسه.
٣٦- مقالة في أن علم زيد غير علم عمرو.
٣٧- كتاب تدبير الجند والمماليك والعساكر وأرزاقهم وخراج الممالك.
٣٨- مناظرات جرت له في النفس مع أبي علي النيسابوري.
٣٩- خطب وتمجيدات وأسجاع، جواب يتضمن الاعتذار فيما نسب إليه من الخطب.
٤٠- مختصر أوقليدس، وأظنه المضموم إلى النجاة.
٤١- مقالة الأرثماطيقي.
٤٢- عشر قصائد وأشعار في الزهد وغيره ويصف فيها أحواله.
٤٣- رسائل بالفارسية والعربية ومخاطبات، ومكاتبات وهزليات.
٤٤- تعاليق مسائل حنين في الطب.
٤٥- قوانين ومعالجات طبية.
٤٦- مسائل عدة طبية، عشرون مسألة سأله عنها بعض أهل العصر.
٤٧- مسائل ترجمها بالتذاكير جواب مسائل كثيرة.
٤٨- رسالة إلى علماء بغداد يسألهم الإنصاف بينه وبين رجل همداني يدعي الحكمة.
٤٩- رسالة إلى صديق يسأله الإنصاف بينه وبين الهمداني الذي يدعي الحكمة.
٥٠- جواب لعدة مسائل، كلام له في تبيين ماهية الحروف.
٥١- شرح كتاب النفس لأرسططاليس، ويقال: إنه من الإنصاف.
٥٢- مقالة في النفس تعرف بالفصول.
٥٣- مقالة في إبطال أحكام النجوم.
٥٤- كتاب الملح في النحو.
٥٥- فصول إلهية في إثبات الأول.
٥٦- فصول في النفس والطبيعيات.
٥٧- رسالة إلى أبي سعيد بن أبي الخير الصوفي في الزهد.
٥٨- مقالة في أنه لا يجوز أن يكون شيء واحد جوهراً وعرضاً.
٥٩- مسائل جرت بينه وبين بعض الفضلاء في فنون العلوم.
٦٠- تعليقات استفادها أبو الفرج الطيب الهمداني من مجلسه وجوابات له.

٦١- مقالة ذكرها في تصانيفه أنها من الممالك وبقاع الأرض.

٦٢- مختصر في أن الزاوية التي من المحيط والمماس لا كمية لها.

٦٣- أجوبة لسؤالات سأله عنها أبو الحسن العامري وهي أربع عشرة مسألة منها كتاب الموجز الصغير في المنطق.

٦٤- كتاب قيم الأرض في وسط السماء، ألفه لأبي الحسين أحمد بن محمد السهلي.

٦٥- كتاب مفاتيح الخزائن في المنطق.

٦٦- كلام في الجوهر والعرض.

٦٧- كتاب تأويل الرؤيا.

٦٨- مقالة في الرد على مقالة الشيخ أبي الفرج بن الطيب.

٦٩- رسالة في العشق ألفها لأبي عبد الله الفقيه.

٧٠- رسالة في القوى الإنسانية وإدراكاتها.

٧١- قول في تبيين ما الحزن وأسبابه.

٧٢- مقالة إلى أبي عبيد الله الحسين بن سهل بن محمد السهيلي في أمر مشوب.

ويوجد بعض الكتب الأخرى لم يذكرها ابن أبي أصبعة قيل: (فقد البعض منها، وبعضها ما هو إلا رسائل صغيرة، وبعضها ما كتب على شكل مقالةٍ أو رسالة ضمت من قبل ابن سينا إلى كتاب.

ومن الكتب التي لم يتوصل ابن أبي أصبيعة إلى إحصائها ومنها:

١- إثبات النبرات من النفس الناطقة وأحوالها.

٢- بحث في القوى النفسانية ورسالة في معرفة ورسالة في الكلام على النفس الناطقة نشرها أحمد فؤاد الأهواني مع (أصول النفس) في مصر سنة ١٣٧١هـ ، ١٩٥٢م.

٣- أسباب حدوث الحروف: وقد نشره محب الدين الخطيب في مطبعة المؤيد بمصر سنة ١٣٣٢هـ وهو كذلك يختلف عما أشار إليه ابن أبي أصيبعة.

٤- وفي مجموعة «تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات»: التي نشرت في القسطنطينية سنة ١٢٩٨، وفي بمباي سنة ١٣١٨، وفي القاهرة سنة ١٣٢٦، نجد مما لم يطبع رسالة «إثبات النبوات».

٥- «دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية».

٦- وهناك «ديوان ابن سينا»: وقد نشره «حسين محفوظ» في مطبعة الحيدري في طهران سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م، كما طبعه «نور الدين عبد القادر» في مكتبة الفراديس في الجزائر سنة ١٩٦١، مع ترجمة فرنسية لهنري جاهن وفيه قصائد تختلف عما ذكره ابن أبي أصيبعة في الرقم (٦٥).

٧- رسائل ابن سينا وكتاب الفرق بين الروح والنفس: لقسطا بن لوقا حققه: حلمي هيفا أولكن، ونشره في استانبول.

٨- وهناك مجموع حققه «ميكائيل بن يحيى المهرني»: وطبع في مطبعة بريل بليدن سنة ١٨٨٨/ ١٨٨٩ ثم ١٨١٧ بعنوان: «رسائل الشيخ الرئيس في أسرار الحكمة المشرقية» وهو اربعة أجزاء في مجلد

واحد يتضمن مما ذكره ابن أبي أصيبعة:

أ- رسالة حي ابن يقظان – ب- وبعض أنماط «الإشارات» – ج- ورسالة في العشق – د- ورسالة في القدر.

٨ – رسالة في ماهية الصلاة.

الفكر التربوي عند ابن سينا – م٤

رسالة في رفع الغم من الموت.

١٠- الرسالة الألواحية: حققها محمد سويس ونشرها مركز الدراسات والأبحاث في الجامعة التونسية بتونس سنة ١٩٧٥.

١١- رسالة الحث على الذكر: طبعت في مجموع رسائل الشيخ... في حيدر أباد الدكن سنة ١٣٥٤هـ.

١٢- رسالة في الحجج العشر في جوهرية النفس الناطقة: في المجموع السابق الذكر أيضاً.

١٣- رسالة السياسة: نشرت في كتاب مقالات فلسفية قديمة – بيروت سن ١٩١١م، ولهذه الرسالة أهمية كبيرة في التربية سنوضحها في ثنايا الكتاب.

١٤- رسالة في الفعل والانفعال: طبعت في حيدر أباد الدكن من منشورات دار المعارف العثمانية سنة ١٣٥٣هـ.

١٥- رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها لابن سينا: نشرت بتحقيق ثابت الفندي سنة ١٩٣٤م.

١٦- وقد حقق عبد الرحمن بدوي «مجموعة مقالات ابن سينا»: ونشرها له المعهد الفرنسي بمصر سنة ١٩٥٤، وفيها كثير مما لم يذكر سابقاً.

ويرى بعض الباحثين أن مخطوطاته التي لم يتم طباعتها أكثر بكثير، ولذلك فقد دهش علماء الغرب من كثرة إنتاج هذا المفكر المسلم حتى قال سارتون:

«ولست أدري كيف أتفق لابن سينا أن ينتج هذا الإنتاج الضخم وسط حياته القلقة المضطربة، فلم يكتب كتبه التي بلغت – ستة وسبعين ومائتين – لم يكتبها في بلد واحد، ولا في فترة واحدة متصلة، ولا في دولة واحدة وإنما كان يحرر رسائله الصغيرة في أثناء رحلاته» (عبد الحليم منتصر، بدون تاريخ، مجلة تراث الإنسانية). والسؤال الذي يطرح نفسه إلى أي حد تغنينا الكتب التي وصلت إلينا عن الكتب التي لم تصل؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تقتضي أولاً تقسيم كتبه حسب موضوعاتها أخذاً من الثبت الذي قدمه ابن أبي أصيبعة، ثم التعقيب على ذلك ببيان ما وصل إلينا في الموضوع خصوصاً مما نشر حتى الآن.

كتب الحكمة الجامعة والمتخصصة:

إن من أبرز الموضوعات عنده كتب الحكمة، وهي في حد ذاتها تقسم إلى كتب جامعة، وكتب متخصصة.

وفي الصفحة التالية نقدم لائحة بأسماء كتب الحكمة الجامعة تبين اسم الكتاب، ورقمه في ثبت ابن أبي أصيبعة السابق ثم نشير في حقل الملاحظات إلى المطبوع منه أو غير المطبوع. ثم نتبع ذلك ببيان الكتب الحكمية المتخصصة ببعض الموضوعات، ثم بقية الفنون، نتبعه إن شاء الله ببيان المطبوع من كتبه حسب موضوعاتها مع التعليق بعدها على ما يناسب مطلوبنا من حيث غناها أو عدمه.

– ونشير إلى أن أبرز الموضوعات عند الشيخ الرئيس (كتب الحكمة الجامعة والمتخصصة) التي جاءت في ثبت ابن أبي أصيبعة بعضها مطبوع والآخر غير مطبوع.

من كتب الحكمة الجامعة عند ابن أبي أصيبعة للشيخ الرئيس:

١– كتاب اللواحق، ويذكر أنه شرح «الشفاء» الذي جمع جميع العلوم الأربعة.

٢– كتاب الحاصل والمحصول، وهو قريب من عشرين مجلدة.

٣– كتاب الإنصاف، عشرون مجلدة.

٤– كتاب المجموع، ويعرف بالحكمة العروضية.

٥– كتاب النجاة، وهو مختصر الشفاء.

٦– كتاب الإشارات والتنبيهات.

٧– كتاب الهداية.

٨– كتاب عيون الحكمة.

٩– المباحثات.

١٠– كتاب الحكمة المشرقية.

١١– كتاب التعليقات ويحتوي على أكثر من ألف نبذة عن حياته عند الشيخ.

ومن الكتب المتخصصة عنده والمقالات:

أ– الإلهيات:

١– الخطب التوحيدية في الإلهيات.

٢– الحكمة العرشية، وهو كلام مرتفع في الإلهيات.

٣– فصول إلهية في إثبات الأول.

٤– رسالة في العشق.

ب – المنطق والجدل والحدود:

٥– كتاب الأوسط الجرجاني.

٦– كتاب الموجز الكبير.

٧– الموجز الصغير وهو منطق النجاة.

٨– العقيدة المزدوجة في المنطق.

٩– مقالة في الإشارة إلى علم المنطق.

١٠– كتاب مفاتيح الخزائن في المنطق.

١١– كتاب الحدود.

١٢– مقالة في تعقب المواضع الجدلية.

١٣– مقالة في حد الجسم.

ج – الجوهر والعرض:

في أن لا يجوز أن يكون شيء واحد جوهراً وعرضاً.

كلام في الجوهر والعرض.

د – الحروف:

مقالة في مخارج الحروف

كلام في تبيين ماهية الحروف

هـ – الرصد والهيئة والأرض

١- كتاب الأرصاد الكلية.

٢- مقالة في آلة رصد صنعها لعلاء الدولة.

٣- مقالة في غرض قاطيغورياس.

٤- مقالة في خواص خط الاستواء.

٥- مقالة في هيئة الأرض من السماء وكونها وسطاً.

٦- مقالة في الأجرام السماوية.

٧- مقالة في كيفية الرصد ومطابقته للطبيعيات.

٨- مقالة ذكرها أنها في الممالك وبقاع الأرض.

٩- كتاب قيام الأرض في وسط السماء.

١٠- مقالة في إبطال أحكام النجوم.

و- الرياضيات:

١- رسالة إلى أبي سهل المسيحي في الزاوية.

٢- مقالة في عكوس ذوات الجهات.

٣- مقالة في اللانهاية.

٤- مختصر أوقليدس المضموم إلى النجاة.

٥- مقالة الأرثماطيقي.

٦- في أن الزاوية التي من المحيط والمماس لا كمية لها.

ز- الطب:

١- كتاب القانون في الطب.

٢- كتاب القولنج صنفه بقلعة قردجان.

٣- كتاب الأدوية القلبية صنفها بهمدان.

٤- مقالة في النبض بالفارسية.

٥- مقالة في تعرض رسالة الطبيب في القوى الطبيعية.

٦- مقالة في الهنديا.

٧- رسالة في السكنجبين.

٨- كتاب التدارك لأنواع خطأ التدبير.

٩- تعاليق مسائل حنين في الطب.

١٠- قوانين ومعالجات.

١١- مسائل عدة طبية عشرون مسألة.

ح- العلوم:

١- مقالة في تقاسيم الحكمة والعلوم.

٢- عشر مسائل أجاب عنها لأبي الريحان البيروني.

٣- جواب ست عشرة مسألة أجاب عنها لأبي الريحان البيروني.

٤- رسالة في الكيمياء إلى الشيخ أبي الحسن السهلي.

ط - في النفس:

١- كتاب المبدأ والمعاد في النفس صنفه للشيرازي.

٢- مقالة في القوى الطبيعية إلى أبي سعد اليمامي.

٣- مناظرات في النفس مع أبي علي النيسابوري.

٤- شرح كتاب النفس لأرسطاليس ويقال إنه من الإنصاف.

٥- مقالة في النفس تعرف بالفصول.

٦- فصول في النفس والطبيعيات.

٧- كتاب تأويل الرؤيا.

٨- رسالة في القوى الإنسانية وإدراكاتها.

٩- قول في تبيين ما الحزن وما أسبابه.

١٠- مقالة في أن علم زيد غير علم عمرو.

ي- القصص الرمزي:

١- رسالة حي بن يقظان.

٢- رسالة الطير.

ك- الأخلاق والزهد

١- كتاب البر والإثم صنفه للفقيه البرقي في الأخلاق.

٢- مقالة في تحصيل السعادة = الحجج الغر.

٣- مقالة في القضاء والقدر.

٤- مقالة في الأخلاق.

٥- الرسالة الأضحوية في المعاد.

٦- عشر قصائد وأشعار في الزهد.

٧- رسالة إلى أبي سعيد بن أبي الخير الصوفي.

٨- كتاب المعاد صنفه بالري للملك مجد الدولة.

- في اللغة والموسيقى

١- لسان العرب.

٢- كتاب الملح في النحو.

٣- خطب وتمجيدات وأسجاع في الاعتذار.

٤- المدخل إلى صناعة الموسيقى، وهو غير الموضوع في النجاة.

- **كتب بالفارسية:**

١- كتاب دانش ماية العلائي.

٢- رسائل بالفارسية والعربية ومخاطبات.

- **التعاليق:**

١- كتاب تعاليق علقه عنه تلميذه أبو منصور بن زيلا.

٢- تعليقات أبي الفرج الطيب الهمداني.

ومن أبرز كتب المتفرقات:

- **متفرقات**

كتاب تدبير الجند والممالك والعساكر وأرزاقهم وخراج الممالك.

- **رسائل وجوابات:**

١- مسائل ترجمها بالتذاكير جواب مسائل كثيرة.

٢- رسالة إلى علماء بغداد.

٣- رسالة إلى صديق.

٤- أجوبة أبي الحسن العامري -١٤- مسألة.

٥- الرد على أبي الفرج بن الطيب.

ونشير إلى أن أبرز الموضوعات عند ابن سينا (كتب الحكمة الجامعة والمتخصصة) التي جاءت في ثبت ابن أبي أصيبعة بعضها مطبوع والآخر غير مطبوع، كما أشرنا سابقاً ومن الطبعات التي وصلت إلينا:

١- طبعات كتاب الشفاء: فقد طبع بداية في طهران سنة ١٣٠٣هـ كما طبع في (براغ) سنة ١٩٥٦م ويوجد منه صورة بجامعة القاهرة، كما تم طباعته في المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ ١٩٥٢، في ثلاثة أجزاء - تضمنت مختلف العلوم الرياضية في أصول الهندسة والرياضيات، والطبيعيات، وقد نشر محمود قاسم من الطبيعيات ثلاثة أبواب هي:

السماء والعالم، الكون والفساد، والأفعال والانفعالات في دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٩م وكانت من نتيجة دأب ابن سينا أن أصبحت المعلومات عنده ملكة كاملة في معالجة كافة العلوم وتحري الحقيقة فيها كما جاء في قوله:

«وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم، ووقفت عليها بحسب الإمكان الإنساني، وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن، ولم أزد فيه إلى اليوم، حتى أحكمت علم المنطق والطبيعي والرياضي!!

وبعد تمكنه وإتقانه علوم الطبيعة وآلاتها انتقل إلى دراسة ما بعد الطبيعة وبذلك يقول:

«ثم عدلت إلى الآلهي، وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة، فما كنت أفهم ما فيه، والتبس عليّ غرض واضعه، حتى أعدت قراءته أربعين مرة، وصار لي محفوظاً، وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به، وأيست من نفسي

وقلت: «هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه».

وإذا أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين، وبيدي دلال مجلد ينادي عليه، فعرضه عليّ، فرددته رد متبرم معتقد أن لا فائدة من هذا العلم. فقال لي: اشتر مني هذا فإنه رخيص، أبيعكه بثلاثة دراهم، وصاحبه محتاج إلى ثمنه، واشتريته فإذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة.

«ورجعت إلى بيتي وأسرعت قراءته فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب، بسبب أنه كان محفوظاً لي على ظهر القلب، وفرحت بذلك، وتصدقت في ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى».

وهذا يشير إلى الغموض الذي جاء في كتاب «ما بعد الطبيعة لأرسطوطاليس» ويؤكد ذلك أن ابن سينا نفسه احتاج لمراجعة الكتاب أكثر من أربعين مرة، دون فهم والغرض منه، إلا أنه استطاع وبطريق الصدفة شراء كتاب لأبي نصر الفارابي (كتاب ما بعد الطبيعة) الذي شرح فيه مغالق علم الطبيعة حيث فهم من جلسّة واحدة. وقد أشار ابن سينا إلى ذلك بقوله:

«كتاب في أغراض الحكيم في كل مقالة من الكتاب المرسوم بالحروف» وقد طبع الكتاب في ليدن ١٨٩٠م كما طبع في مصر سنة ١٩٠٧م.

وقد أشار الباحثون إلى أن ابن سينا حصل على الفلسفة اليونانية من شروح المسلمين لها وفي طليعتهم الفارابي، ويؤكد ذلك قوله:

«وتصدقت في ثاني يوم بشيء كثير... شكراً لله تعالى... وهذا دليل إيمانه بالله».

لقد كان ابن سينا محباً للمطالعة شغوفاً بها، دقيق الملاحظة لنفسه وأحوالها فإذا هو يقرر حقيقة نفسية تتعلق بالتعلم الذي يكون حفظاً في أول أمره وهذا يساعد على النضج والإدراك، ويقول ابن سينا:

«فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري، فرغت من هذه العلوم كلها، وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ، ولكنه اليوم معي أنضج، وإلا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء».

وقد ظهر لابن سينا مجموعة رسائل كان من أبرزها رسالة في الفعل والانفعال وأقسامها في مجموعة رسائل ابن سينا التي نشرت في حيدرأباد الركن في دائرة المعارف العثمانية سنة ٣٥٣.

- **كتاب المنطق.**
- تناول ابن سينا في كتاب المنطق أجوبته إلى أبي سعيد بن أبي الخير – وهي تتضمن خمسة أسئلة لابن أبي الخير في موضوعات مختلفة منها المنطق.
- الأجوبة عن المسائل العشرينية (عشرون مسألة في المنطق).
- أرجوزة في المنطق.

كما ظهر كتاب العبارة بتحقيق محمود الخضيري في دار الكاتب العربي سنة ١٩٧٠م.

وكذلك «القياس» بتحقيق سعيد زايد في المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة سنة ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م.

ونشر الدكتور عبد الرحمن بدوي في مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤هـ – ١٩٥٤م، كتاب «البرهان».

وكانت الطبعة الثانية بدار النهضة العربية بمصر سنة ١٩٦٦م.

وعن المنطق في غير كتاب الشفاء نجد «منطق المشرقيين» و«القصيدة المزدوجة» وقد نشرتهما المكتبة السلفية بمصر سنة ١٩١٠م.

وأما عن الشعر من كتاب الشفاء:

– فقد نشر عبد الرحمن بدوي كذلك في الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م: «كتاب الشعر».

– ونشر المعهد الفرنسي بمصر سنة ١٩٥٢ المقالة العاشرة من الشفاء.

– كما نشر الدكتور عبد الحليم المنتصر موجزاً عن الجزء الخاص بالطبيعيات والمعادن والنبات في سلسلة «تراث الإنسانية».

ومن الكتب الجامعة في الحكمة أيضاً:

كتاب الإشارات والتنبيهات:

وهو أجود ما صنف في الحكمة، وقد تولى شرحه من بعده كثيرون أمثال الطوسي نصير الدين وفخر الدين الرازي وابن طفيل.

وقد نشر سليمان دنيا بتحقيقه كتاب الإشارات بشرح نصير الدين الطوسي أولاً في دار إحياء الكتاب العربي بمصر سنة ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م، ثم نشره في دار المعارف بمصر في سلسلة ذخائر العرب في أربعة أجزاء مجموعة في ثلاثة مجلدات سنة ١٩٦٠م ثم ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.

لكن أقدم طبعة من طبعاتها هي طبعة فورجيت بليدن سنة ١٨٩٢م.

أما دار الطباعة في القاهرة فقد أخرجتها تحت عنوان «شرحي الإشارات لنصير الدين الطوسي وفخر الدين الرازي» سنة ١٣٢٥هـ في جزئين ومجلد واحد.

كما أخرجت «شرح الإشارات لابن طفيل سنة ١٩٢٠م».

وفي مطبعة بريل في ليدن، نشر ميكائيل بن يحيى المهرني سنة ١٨٨٨م/١٨٨٩م، مجموعة من مؤلفات ابن سينا باسم: رسائل الشيخ الرئيس ابن سينا في أسرار الحكمة المشرقية وهي ٤ أجزاء مع ترجمة فرنسية، ومن رسائلها:

الأنماط الثلاثة الأخيرة من الإشارات، ومن الكتب الجامعة كذلك.

٣– كتاب المباحثات:

وهو أجوبة الشيخ على مسائل تلميذه «بهمنيار»، وقد نشره عبد الرحمن بدوي ضمن كتابه عن: «أرسطو عند العرب» في القاهرة سنة ١٩٤٧م ص: ١٢٢ – ٢٣٩.

– وكتاب التعليقات:

وهي تعليقات استفادها من الشيخ الرئيس تلميذه أبو الفرج الطيب الهمذاني حسب قول ابن أبي أصيبعة، وقد نشرت بتحقيق عبد الرحمن بدوي في سلسلة المكتبة العربية برقم ١٣٠ تحت إشراف الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة سنة ١٣٩٢هـ – ١٩٧٣م، وهي قريب من مئتي صفحة وعليها تعليقات لتلميذ ابن سينا بهمنيار.

وقد ذكر الأستاذ محمد رضا الشبيبي في كتابه «تراثنا الفلسفي» المطبوع في مطبعة العاني ببغداد سنة

١٩٦٥م، أنه وجدها في مجموع خطي في مكتبة النجف، ويقول عنها الشبيبي: «وهو أكبر كتاب في المجموع وعدد صفحاته ١٧٨ وفيه ١٠٨٨ نبذة، تولى عملها أبو العباس اللوكري تلميذ بهمنيار سنة ٥٠٣هـ.

٥- ومن الكتب الجامعة كتاب النجاة:

وأما كتاب النجاة فقد طبع طبعات تجارية، كما طبع بتحقيق محي الدين صبري الكردي سنة ١٣٣١هـ - ثم أعيدت طباعته سنة ١٩٣٨م وهو في حدود ٣١٢ صفحة.

٦- ومن الكتب الجامعة كتاب الهداية:

وأما كتاب الهداية، فقد طبع بتحقيق محمد عبده مرتين في مكتبة القاهرة الحديثة، آخرهما سنة ١٩٧٤م، وهي في حدود ٣٣٥ صفحة.

٧- ومنها: كتاب عيون الحكمة:

وقد طبع كتاب «عيون الحكمة» بتحقيق عبد الرحمن بدوي في مصر سنة ١٩٥٤م.

ثانياً: كتب في الحكمة لم تطبع بعد والرأي فيها:

١- الكتب الجامعة:

يبقى في إطار الكتب الجامعة للحكمة، مما ذكره ابن أبي أصيبعة خمسة كتب هي:

١- كتاب اللواحق.

ويذكر أنه شرح الشفاء.

٢- كتاب الحاصل والمحصول.

يقول ابن أبي أصيبعة: إنه لا يوجد منه إلا نسخة الأصل، فقد كان معرضاً للضياع من أيام ابن أبي أصيبعة.

إلا أنه من الكتب التي ألفها في أول حياته ولذلك نعتقد أن الكتب التي ألفها بعد أن نضج تغني عنه.

٣- كتاب الإنصاف:

يقول ابن أبي أصيبعة إنه في عشرين مجلدة، وقد شرح فيه كتب أرسططاليس، وأنصف بين المشرقيين والمغربيين.

وكذلك نعتقد أن الكتب الجامعة للحكمة المطبوعة حتى اليوم تغني عنه إن لم يوجد.

٤- كتاب المجموع:

ويعرف بالحكمة العروضية، صنفه وله إحدى وعشرون سنة لأبي الحسن العروضي من غير الرياضيات. فلا شك أن الكتب التي صنفها بعده أنضج وأشمل، وهي كذلك تغني عنه.

٥- وأخيراً كتاب الحكمة المشرقية:

وهو بلا شك غير ما طبعه «ميكائيل بن يحيى المهرني» في ليدن سنة ١٨٨٩/٨٨م تحت اسم «رسائل الشيخ الرئيس ابن سينا في أسرار الحكمة المشرقية» لأن كتاب المهرني مجموعة رسائل في موضوعات متعددة، والمفروض ابن أبي أصيبعة يقصد كتاباً موحداً. فلعل هذا الكتاب ينقصنا لبيان رأي ابن سينا في الحكمة المشرقية.

ثالثاً: الكتب المخصصة والمقالات:

لقد أشرنا إلى أن لابن سينا في الحكمة، إلى جانب كتبه الجامعة، كتباً أو رسائل أو مقالات، في موضوعات خاصة من الحكمة من مثل:

أ- الإلهيات - ب - المنطق والجدل والحدود - جـ - الجوهر والعرض - د - الحروف - هـ - الرصد - و - الرياضيات وغيرها....

وقد أشرنا في الفقرة السابقة عن الكتب المطبوعة إلى بعض الموضوعات الخاصة مثل المنطق والشعر...

ونحن نعتقد أن ما ورد في الكتب العامة عن بعض الموضوعات يغنينا عن بعض الرسائل، ولذلك فسنقتصر هنا على ذكر المطبوع مما يتعلق بالموضوعات التي تغني عنها الكتب الجامعة. وهي:

أ- في الآلهيات:

١ - الحكمة العرشية:

وقد ذكر ابن أبي أصيبعة عنها أنها كلام مرتفع في الآلهيات وعهد له عاهد الله به لنفسه، ونحن نجد في المجموعة التي تحمل عنوان: [تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات] رسالة بعنوان «رسالة العهد».

وقد طبع المجموع عدة طبعات أولها في مطبعة الجوائب في القسطنطينية سنة ١٢٩٨هـ، ثم في مطبعة هندية بالقاهرة سنة ١٩٠٨م، ثم في مطبعة كلزار حسن في بمباي سنة ١٣١٨هـ.

كما نشر عبد الرحمن بدوي في كتاب أرسطو عند العرب ص ٢٤٧، نسخة عهد به ابن سينا لنفسه.

٢- وهناك: «رسالة العشق»:

وقد طبعها ميكائيل المهري في مطبعة بريل - ليدن - سنة ١٨٨٩/٨٨م مع مجموعة رسائل الأخرى باسم: رسائل الشيخ الرئيس ابن سينا في أسرار الحكمة المشرقية مع ترجمة فرنسية، ٤ أجزاء في مجلد واحد.

٣- أما الخطب التوحيدية:

فقد أفاد الأستاذ رضا الشبيبي في كتابه «تراثنا الفلسفي» أنه قد عثر عليها في مجموع في خزائن كتب النجف، ولكن الأستاذ الشبيبي قد وهم بأن هذه «الخطب التوحيدية» هي نفس رسالة «خطب وتمجيدات» التي تحدث عنها ابن أبي أصيبعة تحت رقم [٦٢] حيث يقول إنها مجموعة اعتذارات لا دخل لها بالإلهيات.

ب- وقد أشرنا إلى ما طبع في المنطق قبلاً.

ج- أما في الجوهر والعرض فقد نشرت منه رسالة في مجموع صدر في حيدر أباد الدكن سنة ١٣٥٤هـ تحت اسم: «مجموع رسائل الشيخ الرئيس».

د- أما الحروف فلم يطبع مما ذكره فيها ابن أبي أصيبعة شيء، غير أن محب الدين الخطيب قد نشر في مطبعة المؤيد سنة ١٣٣٢هـ، كتيباً باسم «أسباب حدوث الحروف» لابن سينا، وهو يقع في حوالي عشرين صفحة، كذلك أشار عبد الرحمن بدوي في كتابه «أرسطو عند العرب» إلى شرح ابن سينا لحرف اللام، ونكتفي عن «الرياضيات» و«الرصد» و«الهيئة» وأمثالها بما جاء في الكتب الحكمية الجامعة لأن هذه العلوم قد تقدمت اليوم تقدماً كبيراً بسبب ما تهيأ لها من وسائل البحث، وما نعتقد أن بحوث ابن سينا في الموضوع تفيدنا في أكثر من العرض التاريخي لتطور هذه العلوم، ولغرض العرض التاريخي يمكن أن يستغنى بما جاء في الكتب الحكمية الجامعة. إنما يهمنا أن نبرز من الموضوعات الخاصة: كتب الطب والدراسات النفسية.

٥- كتب الطب والعلوم:

١- كتب الطب:

رأينا أن المطبوع من كتب الطب هو كتاب القانون في الطب [٧]، وأقدم طبعة له في العالم الإسلامي هي طبعة بولاق في المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٢٩٤هـ، في ثلاثة مجلدات، وصدرت عن هذه الطبعة في بيروت تصويراً طبعة دار صادر بدون تاريخ، وذلك بالاشتراك مع مكتبة المثنى ببغداد.

ولكن الكتاب ترجم إلى اللغات الحية جميعاً وكان يدرس في أوربا باللغة اللاتينية طوال أربعة قرون، وقد طبع أخيراً باللغة الروسية، كما طبع باللغة العربية في روما سنة ١٩٥٧م، والمؤسف أن يتوفر مثل هذا الكتاب في اللغة العربية ولا تقوم جماعة من العلماء بالإشراف على طباعته طباعة محققة أحسن من الطبعة التجارية المعروفة باسم «طبعة بولاق». فضلاً عن أن ينبري المتخصصون لدراسته من جميع الجوانب.

وقد لا يكون الكتاب جامعاً لكل آراء ابن سينا وأفكاره في الموضوع ومع ذلك فإن الثروة المتضمنة فيه من الأفكار تكفي للاستغناء عن بقية رسائل ابن سينا الطبية.

- أهمية كتاب القانون للدراسات النفسية:

ولا تقتصر عظمة كتاب القانون على ما فيه من معلومات طبية، بل إن علماء النفس المتعمقين يستطيعون أن يجدوا فيه دراسات نفسية سباقة سواء في علم النفس الفزيولوجي، أو علم نفس النمو، أو في التحليل والعلاج النفسي، فضلاً عن أنه بلا شك أقدم كتاب فتح باب الطب النفسي الجسدي.

وسنخصص بإذن الله فصلاً كاملاً لبيان بعض خصائص الدراسات النفسية في كتاب القانون، ولكننا نشعر بعد الذي ذكرناه عن أهمية هذا الكتاب للدراسات النفسية بأن القارئ في شوق إلى أن يسمع على ما قررناه دليلاً واحداً على الأقل، ولذلك سنكتفي هنا بإعطاء هذا الدليل من تعريف الطب عند ابن سينا في هذا الكتاب إذ يقول في التعليم الأول: حد الطب.

«الطب ينظر في:

١- في الأركان.

٢- والمزاجات.

٣- والأخلاط.

٤- والأعضاء البسيطة والمركبة.

٥- والأرواح وقواها الطبيعية والحيوانية والنفسانية.

٦- والأفعال وحالات البدن من الصحة والمرض والتوسط.

٧- وأسبابها: من المآكل والمشارب والأهوية والمياه والبلدان والمساكن.

٨- والاستفراغ والاحتقان.

٩- والعادات والحركات البدنية والنفسانية.

١٠- والسكونات.

١١- والأسنان والأجناس.

١٢- والواردات على البدن من الأمور الغريبة.

١٣- والتدبير بالمطاعم والمشارب... الخ».

فمن هذا التعريف نرى:

١- أن التشخيص عنده لا يعتمد فقط على تشريح الأعضاء البسيطة والمركبة، إنما هو تشخيص نفسي

جسدي يشمل الأرواح وقواها الطبيعية والحيوانية والنفسانية.

٢- كما يشمل الأفعال أو ما يسمونه اليوم بالسلوك.

٣- بالإضافة إلى أثر البيئة الطبيعية: البلدان والمساكن.

٤- والبيئة الجسدية: الاستفراغ والاحتقان.

٥- والبيئة الاجتماعية: الصناعات والعادات.

٦- والبيئة النفسية: الحركات البدنية والنفسانية والسكونات.

٧- والدراسة التطورية: الأسنان والأجناس... الخ.

فمن هذا التعريف يتبين أن ابن سينا زعيم المدرسة النفسية في الطب، وأنه رائد في الدراسات النفسية الجسدية بمختلف ميادينها.... وسنزيد الموضوع وضوحاً في الفصول القادمة إن شاء الله.

٢- كتبه في العلوم:

كذلك من سوء الحظ أن كتبه ومقالاته في العلوم كالفيزياء والكيمياء لم تطبع على أفكار قيمة لأن كتاب القانون قد شرح لنا عناية ابن سينا بالمنهج التجريبي، والمنهج التجريبي هو لب الدراسات العلمية في الفيزياء والكيمياء.

أضف إلى ذلك أن بعض هذه الكتب مساجلات بين ابن سينا وبين عالم إسلامي كبير له شهرته هو أبو الريحان البيروني. فعسى أن يكون قريباً يوم ترى فيه هذه الأبحاث عناية من الباحثين.

وننتقل بعد هذا إلى بيت القصيد من حديثنا عن كتبه وهو المتعلق بالدراسات النفسية عنده.

٦- الدراسات النفسية:

وإذا ما استعرضنا ما طبع عن النفس من مؤلفات ابن سينا لم نجد مما ذكره ابن أبي أصيبعة إلا:

١- رسالة القوى الإنسانية (٩٤)، وقد نشرت مع مجموعة تحت اسم «تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات» طبعت في القسطنطينية سنة ١٢٩٨هـ ثم في بومباي سنة ١٣١٨هـ، ثم في القاهرة سنة ١٣٢٦هـ . ١٩٠٨م.

٢- وقد نشرت دار العلم للملايين ملحقاً بكتاب عن «فلسفة ابن رشد» بحثاً عن القوى الإنسانية، يشبه ما ورد في «تسع رسائل» ومع ذلك فقد نشرت كتب ومقالات أخرى في موضوع النفس، غير ما ذكره ابن أبي أصيبعة أهمها:

١- ما نشرهُ «أحمد فؤاد الأهواني» سنة ١٣١٧هـ-١٩٥٢م تحت عنوان: أحوال النفس، من تحقيقه، وقد نشر معه ثلاث رسائل:

أ - بحث في القوى النفسانية.

ب- ورسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها.

ج- ورسالة في الكلام عن النفس الناطقة.

٢- وما نشره ثابت الفندي سنة ١٩٣٤م تحت عنوان رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها، وهي التي سبق أن ذكرت فيما نشره الأهواني أيضاً.

٣- وكذلك نشر «حلمي هيفاء أولكن» في استانبول كتاباً بعنوان: رسائل ابن سينا وكتاب الفرق بين الروح والنفس لقسطا بن لوقا.

٤- وقد طبع في حيدر أباد الدكن في مجموع رسائل الشيخ الرئيس سنة ١٣٥٤هـ رسالة عنوانها: رسالة في الحجج العشر في جوهرية النفس الناطقة.

٥- وهنالك طبعات تجارية لرسائل صغيرة مثل:

هدية الرئيس للأمير: بحث عن القوى النفسية ولعلها هي «الرسالة في النفس» التي ألفها ابن سينا للأمير نوح بن منصور.

٦- ويشير ابن أبي أصيبعة إلى أن ابن سينا قد شرح كتاب النفس لأرسطوطاليس باللغة الفارسية ونحن نعرف أن أول من ترجم هذا الكتاب إلى العربية هو إسحق بن حنين وقد نشر عبد الرحمن بدوي تلك الترجمة في كتابه: «أرسطو عند العرب» سنة ١٩٥٤م.

٧- ولكن موضوع «النفس» قد بحث بتفصيل في الكتب الجامعة للحكمة من مثل:

أ- الشفاء حيث يخصص من الفن السادس من الطبيعيات كتاباً للنفس، يتحدث فيه عن نفس النبات ونفس الحيوان ونفس الإنسان، وقد أشرنا إلى أن الهيئة المصرية العامة للكتاب قد أخرجت كتاب «الطبيعيات والنفس» من «الشفاء» بتحقيق قنواتي وسعيد زايد سنة ١٩٧٥م.

ب- وليس كتاب «النجاة» إلا ملخص كتاب الشفاء فهو يحتوي على أبحاثه كلها باختصار من مثل وجود النفس وقواها... ألخ.

ج- وكذلك كتاب الإشارات والتنبيهات يحتوي لفتات هامة عن الذات أو الشخصية ووجودها والشعور بها.

د- وقل مثل ذلك في كل كتب الحكمة كالتعليقات والمباحثات.... الخ.

٨- **القصيدة العينية:**

ولعل مما استأثر باهتمام الباحثين قصيدة ابن سينا في النفس، وهي تعرف باسم القصيدة العينية، وقد ذكرها ابن أبي أصيبعة كاملة، وقد كتبت عليها شروح كثيرة وتعليقات نذكر منها:

أ- شرح عينية ابن سينا لنعمة الله بن عبد الله بن محمد أبي حسين توفي سنة ١١١٢هـ، وقد نشر الشرح بتحقيق حسين علي محفوظ في طهران في مطبعة الحيدري، ونشرت معه قصيدة في الرد على ابن سينا لعبد علي الحويزي.

ب- شرح قصيدة النفس لابن سينا، كتبه عبد الرؤوف المناوي، وطبع في مطبعة الموسوعات في مصر سنة ١٣١٨هـ- ١٩٠٠م، ويقع في ١١٩ صفحة.

ج- وكذلك كتاب فتح الله خليف، ابن سينا ومذهبه في النفس، دراسة في القصيدة العينية، نشرته جامعة بيروت العربية في بيروت سنة ١٩٧٤م في ١٨٦ صفحة.

د- كما نشر أحمد أمين مقالاً في «مجلة الثقافة» في العدد ٦٩١ الذي ظهر في مارس سنة ١٩٥٣م تحت عنوان: «عينية ابن سينا». والقصيدة تبدأ بشرح نظرية ابن سينا في النفس وتنتهي بالسخرية من هذه النظرية حيث يقول: «لقد غربت بغير المطلع»، لأن نظرية أفلاطون عنده لا تبين الحكمة من خلق نفس الإنسان بوضوح كما بينها القرآن الكريم حيث قال تعالى:

﴿**لِيبلُوكُمْ أَيُكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ سورة الملك، آية ٢.

٩- إلا أن الصبغة الغالبة على جميع ما سبق من مؤلفات في النفس هي الصبغة الفلسفية، إذ تهتم كثيراً بإثبات وجود النفس واستقلالها عن الجسد بالإضافة إلى البحث في قواها المختلفة.

ولقد شغل أكثر المهتمين بالبحوث النفسية عند ابن سينا بالأعمال الفلسفية هذه.

ولكن أصالة ابن سينا في الدراسات النفسية لا تظهر بوضوح من خلال هذه الكتابات الفلسفية، ولذلك فإننا نعود إلى ما قلناه بمناسبة كتاب «القانون في الطب» ونؤكد أن الدراسة النفسية العلمية عند ابن سينا تتجلى في «كتاب القانون». الذي سنخصه إن شاء الله ببحث مستفيض، يبين ما امتازت به دراسات ابن سينا النفسية من حيث المنهج ومن حيث الموضوع.

١٠- وخلاصة القول إن أفكار ابن سينا عن النفس تتجه اتجاهين أحدهما هو الاتجاه الفلسفي ويكفينا فيه

ما طبع من كتب الحكمة، والآخر علمي يكفينا منه كتاب القانون.

٧- القصص الرمزية:

وقد ذكر منها ابن أبي أصيبعة رسالتين: رسالة حي بن يقظان ورسالة الطير والشبكة.

١- وقد حظيت رسالة حي بن يقظان [١٨] بعناية كبيرة من الناس في القديم والحديث فقد جمعها:

- ابن طفيل أو أعاد كتابتها بأسلوبه، وقد نشر كتابه في مطبعة وادي النيل سنة ١٢٩٩هـ بمصر تحت عنوان: «حي بن يقظان جمع ابن طفيل».

- وتناولها «السهروردي» بالعناية وتابع فيها رحلة «حي بن يقظان» إلى عالم الآخرة.

- ونشرها أحمد أمين تحت اسم: «حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي» مرتين: في مكتبة الخانجي سنة ١٩٥٨م وفي دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦م.

- وطبعها المهرني في المجموعة التي سماها «أسرار الحكمة المشرقية» بليدن سنة ١٨٨٩/٨٨م مع ترجمة فرنسية وشروح مختارة.

- ونشرت لها طبعة تجارية في مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٧هـ- ١٩٠٩م.

والغالب أن يكون الأديب الفرنسي J. J. ROUSSEAU قد سمع بها واقتبس منها قصة «اميل» التي يشير فيها إلى أن الإنسان يستطيع أن يعلم نفسه بنفسه وأن يصل بذلك إلى الحقيقة كاملة، فالقصة إذن تمثل نظرية نفسية تربوية هامة.

٢ - ورسالة الطير [٢٤] كذلك مطبوعة في مجموع:

- أخرجه مهرن سنة ١٩١٧م مع رسائل أخرى منها:

رسالة إجابة الدعاء وكيفية الزيارة.

ورسالة رفع الغم عند وقوع الموت.

ورسالة في الصلاة وماهيتها.

ورسالة الطير هذه.

ورسالة العشق.

- وهنالك مجموع ظهر في مصر باسم «جامع البدائع» فيه كذلك: رسالة الطير، ورسالة العشق، وفيه تفسير سورة الإخلاص والأعلى، والفلق، والناس، وكلها منسوبة إلى ابن سينا.

- ومما لم يذكره ابن أبي أصيبعة في مجال الرمز قصة «أسال وسلامان»، وقد نشرت في مجموع عنوانه «تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، طبع في القسطنطينية في مطبعة الجوائب سنة ١٢٩٨هـ، وأعيدت طباعته بنفس الاسم في القاهرة في مطبعة هندية سنة ١٣٢٦هـ، ١٩٠٨م.

وقد كان القصد من هذه القصص تقريب المعاني الفلسفية من أذهان الناس، فهي في حد ذاتها أسلوب من أساليب التربية ذات هدف شريف يرتفع بالإنسان إلى السعي حتى يعرف الله، وهي على عكس ما نشره «فرويد» في علم النفس الحديث من الأخذ بالأساطير اليونانية التي تعبر عن انحطاط الإنسان وخضوعه الأعمى للعشق والشهوات.

٨- الأخلاق والزهد والدين:

١- في موضوع «الأخلاق والزهد» نجد ابن أبي أصيبعة يذكر لابن سينا ثمانية مؤلفات لم يطبع منها إلا اثنتين هما:

أ- «الرسالة الأضحوية في أمر المعاد»:

وقد نشرها سليمان دنيا بتحقيقه في دار الفكر العربي بمصر سنة ١٩٤٩م، وهي تقع في ١٢٧ صفحة.

ب- «مقالة في الأخلاق»:

ولعلها هي التي نشرت في المجموعة المعروفة باسم «تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات» وقد طبعت في القسطنطينية سنة ١٢٩٨هـ ، وفي مصر سنة ١٣٢٦هـ، ١٩٠٨م، وفي بمباي سنة ١٣١٨هـ. وعنوان الرسالة فيها: «في علم الأخلاق».

٢- ويبدو اهتمام ابن سينا «بالأخلاق» منذ نعومة أظفاره إذ يقول ابن أبي أصيبعة: أن «الرسالة الأضحوية» قد ألفت وله من العمر سبع عشرة سنة..

كذلك صنف «كتاب البر والإثم» في الأخلاق وعمره قريب من العشرين سنة.

ونحن نلاحظ أن «كتاب البر والإثم» لم يؤلف هدية لأمير وإنما أهدي إلى أبي بكر البرقي الذي يقول عنه ابن سينا إنه «فقيه النفس، متوحد في الفقه والتفسير والزهد»، كما يذكر عن أهمية الكتاب أن هذه الفقيه الزاهد قد احتفظ به فلم يعر أحداً ينسخ منه.

٣- ولعله قد كتب في الأخلاق بلغة الفلاسفة، كما كتب بلغة الزهاد والفقهاء، فالأخلاق عند الفلاسفة ترتبط بالسعادة، وقد ذكر له ابن أبي أصيبعة: « مقالة في تحصيل السعادة» تعرف باسم «الحجج الغر». كما يذكر أن له رسالة أخرى بعنوان:

«رسالة السعادة والشقاوة الدائمة في النفوس».

٤- كما يبدو أن كتابته في الأخلاق والزهد والدين، تصدر عن خبرات شخصية إذ يحدثنا ابن أبي أصيبعة عن «مقالته في القضاء والقدر» أنه صنفها في طريقه إلى أصفهان بعد أن لقي كثيراً من المصاعب ثم نجاه الله منها.

وقد نشر المهرني في كتابه الذي طبعه بليدن سنة ١٨٨٩/٨٨م تحت اسم «رسائل الشيخ الرئيس ابن سينا في أسرار الحكمة المشرقية» رسالة عنوانها «في القدر» لا نستطيع أن نجزم أنها هي التي عناها ابن أبي أصيبعة.

٥- وعلى ضوء تسميات رسائله في الأخلاق والزهد والدين يتبين لنا تأثره بالتصوف الإسلامي في هذا الموضوع أكثر من تأثره بالفلسفة اليونانية فالأخلاق عند ابن سينا ترتبط بالحساب يوم المعاد، ولذلك فقد ذكر «المعاد» في الرسالة الأضحوية، ثم جعله كتاباً صنفه بالري للملك نجد الدولة.

وهذا الذي جعلنا نضع الأخلاق والزهد والتدين في عنوان واحد واستعمال ابن سينا للكلمة الإسلامية كلمة «البر» و«الإثم» فيها ظاهر.

وظاهر أيضاً أن كتبه في هذا قد أهديت للصوفية والزهاد كما نرى في الرسالة المرسلة إلى أبي سعيد بن أبي الخير الصوفي في الزهد.

٦- وذلك ما يبرر أن نضم إليها قصائد ابن سينا في الزهد [٦٥]، ولعل ابن أبي أصيبعة قد أخذ عنها بعض ما نشره من أشعار ابن سينا حسبنا أن نذكر منها مثالاً هاهنا حيث يقول:

خير النفوس العارفات ذواتها ... وحقيق كميات ماهياتها

وبم الذي حلت؟ ومم تكونت ... أعضاء بنيتها على هيئاتها

نفس النبات، ونفس حي، ركبا ... هلا كذاك سماته كسماتها

يا للرجال لعظم رزء لم تزل ... منه النفوس تخب في ظلماتها

أفلا تذكر هذه الأبيات التي تستعمل ألفاظ الفلاسفة بالمعاني التي تتردد في القرآن الكريم:

﴿ **فلينَظُر الإنْسَانُ مِمَّ خُلِق۞ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِق۞ يَخْرُجُ من بينِ الصُّلْبِ والتَرائِبْ۞ إنَـهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرْ۞ يَومَ تُبْلَى السَّرَائِر** ﴾ سورة الطارق آية ٥،٦،٧،٨،٩.

٩- ما تبقى من مؤلفاته:

بقي من مؤلفاته في التصنيف السابق:

ما كتبه في اللغة والموسيقى: ويقول ابن أبي أصيبعة إنه قد اطلع على شيء من كتاب «لسان العرب»، فوجد فيه كلاماً عجيباً، ولسوء الحظ لم يصل إلينا شيء منه، ويؤكد ابن أبي أصيبعة أن كتاب المدخل إلى صناعة الموسيقى هو غير ما كتبه عن الموسيقى في كتاب النجاة، ولم يصل إلينا أيضاً..

- أما كتبه الفارسية ورسائله فقد وصل منها أشياء، ولكنها تنتظر التعريب.

- وفي التعاليق وصل إلينا كتاب «التعليقات» لأبي الفرج الطيب الهمداني، وقد أشير إلى طباعته بتحقيق عبد الرحمن بدوي في منشورات الهيئة العامة للكتاب بمصر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.

ولكننا لا نتوقع أن تكون تعليقات أبي الفرج كافية عن تعليقات غيره.

- ويستوقفنا في المتفرقات كتاب فريد هو الذي عنونه ابن أبي أصيبعة باسم «كتاب تدبير الجند والممالك والعساكر وأرزاقهم وخراج الممالك»، وليس الكتاب بعيداً عن اهتمامات ابن سينا الذي شغل منصب الوزارة عدة مرات، ولكن لسوء الحظ لم يصل إلينا منه شيء.

- أما الرسائل والجوابات فإنها غالباً ما تتعلق بحياة ابن سينا الخاصة من الاستفتاء الذي وجهه إلى علماء بغداد وإلى بعض أصدقائه ليحكموا بينه وبين رجل من أهل بلده يدعي الحكمة..... ومع ذلك فلو عثرنا على هذه الرسائل والجوابات، لما عدمنا أن نجد فيها طرائف وأضواء جديدة.

هذه لمحة خاطفة عن مؤلفات ابن سينا، تبين لنا منها أمور أهمها:

١- سعة الأفق وتعدد الاختصاصات وهو وليد نزعة الشمول والتكامل التي عرف بها المسلمون في دراستهم.

٢- الموقف النقدي بالنسبة إلى الثقافات الأصيلة الذي يبدأ من حسن فهمها وإخراج الكتب في شرحها، ثم ينتهي ببيان نواقصها وتدارك أخطائها.

٣- التمسك بالعقيدة الإسلامية في القضايا الواضحة ومحاولة انتقاء ما يناسبها من الآراء الدخيلة أو معارضتها بما يبرز الرأي الإسلامي.

وستتوضح هذه الخصائص إذا فصلنا في إطار الدراسات النفسية وتطبيقاتها التربوية آراء ابن سينا التالية.

«هو أن يكون حصولها من جهة شيء آخر أداها إليه».

والقوة المدركة الباطنة أو الداخلية كثيرة منها:

١- قوة الحس المشترك: وهي تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة في الحواس الخمس.

٢- قوة الخيال أي (المصورة): وهي: قوة تحفظ ما قبل الحس المشترك من الحواس الخمس، وتبقى فيه بعد غيبة المحسوسات.

٣- قوة المتخيلة: وهي قوة من شأنها أنها تركب بعض ما ترى في الخيال مع بعض، وتفصل بعضه عن بعض بحسب الاختبار، وتسمى هذه القوة مفكرة بالنسبة إلى النفس الإنسانية.

٤- القوة الوهمية: وهي تدرك المعاني غير المحسوسة الموجودة في المحسوسات الجزئية، كالقوة الحاكمة بأن الذئب مهروب منه، وأن الولد معطوف عليه.

٥- القوة الحافظة: (الذاكرة) - وهي تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني غير المحسوسة الموجودة في المحسوسات الجزئية.

ويذكر ابن سينا أن كل قوة من هذه القوى لها تجويف في الدماغ ويذكر نسبتها بعضها إلى بعض، ويقول: إن من الحيوان ما يكون له الحواس الخمس كلها، ومنه ماله بعضها دون بعض. أما الذوق واللمس فإنهما موجودان في كل حيوان، ولكن من الحيوان ما لا يشم ومنه ما لا يسمع ومنه ما لا يبصر.

٣- النفس الناطقة الإنسانية:

وتقسم إلى عاملة وعالمة، وكل قوة من هاتين القوتين تسمى عقلاً.

أ- القوة العاملة: أو العقل العملي - وهي المحرك لبدن الإنسان إلى الأفاعيل الجزئية الخاصة بالروية على مقتضى آراء تخصها، إصلاحية.

وبذا يكون ابن سينا قد وضع لنا منهجاً تربوياً، من واقع عصره ومجتمعه، ومؤلفاته التي ذكرنا بعضاً منها، فالشيخ الرئيس (ابن سينا) عالم من أعلام الإسلام الموسوعيين الذي تتنوع فيهم عطاء الله وتعددت في اهتماماته فروع المعرفة والثقافة حتى قيل إنه لم يظهر علم من العلوم، أو فن من الفنون في عصره إلا وترك فيه مؤلفاً أو رسالة.

وهذا ما يجعل معلمنا من أصحاب المذاهب التربوية الجديرة بالدراسة والاهتمام وفي مذهب هذا الفيلسوف من الآراء والنظريات العلمية مايجعلنا نعتز بتراثنا وأعلامنا المبرزين الذين أسهموا في عطائها الحضاري وإنجازه العلمي وفي طليعتهم الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا. الذي ترك لنا تراثاً ضخماً ينهل منه المتخصصون من كل صوب، وهذا ماجعل الأطباء والفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلماء النفس والتربية والأخلاق واللغة. كل يجد بغيته، ويطفئ غلته للوصول إلى المستوى الحضاري والثقافي اللائق بإنسانية الإنسان.

الفصل الثاني

أهمية الفترة التي عاش فيها ابن سينا

- مقدمة.

١- أثر الفترة التي عاش فيها على آرائه العلمية والتربوية.

٢- آراء ابن سينا التربوية.

٣- علاقة الدراسات الفلسفية بالفكر التربوي عند ابن سينا.

٤- محتوى التراث التربوي العربي الإسلامي عند ابن سينا.

أهمية الفترة التي عاش فيها ابن سينا

مُقَدِّمَة

عاش أبو علي ابن سينا في بيئة تشجع العلم والعلماء والتفكير والمفكرين واتصل في فترة من حياته بسلطان بخارى نوح بن نصر الساماني المعروف بحبه للعلم، وأفاد أبو علي كثيراً من كتبه ومؤلفاته التي شملت جميع العلوم فلسفة ومنهجاً وسلوكاً وأداء في جميع مناحي الحياة، وهذا ما يعكس أهمية الفترة التي عاش فيها إذ اتسمت بتعدد الثقافات العالمية الخالصة التي تعتمد على القرآن الكريم الذي نزل من عند العليم الخبير لا يقدم (نظرية) تتبدل من يوم لآخر، وإنما يقدم (حقائق) لا تتغير ولا تتبدل، بقصد هداية البشر إلى خالقهم فقد أنزل هداية ورحمة وشفاء....

ولكن من الحق أن نقول: إن الهداية والرحمة والشفاء لا تتم إلا بالعلم الصحيح «لذلك كان طبيعياً أن يكون موقف القرآن الكريم من العلم واضحاً (محمد خير عرقسوسي، ١٩٨٢، ابن سينا والنفس الإنسانية):

فهو يؤكد وجود الظواهر المختلفة التي تشهد لصانعها بالعظمة.

ويدعونا إلى تأمل تلك الظواهر ودراستها واستخراج ما أودع الله فيها من نظام ونسق لنزداد خشية لله وإيماناً به.

أجمع المؤرخون أن الشيخ الرئيس ازدهر في عصر اتصف بالانقسام والتجزئة الفكرية والثقافية والسياسية وأن مرحلة ازدهاره كانت مَعلماً بارزاً من معالم العلم والمعرفة والفهم، فهو عصر أنجب ابن سينا فيلسوف العقل، وابن الهيثم فيلسوف العلم، والبيروني فيلسوف الرياضة، ومحمد بن النعمان – المعروف بالمفيد – فيلسوف الفقه والكلام، والغزالي فيلسوف الشك والعرفان، وغيرهم ممن تحفل بهم كتب التراث العربي الإسلامي.

ومن المراكز الثقافية التي برزت في ذلك العصر مدينة (كركانج) الشبيهة بمدينة بخارى في عهد الدولة السامانية، وإلا أنها لم تبلغ مبلغ بخارى – ونشير إلى أن ابن سينا بعد وفاة والده هاجر إلى كركانج والتجأ إلى أحمد بن محمد السهلي الخوارزمي وزير خوارزمشاه علي بن مأمون وهذا ما أكده ابن سينا ذاته في إملاء سيرته الذاتية (مصطفى جواد، ١٨٦٥، الثقافة العقلية والحال الاجتماعية في عصر ابن سينا).

أولاً: أثر الفترة التي عاش فيها على آرائه العلمية والتربوية

– نضج فكر ابن سينا الوقاد وهو في العقد الثاني من حياته، واثق النفس، مؤتمناً على معرفته كل الائتمان، واسع العلم في شبابه وأكثر عمقاً في كهولته، مارس حياته العقلية منفتحة في جميع مجالات حياته، وأنتج في سجنه بعض كتبه الفلسفية والعلمية التي أحاطت بكل مشكلات عصره الفكرية» (جعفر آل ياسين، ١٩٨٤، دراسة تحليلية لحياة ابن سينا).

– إن ما قدمه ابن سينا من الإنتاج الفكري يشير إلى أن الفكر التربوي كان جزءاً غير مستقل عن النسق الفكري الكلي عنده، وهذا ما مكن كثيراً من المفكرين والفلاسفة في القرون الماضية ومنهم الشيخ الرئيس أن

يكونوا موسوعيين بحيث لا يقتصر الواحد منهم على أن يكون طبيباً، أو فقيهاً، أو فيلسوفاً، أو غير ذلك من التخصصات، وإنما يجمع بينها جميعاً، بل إن منهم من لم يقف عند حدّ الاستيعاب والجمع وإنما تجاوز ذلك إلى الابتكار والإبداع في أكثر من فن أو علم وهذا هو حال ابن سينا الذي أحاط بكل مشكلات عصره الفكرية أجاد فأفاد كان يقوم بأعمال الدولة المكلف بها نهاراً ويتفرغ ليلاً للكتابة والتدريس، تقرّب من السلاطين والأمراء والحكام والخلفاء الذين دأبوا على ضم العباقرة والمفكرين إلى مجالسهم العلمية لتحقيق الفائدة العلمية والمنفعة الشخصية، وابن سنيا نفسه لم يكن فيلسوفاً فحسب بل كان رجل سياسة، وهذا ما أجج الحاقدين والأعداء ضده إلا أن هذا لم يزده إلا عزيمة وأملاً في تحقيق ما رسمه في ريعان شبابه، من الناحيتين العلمية والسياسية.

فمن الناحية العلمية كان من العباقرة المفكرين، فقد تميز بالدقة والمهارة والعمق والطراوة والتنسيق وجمال التأليف والتركيب وهذا لم نجده عند الفلاسفة العرب، كان موسوعياً غزير التأليف، شغل عمره القصير في التأليف مستفيداً من الظروف التي أحاطت به في عصره، ومن البيئة التي عاش فيها بتشجيع العلم والعلماء، والتفكير والمفكرين.

تناول الشيخ الرئيس في مؤلفاته جوانب متعددة من الفلسفة والعلم، وأثار كثيراً من المشكلات المعقدة خلال دراساته لقضايا الفكر الفلسفي والتربوي، وهو يتناول في كتبه ومؤلفاته ورسائله ومقالاته نفس المشكلات التي تواجه العاملين في التربية، إذ تحدث عن الإنسان والمجتمع والمعرفة والأخلاق وهذا ما يبرزه في كتاب (السياسة) وتربية الطفل في كتاب (القانون) وهو بذلك يمثل صورة صادقة لعلاقة الفلسفة بالتربية، ونشير إلى أن الشيخ الرئيس عمل فترة غير قصيرة بالتعليم مارس مهنة التدريس وتكونت لديه نظرية تربوية لها أسسها الفلسفية من حيث نظرتها إلى الإنسان والمجتمع والمعرفة والأخلاق.

وإن آراءه التربوية تعطينا الصورة المشرقة للفكر التربوي عند ابن سينا استناداً إلى ما قدمه للإنسان والمجتمع إضافة إلى ما تناوله في مؤلفاته عن التربية، وعن ممارسته العملية التعليمية من مبادئ وأساليب تربوية تبصر المعلمين بنفسية المتعلمين وبحاجاتهم الفردية والاجتماعية، حيث إن دراسة العلوم التربوية تفيد المعلمين الذين يدرسون سائر فروع العلم التي يتضمنها المنهاج الدراسي لأنها تزودهم بطرق ووسائل التعليم الملائمة، وتسهل تحقيق الأهداف العامة والخاصة التي تقوم عليها التربية.

ولكن من الحق القول: إن العصر الذي عاش فيه ابن سينا، ساعده في إنتاج وافر ومتنوع على الرغم مما لاقى في حياته من القلق والظروف السياسية الصعبة، فكتب في مجال الفلسفة المختلفة وفي الدين واللغة: مجملاً أو مفصلاً، ملخصاً أو شارحاً، ناثراً أو ناظماً، مبتدئاً من نفسه أو مجيباً عن أسئلة وجهت إليه؛ فله في الموضوع الواحد أكثر من كتاب أو رسالة، وهذا ما أشار إليه الدكتور إبراهيم مدكور في مقدمته لمؤلفات ابن سينا بقوله: «ولعله بين فلاسفة الإسلام أكثرهم خظاً من البحث والدراسة، شغل به القدامى مؤيدين ومعارضين، وعنى به المحدثون ناشرين ومعلقين، بيد أنه لا يكاد يذكر في شيء ما نشر من مؤلفاته نشراً علمياً محققاً، وأغلب ما ظهر منها إنما نشر على عجل أو على أيدي غير المختصين، ولا يزال جانبها الأكبر مخطوطاً أو في حاجة إلى نشر جديد.

وهذه المخطوطات موزعة بين أركان العالم الأربعة في مصر ولبنان، وإيران، والهند، أو في روما ومدريد ولندن وباريس وبرلين وموسكو، وفي استانبول بوجه خاص منها قسط كبير».

والحق أن ابن سينا من الرجال القلائل في العالم الإسلامي الذين يصح أن نسميهم (موسوعيين) أو كما يسمون اليوم «كتاب دائرة المعارف» كما أكد الدكتور أحمد أمين بقوله: وهؤلاء الموسوعيون نوعان: نوع وهو

الأكثر يجمع ما كتب غيره ويبوبه ويصنفه كما فعل النويري في «نهاية الأدب» والقلقشندي في «صبح الأعشى» ونوع آخر أرقى من ذلك وهو تأليف الموسوعة لا الاقتصار على الجمع كما فعل الجاحظ: فقد ألف في شتى الموضوعات الأدبية والاجتماعية والتاريخية والكلامية؛ ولا ينقص تأليفاته أن تكون دائرة معارف إلا ترتيب موضوعها حسب الحروف الأبجدية؛ وكما فعل أبو علي ابن سينا فقد كان كذلك موسوعياً مؤلفاً، وإن كان طابعه الأعم الأغلب هو الفلسفة بجميع فروعها المعروفة في زمنه من إلهيات وطبيعيات وطب ونفس ومنطق ورياضة وأخلاق وتربية وغير ذلك. في كل هذا ألّف ابن سينا؛ «وقد يؤلف في الموضوع الواحد كتباً مختلفة مطولة ومختصرة؛ يعتمد فيها على فلسفة اليونان، وعلى تعاليم الإسلام، وعلى ابتكاراته الخاصة. ولم يصل البحث الدقيق إلى الكشف عن رسم الحد الفاصل بين ما نقله وما ابتكره، وقد منحه الله، كما طلب هو، حياة عريضة وإن لم تكن طويلة، فمع اتصاله بالسياسة واكتوائه بنارها، ومع اشتغاله أحياناً بالأعمال الحكومية، وغير الحكومية، فقد استطاع أن ينتج هذا النتاج الغزير العميق الواسع الذي لا يستطيع أن يقوم به متفرغ للبحث منقطع للدرس، لكن فضل الله يؤتيه من يشاء»(جورج شحاته قنواتي،١٩٥٠، مؤلفات ابن سينا).

إن البيئة التي عاش فيها ابن سينا ساعدته على تحقيق أهدافه القائمة على إيجاد الإنسان الصالح، من حيث هو إنسان، يصرف النظر عن كونه مواطناً في هذا المكان، أو في ذلك الزمان حيث كانت التربية الإسلامية، هي السائدة في معاهد التعليم في ذلك العصر. ومن الحق أن نقول: إن القرن الرابع الهجري يعد من الناحية العلمية والثقافية من أزهى العصور الإسلامية وأكثرها إنتاجاً وأغزرها ثقافة وفكراً. وفي شخصية ابن سينا متسع رحيب للبحث والنظر، قل أن نجد في تاريخ الفكر الإنساني شخصية تعد لها اتساعاً وإحاطة وعمقاً، وهذا ما عني به الباحثون قديماً وحديثاً، فقد ألفوا الكتب والرسائل والمقالات، إلا أن الآراء التربوية عنده لم يتناولها الباحثون والمفكرون.

قد يعود هذا الإغفال إلى أن ابن سينا ضمن آراءه التربوية في رسالة السياسة. وهذه الرسالة لم يكشف مضمونها التربوي والتعليمي إلا في عهد قريب جداً، حتى (ابن أصيبعة) أورد في (طبقاته) جملة رسائله ومصنفاته، لم يذكرها بينها، ربما كان لعنوانها السياسة في الأخلاق السبب في عدم ذيوعها وانتشارها، والذي ساعد على كشف مضمونها المستشرق العلامة (كاراده فو) بعدما تحرى آثار ابن سينا في دور الكتب الغربية، فأثبتها في مؤلفاته وقال عنها: «إن ما وضعه ذلك الإمام في الفلسفة الأدبية لهو نزر قليل، وإنما يعرف له في هذا الباب رسالة في الأخلاق مصونة في إحدى كتبخانات الاستانة».

ومن المعتقد أن هذه الرسالة وجدت في هولندة بمكتبة (ليدن)، وبيعت رسمياً إلى المسمى (محمد بن أحمد) سنة ٤٠٨هـ وقد قامت مجلة المشرق لصاحبها الأب لويس معلوف اليسوعي بنشرها في أعداد ثلاثة في عام ١٩٠٦م.

ثانياً: آراء ابن سينا التربوية

تضمنت رسالة ابن سينا في (السياسة) تربية الولد من مولده حتى خروجه إلى ميدان العمل والكسب في جميع جوانب الحياة التربوية والمهنية، وتركز اهتمام ابن سينا فيها بالإنسان وبتربيته وتحسين ثقافته في جميع الفروع العلمية، وأن يتخصص في فرع أو أكثر من فروع العلم والمعرفة. وأشار إلى أهم ما يؤخذ به الناشئ من أنواع التربية الجسمية والخلقية والعلمية والأخلاقية.

من هنا نستطيع القول: إن آراء ابن سينا التربوية تقوم على أساس نظرته للإنسان والمجتمع والعلوم المعرفية وما اهتمامه بتربية الطفل وما يتصل به من رضاع وفطام وتربية جسمية وأخلاقية وذوقية إلا دليل على تمسكه بالجوانب التي تسهم في تربيته وتنمية ميوله وقدراته التربوية والمهنية وفق الأهداف المرسومة.

والحق أن هدف التربية عند ابن سينا: تعني نمو الفرد نمواً كاملاً من جميع الجوانب الجسمية والعقلية، والخلقية، على أن يتم إعداده ليؤدي واجبه في المجتمع وفق المهنة التي يرغب العمل فيها، أو يختارها بنفسه، وابن سينا بذلك يهدف إلى وجود الشخصية المتكاملة جسماً وعقلاً وخلقاً حتى يتمكن الفرد من تأدية المهام التي يقوم بها في عملية (البناء الاجتماعي)؛ لأن المجتمع يقوم على التعاون، وعلى العلاقة الموضوعية في تبادل الآراء والخدمات بين أبنائه.

إن الكشف عن التراث العربي الإسلامي ودراسة «الآراء التربوية التي جاءت في مؤلفات الكتّاب والفلاسفة والأئمة عند المسلمين والعرب وخاصة (ابن سينا) تلك الآراء التي يتضح من دراستها مدى قيمتها ومدى اتفاقها مع المذاهب الفلسفية، والتقاليد الاجتماعية السائدة في العصور الإسلامية والتي تدل على فطنة هؤلاء الكتّاب، وسعة آفاقهم، وعمق معرفتهم للطبيعة البشرية، ولنفسية المتعلمين»(فتحية سليمان حسن، بدون تاريخ، مذاهب في التربية) للاستفادة من هذه المؤلفات في وضع منهج تربوي متكامل يبدأ من مر الفكر التربوي عند ابن سينا – م٦ ة الجامعية، هذا هو منهج ابن سينا، وهذه هي طريقته وأسلوبه، فما عرف في عصره واشتهر نجده يتفق في طائفة من فلسفته الأخلاقية وأشهر فلاسفتهم أرسطو، وشيشرون وكونتليان، كما نجد الفارابي يتأثر بفلسفة أفلاطون أكثر منهم.

وقد تناول ابن سينا في آرائه التربوية الفرد في جميع جوانب الحياة، حيث دعا إلى العناية بتربيته منذ ولادته، وإلى تأديبه، وتعويده على اتباع السلوك الحسن بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، وبالإيناس حيناً، والوحدة حيناً آخر، وبالإعراض عنه، والإقبال عليه، وبالحمد والتوبيخ، على أن لا يتم اللجوء إلى العقوبة البدنية، لأن في ذلك إذلالاً للطفل، وإهانة لكرامته، كذلك يوصي بأن يتناسب العقاب مع الذنب ويجب أن يشعر المعلم الطالب المخطئ بذنبه كي يكون واثقاً من عطف المعلم عليه.

هذه بعض آراء ابن سينا التربوية وسنقف عندها بالتفصيل عند دراستنا الاتجاهات التربوية للكشف عن آرائه في التربية والتعليم، لعلها تفتح لنا صفحة نيرة من كتاب هذا الفيلسوف الخالد، تبين موقعه من كبار المربين، كما هو بين كبار الفلاسفة والنابغين، وستكون كتبه ومؤلفاته ورسائله هي موئلنا ومصدرنا لهذه لدراسة

فابن سينا لم يكن طبيباً فقط بل كان مؤلفاً في علوم الدين واللغة والهندسة وطبقات الأرض وإن كان قد اشتهر بموسوعته العلمية الضافية في الطب والموسومة بـ «القانون» والتي تمثل خلاصة الطب اليوناني والعربي، وتمثل القمة التي وصلت إليها الحضارة العربية في فنون الطب تجربة ونقلاً» (محمود أحمد السيد،١٩٩١، في قضايا التربية المعاصرة).

فهو لم يترك موضوعاً من مواضيع عصره ومجتمعه إلا وكتب فيه، ترك للأمة الكثير من المؤلفات والرسائل في شتى المواضيع ومختلف المجالات، كان عبقرية فذّة، اقتحمت بملامحها القوية النادرة مسالك الطريق الوعر الذي قادها إلى أعماق جذور الفكر الإنساني لاستكشاف الحقيقة وبيان ما عجز عنه الإنسان العالم في جميع المجالات.

إن عبقرية ابن سينا الفلسفية «استلهمت الكثير من أصولها ومناهجها من الفارابي – فيلسوف الإسلام بلا منازع – وهذا ما اعترف به الأستاذ الرئيس نفسه بعلو هذه التلمذة وتأثيرها عليه!...» (محمود عبد

اللطيف،٢٠٠٧، الفكر التربوي عند الفارابي) لقد كان أبو علي ابن سينا ثمرة من ثمار أبي نصر: تميز بقدراته واستيعابه ومنهجيته في مختلف الموضوعات العلمية والمعرفية والتربوية.

إن آراء ابن سينا التربوية تهدف إلى إعداد الإنسان الصالح وكماليته وشعوره بمسؤولياته وأن يكون عنصراً فعالاً في بناء مجتمعه، فالكمال الإنساني عند ابن سينا هدف إنساني يتحقق من خلال التربية. وبشيء من التفصيل يريد ابن سينا أن تكون التربية شاملة لكل وجه من الوجوه، القراءة والكتابة وحفظ القرآن والأدب والشعر، وإتقان للعلوم، وتشبع لمكارم الأخلاق.

ويرى أبو علي ابن سينا أنه يجب على المعلم أن يستغل ميول الطفل الداخلية من أجل تعليمه وأن يهيء الجو الأخلاقي الذي يجنب الطفل اكتساب الشرور وأن يحميه من قرناء السوء لأن الطفل إذا خالطهم تشرّب بأخلاقهم دون أن يدري.

يشترط ابن سينا في المعلم أن يكون نقياً، وحكيماً، وخالياً من الأمراض والعاهات الجسمية وذكياً ذا مروءة، كما يشترط على الأب أن يكون حكيماً في تربية الطفل وأن يجيد اختيار مرضعته والابتعاد عن كل ما من شأنه أن يعكر صفاء حياته من أجل إسعاده وحسن تربيته.

مجمل القول: لقد أسهم ابن سينا من خلال كتابة السياسة في وضع قواعد التربية الإسلامية، وله في ذلك آراء فلسفية وتربوية هامة يجب عدم إغفالها بل تهيئة الجو المناسب لإعداد الفرد كي يعيش ويحيا حياة كاملة، فالإعداد للحياة الكاملة هو الغرض الذي ترمي إليه التربية.

وقد وضع (هربرت سبنسر) الفيلسوف الإنكليزي عوامل لتلك الحياة الإنسانية الكاملة، وفيها على حسب أهميتها هكذا:

١- الأمور التي تستخدم مباشرة لحفظ النفس.
٢- الأمور التي تستخدم عرضاً لحفظ النفس والحصول على ضروريات الحياة.
٣- الأمور التي تتضمن حفظ الصلات المتينة والعلاقات السياسية والاجتماعية.
٤- الأمور التي تجعل وقت الفراغ جزءاً من الحياة، وتخصصه بإرضاء حواس الإنسان وتهذيب عواطفه وأذواقه.

ثالثاً: علاقة الدراسات الفلسفية بالفكر التربوي عند ابن سينا

-آفاق الفلسفة التربوية

إذا كانت الفلسفة في أصل وضعها بلغة اليونان تعني (صوفيا) Sophia فإن الفلسفة التي تطورت من النظر في أصل الموجودات لدى طاليس، وديموقريطس، وهرقليطس، وأمبوذقليس ففيثاغورث، أولئك الذين قرروا أن مبدأ الوجود، الماء، أو النار، أو الذرّة، أو الماء والنار، والهواء والتراب مجتمعة، أو أنه العدد؛ هؤلاء يسمون من الباحثين في الفلسفة(علي شلق، ٢٠٠٣، أبو حيان التوحيدي).

الفيلسوف كما جاء في تعريف علي شلق «هو الذي يحيط بمعارف عصره، ويتأمل في كونه مجتمعاً، تاريخاً، أمماً غيباً، مبدأ نهايةً، وفي الذات من حيث داخلها النفس، العقل، الروح، الحلم، الوهم، الرؤيا، الحدس، الظهر ثم يأخذ ببناء قلعة فلسفته شمولياً، وليس هذا فحسب بل أن يحلّ مشاكل الكون وعقده برأيه مهما كان

جامحاً أو معقداً أو غريباً»(علي شلق، ٢٠٠٣، أبو حيان التوحيدي). وهذا يؤكد أن أفلاطون كان من أوائل علماء الفلسفة، ولم يعرف في العلم الفلسفي أسبق منه في هذا علم، وفي الحضارة الإسلامية ظهر ابن سينا الفيلسوف تام الشروط وعظيم العظماء وهو بحق في طليعة رجال الفلسفة عند العرب.

إن فلسفة التربية تحدد للمربين الإطار التوجيهي للأنشطة التي سيقومون بها، وهي بذلك توفر البنية العميقة للتربية، وينبغي أن تسري فيها كما يسري الماء في العود الأخضر.

يعتبر ابن سينا من أغزر فلاسفة الإسلام إنتاجاً وأكثرهم تنوعاً، كتب في علم المنطق وعلم الطبيعة وعلم النفس والرياضيات والإلهيات (ما بعد الطبيعة) ومشكلاتها المستعصية، واتجه نحو الفلسفة العملية فدّون رسائل متفرقة فيها... وألف في الطب وموضوعاته نثراً وشعراً، واتجه إلى التفسير القرآني فدّون فيه مجموعة من الرسائل، وكذلك عن اللغة وعلاقتها بالفكر.

والفلسفة بمعناها عند المسلمين في العصور الوسطى كانت من علوم الخاصة، والفلاسفة أنفسهم أصروا على ذلك، ونهوا العوام عن الانشغال بها، وحددوا بعض الشروط للمشتغل بها وما يجب أن يدرسه قبل أن يتعلم الفلسفة، إن فلسفة التربية ينبغي أن تكون جزءاً من رؤيتنا العامة للحياة والأحياء، كما ينبغي أن تكون في الوقت نفسه منفتحة على ما يتراكم من الخبرات في الوعي التربوي العالمي.

إن التربية الإنسانية تتجاوز حدود الواجبات والحقوق، لتسمو إلى آفاق مراعاة المشاعر والظروف والهموم، «إنها نوع من الشهامة والمروءة والتذمم أو هي - كما سماها القرآن الكريم – درجة الفضل قال تعالى: ﴿**ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير** [سورة البقرة: الآية٢٣٧].

إن الفلسفة التربوية كما يريدها الشيخ الرئيس تقوم على تنشئة الإنسان الصالح الذي له سلوك واحد، وتعامل واحد، ومعايير واحدة، فالإنصاف، والأمانة، والعدل، وأداء الحقوق والنصح والإحسان، وإغاثة الملهوف، ورعاية حقوق الغير، وما شاكل ذلك من كريم الصفات مقومات أساسية يجب أن تتجلى في سلوك المربي في مختلف الاتجاهات.

إن النظريات التربوية، لا تعدو أن تكون أدوات في يد الفلسفة التربوية وهي مثل كل الأدوات، تستمد قيمتها من مدى إمكانية تطبيقها، ومن تحقيقها للغايات التي نشأت من أجلها؛ ولذا فإنها تصلح في مرحلة ولا تصلح في أخرى، وقد تصلح في بلد، ولا تصلح في بلد آخر، وقد مرّ على الناس زمان كان لهم المسيطر عليهم هو استيعاب الواقع الموضوعي وفهمه، لكن القرآن الكريم يشير إلى أن علينا أن نغير من هدف العلم ومن هدف التربية، وأن نضيف إلى محاولة فهم العالم محاولة تغييره (عبد الكريم بكار،٢٠٠١، التربية والتعليم)، كما في قوله سبحانه: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾[سورة الرعد:الآية ١١].

إن نظرية ابن سينا الفلسفية التربوية تمثل نزوعاً إنسانياً عميقاً نحو إصلاح الفرد، وإصلاح محيطه وتقويم اعوجاجه – وسد حاجاته، والمحافظة عليه قال سبحانه: ﴿**فلما نسوا ما ذكّروا به، أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيسٍ بما كانوا يفسقون**﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٦٥].

على الرغم من أن العامل المشترك بين الفلسفة والتربية يقوم على التوفيق بين الحكمة والتربية الحقة التي تتطلب القدرة على العمل، وقوة في الحكم، وحسن البصيرة، وبعد النظر، والتحلي بالعادات الصالحة، والأخلاق الفاضلة: من النشاط والمثابرة، والأمانة، والاعتماد على النفس، والعناية بالصحة، والطاعة المعقولة، وأداء الواجب، وإرضاء الضمير في السر والعلانية، وبهذه التربية يستطيع الفرد أن ينتفع بعلمه

في حياته العملية.

ومن هنا ندرك الحقيقة التي لمسناها في الفيلسوف الحكيم (ابن سينا) حين جمع بين المبادئ التربوية التي تتطلبها التربية الحقة وبين الفكر الفلسفي الذي تبناه ومن هنا يبدو واضحاً أن أي بناء فلسفي لا يستقيم إلا في جوٍ تتوافر فيه مناخات فكرية معينة، تتسم بالرقي والاتزان، والبعد عن الإرهاص والقلق، وتعيش جوها العلمي والاجتماعي بحرية واختيار بحيث يساعد هذا التقدم والانفتاح على ازدهار الذهنيات لاستقبال ما هو جديد وطريف في ظل حضارة متنامية عالمة هاضمة»(إبراهيم مدكور،١٩٤٧، الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق).

تناول الشيخ الرئيس في الفكر الفلسفي جوانب متعددة، وآثاره الكثيرة خاصة ما يتعلق منها بالمشكلات المعقدة.

- الترابط بين أجزاء فلسفة ابن سينا التربوية:

أجمع المؤرخون على أن ابن سينا سيظل تلك الذروة الشامخة، لأنه وعى كثيراً ومزج كثيراً، فشغل كل من اهتم بالفلسفة التربوية ولاحظ الباحثون في فلسفته التربوية الترابط المحكم والصارم بين مختلف الجوانب الفلسفية والتربوية في معظم مؤلفاته ومصنفاته، وإلى حرصه على عدم إهمال أي فكرة تتعلق بالجوانب التربوية أو الفلسفية أو السياسية، وهذا يشير إلى مدى الترابط بين نواحي فلسفته النظرية والعملية، وبالتالي يشكل أحد أهم عناصر الفلسفة المنهجية، وقد عرّف «لالاند» المنهج والفلسفة المنهجية بقوله: إنه مجموعة عناصر يتوقف بعضها على بعضها الآخر بحيث تشكل هذه العناصر كلاً منتظماً، والفلسفة المنهجية هي مجموعة أفكار مترابطة منطقياً بحيث تفسر الأفكار الأخيرة بالأفكار الأولى».

إن مذهب ابن سينا في الفلسفة لا يختلف عن مذهب الفلاسفة العرب، وقد أخذ بهذا المذهب قبله الفارابي والكندي وبعده ابن رشد، ولقد بحثت نظرياته الفلسفية الميتافزيقية في الخير، والصلة بين الله والعالم، وقورنت فكرة الألوهية عنده بما قال به المتكلمون من جانب وما قال به ابن رشد من جانب آخر، وهذه مسائل من الفلسفة الإسلامية في صميمها وأياً كان، فإن الشيخ الرئيس يورد تقديره لأبي نصر الفارابي في مجالات عدة من مؤلفاته بقوله: «أما أبو نصر الفارابي فيجب أن يفطم فيه الاعتقاد، ولا يجري مع القوم في ميدان، فيكاد أن يكون أفضل من سلف من السلف»(ابن سينا، بدون تاريخ، الإشارات).

وتلك شهادة حق وصدق، تضع أبا نصر في قمة الفكر الإنساني بما فيه أفلاطون وأرسطوطاليس.

إنتاج ابن سينا وافر ومتنوع شمل جميع المجالات، ولعله بين فلاسفة الإسلام أكثرهم حظأ من البحث والدراسة واستثمار المعارف في الكسب والارتزاق، ليتذوق الناشئ حلاوة الكسب بالصناعة والجد والاعتماد على الذات، وهذا في الحقيقة ما ترمي إليه فلسفة التربية قديماً وحديثاً، وعلى التربية أن تأخذ استعداد الطالب وأن توجهه بحسب الاستعداد، وأن ينظر إلى ما يراه أن تكون صناعته، فيُوجه بحسب ذلك والأخذ بعين الاعتبار ميوله واستعداداته ومواهبه، فالتربية الصحيحة هي التي تقوم على معرفة غرائز الإنسان وميوله لأن الغاية من التربية هي العمل، وابن سينا في ذلك لا يختلف عن غيره من فلاسفة المسلمين في الأخذ بمبادئ هذه التربية مما يعين في التأديب والتهذيب والحث على البر واصطناع المعروف، وكل ما فيه مكارم الأخلاق.

ابن سينا، عَلَمٌ جليل من أعلام الإسلام الموسوعيين الذي تنوع فيهم عطاء الله وتعددت في اهتماماته فروع المعرفة والثقافة حتى قيل إنه لم يظهر علم من العلوم أو فن من الفنون في عصره إلا وترك فيه مؤلفاً أو رسالة،

إن التربية السيناوية تميزت بأنها تناولت حياة الإنسان منذ لحظة ولادته، وهذا يشير إلى اهتمامه بإنسانية الإنسان وإيصالها إلى المستوى المطلوب خلال دراساته لقضايا الفكر الفلسفي، منها ما يتعلق بعلم المنطق، وعلم الطبيعة، وعلم النفس وعالج من وجهة نظر الفلسفة التربوية ملامح التربية الملائمة المستقبلية، لأن إدراك ما هو مطلوب لسد حاجات الأمة يعتمد على إحراز (رؤية تركيبية) مشكلة من عناصر ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية كثيرة تندرج في مجال مواجهة العقبات التي تواجه التقدم التربوي ومتطلبات الأمة وحاجاتها، والقضايا التي يجب أن تعطي الأولوية في المعالجة والإصلاح.

وهكذا يكون ابن سينا قد حاول أن يوجد منهجية علمية يحقق عن طريقها الغايات التي سعى إليها وبالتالي يكون منهجاً يطالب فيه كل فرد في كل زمان ومكان من خلال:

- تحصيل العلم والسعي إليه: لتحقيق هدف الإنسان وغاياته.
- نشدان العلم اليقين: القائم على معرفة طبائع الأشياء.
- الربط بين النتائج والأسباب، لتحقيق هدف الفكر التربوي.

لهذا نجد ابن سينا في كتاباته يدعو إلى التعقل في مختلف الظواهر الإنسانية والطبيعية على السواء، لقد وضعنا ابن سينا أمام مذهب تربوي واضح الأهداف ومحدد المعالم، نابع عن فلسفة مدركة لمستلزمات العملية التربوية وأبعادها من ناحية، ولطبيعة الكائن البشري وفطرته من ناحية أخرى، إنه أحد المبادئ الحديثة في التربية والمختص بمراعاة طبيعة المتعلم.

رابعاً: محتوى التراث التربوي العربي الإسلامي عند ابن سينا:

يعتبر الشيخ الرئيس (ابن سينا) من أوائل أعلام التراث العربي الإسلامي، اهتم بالفلسفة وتعلّم أوائل المنطق والهندسة والفلك وأكمل وحده دراسة الطبيعيات والإلهيات، ثم تعلم الطب، وعالج المرضى.

والحق أن ابن سينا كان رائداً في مختلف الاتجاهات العلمية والتربوية ترك تراثاً ضخماً ما بين مطبوع ومخطوط سيبقى المنارة المضيئة على مر الزمان والأجيال، عالج في مؤلفاته مكونات الفكر التربوي والنفسي في جميع الجوانب اللغوية والعلمية والأخلاقية والجسمية وأبرز المضامين التي ينطوي عليها هذا الفكر من إبداع فكري أسهم في تكوين الفكر العربي الخلاق، ويركز على مكانة التربية في تشكيل شخصية الطفل العربي ورعايتها وترسيخ مكانتها الاجتماعية باعتبار أن الطفل ثروة وطنية وقومية يمكن أن تستثمر لصالح ترقية وإنماء المجتمع العربي حاضراً ومستقبلاً.

لقد استمد ابن سينا أصول وتكوين التربية العربية الإسلامية من مصدرين هما:

- القرآن الكريم كتاب الله العزيز وهو المنبع الأساسي الذي يحتوي على كل ما يتصل بشؤون الإنسان الحياتية والدنيوية والحياة الآخرة، وهو الأصل في تشريع القوانين وتحديد الأحكام والحقوق لبني البشر وفيه بيان دقيق للكون والحياة والإنسان وبه ومن خلاله استطاع الإنسان المسلم أن يفهم حقيقة وجوده وينظم علاقاته مع بيئته الطبيعية والاجتماعية وأن يرسم صورة حياته وكينونته.

- السنة النبوية الشريفة وهي ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل وهي مصدر متكامل مع القرآن الكريم وترجمة فعلية لأحكامه وهي استلهام من الوحي المنزل من عند الله بالاستناد إلى قوله تعالى بحق النبي صلوات الله عليه ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾ [سورة النجم: الآية ٣ . ٤].

اهتم الشيخ الرئيس بدراسة وتحليل سمات مرحلة الطفولة وكانت آراؤه مبنية على أساس الملاحظة والحدس واستلهام ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية لتشكل هذه الآراء نسقاً فكرياً أشبه ما يكون بنظرية وكما يوصفها محمود قنبر (لم تصل إلينا هذه النظرة في بنية فكرية كاملة بذاتها اصطلح عليها المربون، ويمكن نسبتها إلى مصدر واحد، أو إلى مفكر تربوي معروف، أو إلى منظر فلسفي بشر فيها وروج لها، أو إلى هيئة تربوية اشتغلت بها.. لقد جاءت إلينا في شكل معان أولية مستلهمة من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله وقد وقف أمامها نفر من العلماء المسلمين بالبحث والنظر فحولوها إلى مفاهيم متوافقة ومتآلفة تكوّن فيما بينها مبادئ النظرية التربوية الخاصة بتربية الطفل.

إن اهتمام أعلام التراث بتربية الطفل يشير إلى خلق الجو الملائم للطفل ليعيش حياة سعيدة من حيث:

١- البناء العقلي والنفسي والاجتماعي الذي يتجلى في التوحد مع قيم الأسرة والقبيلة كوحدتين اجتماعيتين متكاملتين لها قوانينها ونظمها وسلطانها الخاصة وما على الفرد إلا التمسك بها والذود عنها حفاظاً على أمنه وسلامة شخصيته من الاضطهاد والعنف الذي قد يتعرض عليه في المجتمع.

٢- البناء الجسمي والمهاري للطفل الذي يجعل منه شخصية قادرة على التكيف مع متطلبات البيئة في مختلف المجالات لكي يكون في مأمن من المخاطر التي قد يتعرض عليها في تنظيم شؤون حياته.

من هنا نستطيع القول: إن ابن سينا من الرواد الأوائل في التراث العربي الإسلامي حصّل كثيراً، وألف كثيراً، وعني بشؤون السياسة، وامتاز بالاعتداد بالنفس، وبالطموح إلى المجد، هدف إلى إيجاد الإنسان الصالح بتربيته كفرد مع الأخذ بعين الاعتبار جميع المكونات التي تدخل في تركيبه.

لقد اتسم تراث أمتنا العربية بالعراقة؛ إذ إنه نشأ قبل ألوف السنين على الأرض العربية، وبقي متنامياً عبر الزمان والمكان؛ معبراً عن ذاته في عدد كبير من الحضارات قبل أن يتحد في النهاية في حضارة عربية إسلامية واحدة ذات ثقافة واحدة شملت الأرض العربية كلها.

كما اتسم بقدرته على استيعاب الثقافات الأخرى من فلسفة الإغريق وعلومهم إلى حكمة الهند وفكرها إلى آداب الفرس ونظمها؛ وقد تفاعلت ثقافتنا مع هذه الثقافات دون أن تفقد هويتها أو تذوب أو تفقد أصالتها؛ وطبعت ذلك كله بالطابع العربي مبرهنة على قدرة فائقة في التطور والنمو واستيعاب المحدثات في مجال العلوم والثقافة والفنون والآداب؛ وصمدت أمام محاولات التشويه والاستلاب؛ واجتازت بنجاح المعادلة الصعبة بين الحوار المكافئ والأخذ الإيجابي على الثقافات الأخرى، وبين الرفض القاطع لمحاولات طمس الهوية.

والحق أن ابن سينا (الشيخ الرئيس) يؤمن بالانفتاح الرحب على الثقافات الإنسانية التي كانت على الدوام ذات سمات إنسانية، ولن نضيف جديداً إذا ذكرنا أن هدف أمتنا العربية إنما يقوم على الانفتاح الحضاري الإنساني؛ فمن أرضها قامت الفتوحات وعبرها مرت وتعرضت لمحن واجتياحات، ومع ذلك كله بقيت تقدم للعالم أنموذجاً اجتماعياً إنسانياً يؤكد انفتاح الإنسان على أخيه الإنسان وظلت تحمل راية الحياة المعطاة؛ راية الأخوة الإنسانية، لقد عبر (ابن سينا) تعبيراً صادقاً عن الفكر الإسلامي ولهذا الفكر خصائصه ومميزاته. أخذ عن اليونان والرومان، كما تأثر بالفرس والهند والسريان، وألمَّ بالثقافة الإسلامية الشاملة المعاصرة له، وهضمها خير هضم، ثم ترجم عنها ترجمة صادقة، فكتب في الطب والكيمياء والطبيعة وعلم الأحياء، والفلك والرياضة والأخلاق والسياسة.

إن ثقافة ابن سينا ثقافة إنسانية واسعة الأفق، لا تخشى الأخذ عن الغير ما دامت تؤمن بنفسها، كما لا

تخشى أن يؤخذ عنها فتستفيد وتفيد، ومن هنا كان ابن سينا مفكراً عالمياً، يرتفع عن حدود الزمان والمكان، ولا غرابة فهو عالم وفيلسوف؛ والعلم والفلسفة الحقة لا وطن لها، ففلسفته هي فلسفة اللغة العربية منذ القرن الخامس الهجري إلى أوائل القرن الحالي، وما يقال عن العربية يمكن أن يقال عن الفارسية التي تعتبر لغة ابن سينا الأصلية، فكتب بها وألف، وما لم يكتبه ترجمه الفرس إليها من بعده، وتعلقوا بتراثه جميعه، إن في الطب أو في الفلسفة أو التربية. وعن طريق العربية والفارسية امتد أثره إلى التركية، فتتلمذ له الأتراك بدورهم، ورددوا آراءه وتعاليمه، وأشير إلى أن مكتبات استانبول تعد أكبر مصدر لآثاره ومخلفاته.

ويرى الشيخ الرئيس أن الأهداف التربوية لا تتحقق في فراغ، إذ بدون محتوى ملائم تظل الأهداف شعارات غير قابلة للتطبيق في دنيا الواقع، وعلى علماء التربية في العالم الإسلامي أن يقوموا بإضافات جديدة كل في ميدان تخصصه، وأن يكون المحتوى صادقاً بعكس حقيقة العلم الذي ينتمي إليه، إذ لا شيء أخطر على الإسلام من السطحية بمعنى أن الاستشهاد ببعض الآيات والأحاديث دون إدراك صحيح لمقاصدها يضر أكثر مما ينفع. إن الطريقة التي تنقل محتوى معيناً للإنسان وتعتمد في طبيعتها على الأهداف التربوية بتزويده بالحقائق، فإن المحتوى يهتم بكمية الحقائق التي يقدمها، أما إذا كان الهدف تحليل الظاهرة والتعرف على أسبابها واستخلاص النتائج فإن المحتوى ينظم بطريقة تمكن الدارسين من ربط الأسباب بالنتائج، والتربية التي تعنى بالجانب النظري من المعرفة لا تبين للدارسين الكيفية التي يمكن أن تطبق بها تلك الآراء في الحياة العملية وتحقق الفائدة بمعنى أن محتوى العلوم التربوية يجب أن يعكس مختلف الطرائق المستخدمة في اكتساب المعرفة، وأن لا يقف عند واحد منها.

بذا يصنف ابن سينا الإنسان بقوله: هو عالم قائم بذاته... له كيان خاص مستقل، وفيه قوى دفينة له آماله وآلامه، وله أفراحه وأتراحه، وله خيالاته وأحلامه.. لقد نظر إلى الإنسان نظرة عالية فيها إكبار له وإجلال، وفيها إعجاب به واحترام لشأنه، والإنسان في رأيه ليس البدن، بل ذلك الجوهر الواحد الذي يسكن البدن، والذي يدعى النفس الناطقة.... فتلك هي الإنسان على التحقيق(ابن سينا، بدون تاريخ، الإشارات من الجزء الأول).

فالتربية كما يراها ابن سينا تبدأ بالإنسان من حيث هو إنسان، ثم تعمل على إيصاله إلى كماله الإنساني كي يتمكن من تحقيق الخلافة في هذه الأرض، وبهذا تكون عصرنة التراث كما يراها ابن سينا متمثلة في إعطاء قيمة وظيفية ذات تأثير وتأثر في جميع مراحل الحياة الإنسانية فعملية التربية، هي تنمية شخصية الإنسان على أن تتمثل كل الجوانب التربوية، في انسجام وتكامل تتوحد معه طاقات الإنسان وتتضافر جهوده لتحقيق هدف واحد تتفرع عنه وتعود إليه جميع الجهود والتصورات وضروب السلوك الشخصي.

مراجع الفصل الثاني باللغة الأجنبية:

- The works o aristatle translatedirto englishvder the editorship of sir david ross. Axford 1908.
- Rovesr dictionary of philosophy new york 1942.
- Supple ment aux diction vairesarafes leide 1881.
- 1B. N siema. Eggmr،essaisur l' Hlistorire dela critique chezlesgrecs Paris 1886.
- Bachenshifoamailogical freiburge 1942.

الفصل الثالث

أثر ابن سينا العلمي والتربوي في الشرق والغرب

مقدمة.

١- أثر ابن سينا العلمي والتربوي في الشرق

٢- أثر ابن سينا العلمي والتربوي في الغرب

٣- مكانة ابن سينا العلمية والتربوية والسياسية

٤- رسالة ابن سينا التربوية ودوره في إعداد الإنسان لتحمل أعباء الرسالة الإنسانية

أثر ابن سينا العلمي والتربوي في الشرق والغرب

مُقدّمة

ابن سينا مفكر عالمي كان ولا يزال موضع درس وتقدير في العالمين الإسلامي والمسيحي، وفي المنظمات والهيئات الدولية، هذه المكانة العلمية حملت دول العالم إلى تخليد ذكراه خاصة ذكرى مولده ووفاته لما اتصف به من ذكاء متوقد، وموهبة فذة، تعلّم القرآن والأدب وهو ابن عشر سنين، وتعلم حساب الهند، واشتغل بالفقه، وتردد فيه على إسماعيل الزاهد، حتى ألف طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على المجيب على الوجه الذي جرت عادة القوم به، ثم ابتدأ بكتاب إيساغوجي على الناتلي (أبو عبد الله الناتلي،بدون تاريخ، تاريخ حكماء الإسلام). واستمر على طريقته الخاصة يعلم نفسه ويثقفها، ويقول: «وصارت أبواب العلوم تتفتح عليّ، ثم رغبت في علم الطب، وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه، وعلم الطب ليس من الأمور الصعبة، فلا جرم أنني برّزت فيه في أقل مدة... وتعهدت المرضى، فانفتح عليّ من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف»(أبو عبد الله الناتلي، بدون تاريخ، تاريخ حكماء الإسلام). ولما بلغ ست عشرة سنة كان قد ألمّ بما شاء من العلوم. وكانت نجابته وذكاؤه وفطنته قد لفتت إليه الأنظار منذ عهد مبكر، حتى إنّ الناتلي نصح لوالده ألا يشغله بغير العلم»(أبو عبد الله الناتلي، بدون تاريخ، عيون الأنباء).

أولاً: أثر ابن سينا العلمي والتربوي في الشرق

ماعرف عن ابن سينا من الدأب والصبر يفوق كل تصور، فهو لايعرف الملل ولا ينزل بساحته الضجر، وبذا يقول عن نفسه حين توفر على العلم: «وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها، ولا اشتغلت في النهار بغيره».

هذه الصورة التي رسمها ابن سينا تجلت في الحضارة العربية الزاهرة، راسخة الجذور، باسقة الفروع، شملت مختلف أنحاء العالم ما بين سور الصين شرقاً إلى جبال البرانس في الغرب، وهو يتحدث ويعلم ويملي على تلاميذه ويؤلف الكتب باللغة العربية المبينة، لغة العلم والحضارة في كل أرجاء هذه الرقعة الواسعة من الأرض.

إن الشيخ الرئيس الذي قضى فترة غير قصيرة في صحبة الملوك والأمراء، كان يتصف بغزارة إنتاجه، وتنوعه، وإحاطته، وابتكاره، وقدرته الفائقة في سرعة التأليف مع التجويد والإتقان.

كانت إحاطته بالعلوم شاملة وضع مؤلفاته في شتى العلوم التي عرفها عصره، فقد ألف في الطب، وفي الفلسفة بكل أبوابها، وفي الدين والزهد والتصوف والكيمياء، وفي اللغة والنحو.

هذه المكانة التي بلغها ابن سينا بمؤلفاته وكتبه، حظيت بعناية العلماء تحقيقاً وشرحاً وانتشاراً، فأقيمت المناسبات تخليداً لذكراه وتقديراً للفيلسوف الحكيم بمكانته العلمية والتربوية، وبما قدمه في شتى البيئات العلمية

والفكرية.

لقد عرفت أوربا في العصور الوسطى ابن سينا وكرمته ورفعت من شأنه، وإن صورته المرسومة على جدران مكتبة جامعة أكسفورد بين أعاظم رجال العالم وفلاسفتهم لترمز إلى هذا التقدير الذي حبته به أوربا في تلك العصور السابقة».

- ففي المجال العلمي الفلسفي والتربوي:

يعتبر ابن سينا من أغزر فلاسفة العرب، فهو مفكر عالمي، يرتفع عن حدود الزمان والمكان، ولا غرابة في ذلك فهو عالم وفيلسوف؛ والعلم والفلسفة الحقة لا وطن لهما، ففلسفته هي فلسفة اللغة العربية من القرن الخامس الهجري إلى أوائل القرن العشرين درس في تونس والقاهرة ودمشق وبغداد، الفكر التربوي عند ابن سينا – م٧، أثر فلسفته، وربما كان أشد وأوضح، فكتابه (القانون) اتخذ مرجعاً للأطباء في البلاد العربية وحتى يومنا هذا في كل ما يتعلق بعلم الطب، وطرق العلاج.

وهكذا يمكن القول: إن ابن سينا كان أكثر إنتاجاً، بل كان رائداً بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى في الفلسفة والطب والرياضيات والكيمياء وفي مختلف الاتجاهات العلمية في المنطق، وعلم النفس والموسيقى.

فهو رجل موهوب، وعنوان ثقافة، ومفكر عالمي يمتاز بذكاء حاد، وذاكرة قوية، وعقل خصب.

وهذا ما ساعده على استكمال ثقافته اللغوية والدينية والعقلية وهو في سن العاشرة، ووصل إلى مرتبة النبوغ والتخصص ولما يناهز العشرين مما جعله حجة في الطب والفلك والرياضة وإماماً في الفلسفة.

كان الاهتمام بكتبه ومؤلفاته في بلاد الفرس كبيراً، فالفارسية تعتبر لغته الأصلية، فكتب فيها وألف وقد تعلق الفرس بتراثه جميعه، إن كان في الطب أو في الفلسفة، أو عن طريق اللغتين العربية والفارسية امتد أثره إلى اللغة التركية، أخذوا مؤلفاته وتعاليمه وجميع الآراء العلمية التي نبغ فيها، فمكتبات استانبول تعدّ أكبر مصدر لآثاره ومخلفاته.

ولابن سينا في العبرية والسريانية قراء وتلاميذ وأتباع « نقلت طائفة من مؤلفاته إلى العبرية منها (عيون الحكمة) وبعض أجزاء «الإشارات» و«النجاة»، وتأثر به مفكرو اليهود في القرون الوسطى، وعلى رأسهم موسى بن ميمون».

ولوحظت آثار مؤلفات وكتب ابن سينا في التاريخ الحديث لدى اسبينوزا، ونقلت أيضاً بعض كتبه إلى السريانية «كالإشارات» و«القصيدة العينية» و«رسالة الطير» ومن أتباعه من السريان ابن العربي في القرن الثالث عشر الميلادي.

إن أثر ابن سينا التربوي في العالم الإسلامي يمثل في إيضاح الصورة التي رسمها القرآن الكريم للإنسان، فالإنسان هو محور العملية التربوية، ومن هنا يمكن القول «إن جميع الممارسات التربوية تؤول إلى الإخفاق ما لم تبن على فهم واضح وصحيح لماهية الإنسان وخصائصه»، والتيار الفلسفي عند ابن سينا يمثل أحد التيارات الفكرية والتربوية في العالم الإسلامي، وكان مؤثراً وفعالاً، وقد عمق ابن سينا هذا الاتجاه الفلسفي في الحياة الإسلامية خلال القرن الرابع الهجري بشخصه كمعلم للفلسفة أو بتلاميذه ومنهم (أبو الحسن) بهمينار بن المرزبان وهو أول تلاميذ ابن سينا الذي لازم الشيخ في مجالس تدريسه أثناء تولية الوزارة لشمس الدولة الديلمي البويهي بهمدان وذلك ما بين ٤٠٤ و٤١٢ بعد الهجرة، ثم فرقت بينهما الحروب وأزعجتهما الفتن بعد ذلك اضطرب نظام اجتماعاتهما، ولكن لم تنقطع بينهما الصلات، كما يتضح من رسالة كتبها الشيخ إلى بهمينار وفيها أنه سعى أثناء التجائه عند علاء الدولة إلى

استفتائه لرعايته وإحاطته بعطفه (شاكر الفحام،١٩٨١، أسبوع العلم العشرون).

الذين أكملوا رسالته من بعده وقد رافق ذلك تمسكهم بمنهج القرآن الكريم المبني على أساس تحكيم العقل بالاعتماد على الحجج والحوار، وفي الإثارة والإقناع والتعليل والبرهان والحجة والمنطق، ومن الطبيعي أن يؤثر ذلك بشكل مباشر في التربية وأساليبها وأهدافها التربوية التي لها علاقة بالبيئة والسلوك الديني والاجتماعي والتربوي (إبراهيم مدكور،١٩٥٢، الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لذكرى (ابن سينا).

ما أراده ابن سينا من تلاميذه أن يولوا الحكمة والمعرفة الاهتمام الكبير لما لهما من منزلة تبهر العقول. وإذا كان ابن سينا قد أراد أن يلقن طلابه (حب المعرفة) فقد لقنهم أيضاً شيئاً من الاستقلالية وعدم التبعية، ودعاهم إلى اتباع طريق الأصول الفكرية. ولعل هذا الاتجاه الفلسفي في المعرفة والذي حمل لواءه في القرن الرابع الهجري ومثله أفضل تمثيل في البيئة الإسلامية قد جذب له رواداً مخلصين، ودفع بعض الناس إلى تقليده والانتماء إليه، واتباع خطاه في فكره واتجاهه الفلسفي.

وأعطى ابن سينا كلاً من الجسم والعقل والروح الوزن الذي تستحقه في بناء الأهداف التربوية التي تدخل في تركيبة الجسم والعقل والروح، وأعطى كلاً منها الوزن الذي تستحقه، فالأهداف الجسمية لا تطغى على الأهداف العقلية أو الروحية، كما أن العناية بالجانب الروحي لا يتعارض مع تنمية العقل وتربية الجسم تربية سليمة. ومن الطبيعي أن تؤثر اهتمامات الشيخ الرئيس بشكل مباشر في التربية وأساليبها وأهدافها وعلاقتها بالبيئة والسلوك الديني والاجتماعي والتربوي.

إن المكانة العلمية للشيخ الرئيس بخاصة في ميدان الطب لا تزال حتى الآن ذات آفاق واسعة في إيران وباكستان حيث الطب السينوي يدرس ويطبق في الجامعات. وبذلك ظلت كتب ابن سينا تراثاً يتناقله طلاب المعرفة عبر العصور حتى إن جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده تأثروا بها ورأوا في دراستها دواء لجمود الشرق وأخذوا بأسباب المدينة فدعوا إلى نشرها وطبعها وذيوعها بل خطوا في ذلك خطوات يكملها من بعدهما تلاميذ لهما وأتباع، ولعل من أبرزهم الشيخ مصطفى عبد الرزاق»[١].

ثانياً: أثر ابن سينا العلمي والتربوي في الغرب

إن إسهام ابن سينا في تشييد الصرح الشامخ للعلم الحديث يتبين بشكل خاص لدى مفكري الغرب. هذا ما أكده – روجيه بيكون – في كتابه opusMaius بإعطائه نبذة عن تاريخ الفلسفة في عصره فيقول: «إن أرسطو.... قد أزاح أغلاط الفلاسفة الذين سبقوه ووسع نطاق الفلسفة، طامحاً إلى السيطرة الكاملة على الموضوع كما كان هذا شأن الآباء القدماء بالرغم من أنه لم يكن في وسعه أن يتمكن تماماً من كل أجزائها، وقد نقح خلفاؤه بعض آرائه وأضافوا كثيراً إليها، وهذا أمر لا غنى عنه حتى نهاية العالم. إذ ليس هناك كمال في الاكتشافات الإنسانية... ولكن الجزء الأكبر من فلسفة أرسطو لم تحظ إلا بانتباه ضئيل، ونشير إلى أن ابن سينا وابن رشد وفلاسفة آخرون جمعوا بعض مؤلفات وكتب أرسطو المفقودة وأعادوها إلى النور من جديد، وذكر أن فلسفة أرسطو اكتسبت اهتماماً كبيراً عند اللاتين عامة والطلبة بشكل خاص. إما لقلة وجود مؤلفاته وندرتها أو لصعوبتها وعدم شيوعها، أو بسبب الحروب التي غمرت الشرق حتى زمن محمد. وبالرغم من أن بعض مؤلفاته في المنطق وغيرها قد ترجمها بوسيوس Boethius، فإنه منذ عهد ميكل سكوت Micraelscot الذي ترجم بعض أجزاء مؤلفات أرسطو في الطبيعة وما وراء الطبيعة وعلق عليها

---

(١) Abdrahmau elvakie: The Educatinal reform of Al – A2 Azhar18٧2 –. ph.D.
–Thes is Exeter university, 1980, PP: 165 – 167.

تعليقاً صحيحاً سنة ١٢٣٠م، أخذت فلسفة أرسطو تكتسب اهتماماً عند اللاتين.

إلا أن ما يتعلق بضخامة حكمته الموجودة في عدد كبير من الكتب، فليس منها إلا قدرٌ قليل جداً إلى وقتنا هذا نقل إلى اللاتينية، ليستفيد منه الطلبة، إن ابن سينا بوجه خاص، الذي اقتدى بمذهب أرسطو وفسره، وهو الذي كمل الفلسفة بقدر المستطاع، وضع في الفلسفة كتاباً في ثلاثة أجزاء... وقد وصل إلى اللاتين جزء من القسم الأول، وهو كتاب الطبيعيات، وبعد ابن سينا جاء ابن رشد، رجل الحكمة الحقيقية... بالرغم من أنه كان ينبغي له أن ينقح في بعض الجزئيات ويكمّل في كثير من المواضيع»[١].

يدل هذا النص أن ابن سينا من الرواد الأوائل في القرن الرابع الهجري الذين مكنوا العلماء في الغرب من مباشرة الثورة العلمية «بدءاً من القرن الثالث عشر» وبلغت هذه مرحلتها الأساسية في القرن السابع عشر (جورج شحاتة فتواني، ١٩٨١، ابن سينا، أسبوع العلم العشرون).

ومن عرض آراء المفكرين الغربيين في دراستهم عن ابن سينا نرى الاهتمام بالخلفية النفسية التي أوجدتها مؤلفات ابن سينا وأثرها على البيئة العلمية بشكل عام وفي الغرب خاصة.

« يقول العالم الفلكي الشهير وايتهيد: whitehead في أحد كتبه إن الشيء الجديد في الحوادث المفصلة والمقرون بنفس الاهتمام بالتعميم التجريدي Abstract generalization أي بتعبير آخر باتحاد اهتمام رجال العلم باهتمام ذوي النزعة الفلسفية »(جورج شحاتة فتواني، ١٩٨١،ابن سينا، أسبوع العلم العشرون).

وقد طبق كرومبي هذه الملاحظة في دراسته ابن سينا فوصف الخلفية النفسية، التي وجدتها مؤلفات ابن سينا عندما دخلت لأول مرة في الغرب بقوله: «إن البيئة العلمية كانت حينذاك مهيئة لهذا القران بين الانتباه إلى الحوادث التفصيلية ورغبة إدخالها بمذهب فلسفي شامل.

وهذا يفسر الاهتمام الكبير الذي أبداه المفكر نحو التراث العلمي للعالم القديم الذي كان يرد في موكب علماء العرب.

من هنا نستطيع القول: «إن ابن سينا، بنظرته إلى العلوم وممارسته للطب ممارسة عملية وملاحظاته الدقيقة الراصدة كان مثلاً حياً لهذا الاتجاه الجديد نحو العلم المبنى على الملاحظة والتجربة»(كرومبي، بدون تاريخ، من أعلام مؤرخي تاريخ العلوم).

بدأت أوربا في القرن الحادي عشر الميلادي حركة تقدم أدبي علمي، وتطلعت إلى علوم الشرق ومعارفه في الوقت الذي كان فيه المسلمون قد قطعوا أشواطاً كبيرة في كافة المجالات العلمية والفنية وهذا ما أكده سوزرن (southern) عندما قارن بين ثقافة ابن سينا وبين ثقافة البابا جربرن (٩٤٠ – ١٠٠٣) المعاصر لابن سينا، وبعد المقارنة وجد أن الثقافة الغربية تشوبها الضحالة والجمود إذا ما قيست بالثقافة الإسلامية المتجددة – ممثلة في ابن سينا – وهذاما اشتكى منه (بول الريوس Poulalrarus) « من إقبال المسيحيين الإسبان على الثقافة الإسلامية بعلومها وآدابها وإقبالهم على تعلم اللغة العربية، واقتناء الكتب والمؤلفات العربية مع عدم احتفالهم بثقافتهم المسيحية ولغتهم اللاتينية»[٢].

وهذا يشير «إلى قوة الجذب الثقافي للحضارة الإسلامية في تلك العصور حيث كانت العلوم العربية في العصور

---

(١) Rogerbacor, opus majus, 11, 13, J. H. Bridges, ohford 1987, English translation By. R. B. Burke, philade lphic, 1928, 1, 63.

(١) R. W. Southern: western views of islami in The middleages, op. cil. P. 21.

الوسطى تحتل المكانة التي تحتلها العلوم اليونانية في العصر القديم»(جورج سارتون،١٩٥٩، العلم القديم والمدينة الحديثة).

ولما للعلوم العربية من أهمية في الغرب أسس العالم اللاهوتي (ريمون) ديواناً للترجمة يشرف عليه (جند يسالينوس) المتوفى سنة ١١٥١ لترجمة أمهات الكتب العربية «بطريقة وضع الكلمات اللاتينية فوق الكلمات العربية في الأصل ثم تراجع اللاتينية على يد كبير الموظفين وتحمل الترجمة في النهاية اسم من راجعها» (دبلامسي أولبري، ترجمة تمام حسان،١٩٦١، الفكر العربي ومكانه في التاريخ).

وبذا تكون المؤلفات العربية أصبحت في متناول جميع المترجمين والمهتمين بالثقافة العربية من طب وفلك ورياضيات وتاريخ وأدب وفلسفة، وبخاصة مؤلفات ابن سينا التي بدأت التأثير على الحياة العقلية والفكرية في أوربا، وقد أقبل طلاب العلم على كتب ابن سينا ومؤلفاته الفكرية والتربوية في النفس والأخلاق وفي تصنيف العلوم، وشمل ذلك كافة الجامعات الأوروبية، حتى أصبح لابن سينا تلاميذ في الغرب يتتلمذون على كتبه ومؤلفاته ويدافعون عن فكره وآرائه، وكان لتلامذته الأثر الكبير في حياة الفكر والتربية في العصور الوسطى وبدايات العصور الحديثة.

ثالثاً: مكانة ابن سينا العلمية التربوية والسياسية

أجمع المؤرخون على أن مكانة ابن سينا العلمية والتربوية لم يحظ بها أي مفكر آخر من بسط النفوذ، وامتداد الآراء والمؤلفات، فعرفته الفارسية كما عرفته العربية، وتأثر بمكانته العلمية والتربوية الفكر السرياني كما تأثر به العربي، ونقل منذ القرن الثالث عشر أهم مؤلفاته إلى اللاتينية، وكان لهذه الترجمة صدى كبيرٌ وبعيدٌ في الدراسات، والحياة العقلية لدى الغربيين في القرون الوسطى وعصر النهضة.

صحيح أن ابن سينا عاش في القرن الرابع الهجري الذي يعد من أزهى العصور الإسلامية وأكثرها إنتاجاً وأغزرها ثقافة وفكراً، إلا أن هذا من الناحية السياسية ظهر في صورة تكاد يرثى لها، وهذا لم ينل من عزيمة ابن سينا العلمية والثقافية ومعالجته مشاكل الناس فهو يحدثنا عن الجوع الشديد «الذي كان يتعرض له الناس في عصره في صورة بشعة تضطر الناس إلى استعمال الحشائش في أغذيتهم»(ابن سينا، ١٣٠٥، دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسان) لقد ملّ ابن سينا هذا الجو السياسي المملوء بالفتن والحروب، والدسائس، «ويرى أن الحكم لابد أن يكون بالنص والتعيين، أو بالاختيار الكامل، وأن وظيفة الحكومة وإجراءاتها لابد أن تكون امتداداً لحكم النبي ﷺ، وتشريعات الدين الحنيف»(ابن سينا، ١٣٦٩هـ، آراء ابن سينا في الحكم). ما تناوله الشيخ الرئيس يعد مفخرة للفكر الإنساني من حيث الاتساع والإحاطة والعمق، وقد عني الباحثون قديماً وحديثاً بجوانب هذه المكانة العلمية والتربوية، وألفوا الكثير من الكتب والرسائل والمقالات تضمن قسم منها آراءه في التربية العلمية الموضوعية. ومما يدل على مكانة ابن سينا العلمية والتربوية واهتمامه في التعليم ومجالس التدريس ما نقله بهمينار بن المرزبان، في وصفه حلقة الشيخ الرئيس أنه قال: «حضرت أنا وجماعة من تلامذة شيخنا الرئيس بكرة سبت مجلس درسه الشريف، فاتفق أن ظهر منا في ذلك اليوم فتور عن إدراك ما كان يحققه الشيخ، فقال لنا: كأنكم صرفتم بارحتكم في التعطيل؛ فقلنا: نعم كنا أمس مع جمع من الرفقة في نزهة فلم يتيسر لنا مطالعة الدرس ومراجعة ما كنا فيه، فلما تنفس الشيخ الرئيس الصعداء وفاضت عيناه بالدموع، قال: إنما أسفي على أن اللاعب بالحبال قد يبلغ أمره ي لعبه الذي هو من الملكات الجسمانية إلى حيث تتحير في غرابة علمه عقول ألف ألف عاقل، ولكنكم لم يكن عندكم للحكم والمعارف الحقة مقدارٌ ومنزلة، آثرتم البطالة واللهو على اكتساب العلم والفضيلة، فلم تقدروا على أن تنزلوا الملكة الروحانية من أنفسكم منزلة يتحير فيها جهلة الزمان»(محمد محمود الخضري، ١٩٥٢، الكتاب الذهبي لذكرى ابن سينا).

وهذا يشير إلى المكانة العلمية للشيخ الرئيس، ومدى اهتمامه بالإنسان، وتزويده بالعلوم المعرفية وبتكوينه

الاجتماعي الجيد، وإتقانه الثقافة بجميع فروعها، هدفه من ذلك الإعداد التربوي والإعداد المهني الذي يؤهل صاحبه للقيام بالعمل الذي يعد له، ويؤدي غرضاً وظيفياً يقتضيه حياة الإنسان في محيط تعليمه، أو في محيط مجتمعه وما تتطلبه ضرورات الحياة وتقتضيه حاجات الإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه مما يساعد الفرد على الوفاء بمطالب الحياة المادية والاجتماعية وهذا يدل عل العلاقة الوثيقة التي تربط الإنسان ببيئته وبالكون المحيط به، وما يواجه الإنسان منذ البداية في أنه جزء لايتجزأ من الكون المحيط به وإلى ضرورة تفاعله المثمر مع العالم المحيط به، وبجسمه وعقله وروحه، بحيث يؤثر فيه ويتأثر به وينتفع بما أودعه الله من أسرار ومنافع، ويحافظ على تنميتها وتطويرها وتحسينها بما منحه الله من عقل وعلم وقوة عضلية. ونؤكد أن الشيخ الرئيس أوجد أفاقاً رحبة واسعة من العلم والمعرفة، وهو نفسه نهل من هذا المورد الثقافي الهائل، واختار لنفسه «العلوم الفلسفية» يتخصص فيها طالباً وعالماً ومؤلفاً، وفيلسوفاً تربوياً يدعم هذا الاتجاه الفلسفي في التربية الإسلامية.

لقد اختار ابن سينا طريق الفلسفة وجميع العلوم الأخرى، وسخر إمكاناته كلها لخدمة الإنسان، وقدم حياته كلها من أولها إلى آخرها طالباً وباحثاً ومؤلفاً في جميع الاتجاهات ثم واضعاً لمناهج تربية الفيلسوف «والعلوم التي ينبغي أن يحصلها، والمراجع التي يرجع إليها ومتى يبدا المتعلم في تعلم الفلسفة التربوية».

وعلى الرغم مما سنجده عند الشيخ الرئيس من بناء واضح للنظرية الفلسفية والتربوية، فمن السهل تتبع حلقات المنهج العلمي التربوي والتعرف على الكثير من تعليم الفلسفة التربوية في الإسلام وهذا لا غنى عنه لتحقيق منزلتها في الثقافة الإسلامية، ومعرفة تاريخها معرفة صحيحة.

إن مكانة الشيخ الرئيس تجلت في آرائه من أصالة، وما في بحثه من تجديد وابتكار في جميع ميادين العلوم المعرفية، وعنى الباحثون بإظهار نواحي أصالته المختلفة في المنطق وعلم النفس، والطب، والموسيقى، وبذا يمكن أن يقال إن ثقافته إنسانية واسعة الأفق، لا تخشى الأخذ عن غيرها ، لأن الشيخ الرئيس نظر إلى الإنسان نظرة عالية فيها إكبار له وإجلال، وفيها إعجاب به واحترام لشأنه، و«الإنسان في رأيه ليس البدن، بل ذلك الجوهر الواحد الذي يسكن البدن، والذي يدعى النفس الناطقة».

لم يكن ابن سينا معجباً بالإنسان فحسب، بل كان فوق ذلك كله محباً «هذا الحب دفعه إلى العناية بالإنسان، ولما كانت غاية الحياة عنده هي السعادة، وكان يرى أن هداية الغير إلى السعادة هي أفضل هداية وأن تهيئة السعادة للغير هي أجل هداية»(ابن سينا، بدون تاريخ، رسالة في السعادة).

وهذا ما يجسد مكانة ابن سينا في جميع المجالات ناهيك عن اهتمامه بالإنسان والإنسان جدير بمثل هذه العناية ومقتصر إليها، أما جدارته بها فلأن العقل إذا رفعت عنه الموانع وخلى سبيله، استطاع أن ينطلق ويحلق، وكان في مقدوره أن يخترق الحجب، ويبدد السحب، ويأتي بالعجائب... الإنسان عالم قائم بذاته، يتمتع بشخصية مستقلة، له آماله وآلامه وأفراحه وأتراحه، فكان الاهتمام به منذ وجوده في هذه الدنيا فقد أعطي فرصاً متكافئة لدرك المجد، وتحرير فكره وتحطيم القيود التي تكبل العقل وتحول بينه وبين تأدية رسالته.

لقد تمثلت مكانة ابن سينا في إحاطته بالعلوم شاملة، وكان شغفه بالمعرفة لا حدود له، درس فأوعب وجمع فأوعى، ساعده في ذلك موهبته وحافظته وذكاؤه النادر، وعقله النير المتفتح، فقد ألف في الطب، وألف في الفلسفة، بكل أبوابها المعروفة في عصره على سعتها وتعددها، وألف في الدين والزهد والتصوف والعشق، والكيمياء والأسرار والفلك والموسيقى واللغة والنحو.... الخ... لقد نالت شهرته من الذيوع في الشرق والغرب وفي جميع أصقاع الدنيا، ولقد أطال الدارسون والمستشرقون في أحاديثهم عن مكانته وآثاره البعيدة في جميع مجالات العلوم.

رابعاً: رسالة ابن سينا التربوية ودوره في إعداد الإنسان لتحمل أعباء الرسالة الإنسانية:

لقد كرم الله الإنسان، وفضله على سائر المخلوقات، وصوَّره فأحسن تصويره، وخلقه على نحو يتكامل فيه الجسم والعقل والروح وبشخصية متميزة بخصائصها الإنسانية التي لا يشاركها فيها أي مخلوق آخر في هذه الحياة. ويشير ابن سينا إلى أن الإنسان قد خلقه الله في الوقت نفسه لحكمة جليلة سابقة في علمه جل وعلا، ولتحقيق رسالة سامية في هذه الحياة، تتمشى مع ما منحه الله إياه من تكريم، وتفضيل على سائر المخلوقات، ولكي يحقق الإنسان القيام بالدور المنوط به في تأدية رسالته في الحياة عليه جانب كبير من المسؤولية في إعداد نفسه لمسؤوليات هذه الرسالة «بتزكية نفسه والأخذ بالأسباب التي تمكنه من تربية وإعداد نفسه لتحمل أعباء الحياة في جميع جوانبها».

إن المكانة التي بلغها ابن سينا بمؤلفاته وكتبه، وإن التقدير الذي ناله قد وفر له ولكتبه من الدراسات والبحوث العلمية والتربوية ما لم يظفر به أحد غيره من فلاسفة العرب، فهي بمجملها أشارت إلى مكانته وفتحت الباب واسعاً لدراسات مبتكرة وبحوث جديدة تتناول الشيخ الرئيس وكتبه، وتعيد النظر في تحقيق مؤلفاته، وتجعلها أكثر وضوحاً وأقرب تناولاً، وتزيدنا معرفة بها، وفهماً لمقاصدها وغاياتها، وتبيناً لتأثيراتها المختلفة في شتى البيئات العلمية والفكرية.

من حيث تربية الشخصية، وتربية الخلق، أو بث الشعور الديني، أو تكوين عقيدة دينية خاصة، حتى يكون عضواً كاملاً في المجتمع، وقد حاول الكثير من المربين تحديد الغرض من التربية بقولهم: « تهدف التربية إلى تعويد النشئ الاعتماد على النفس والتربية الاستقلالية، وكسب العلم للعلم ذاته، والبعض منهم أهمل ما دون ذلك من الأغراض، وهذه الأغراض تختلف باختلاف الأمم والعصور والبيئات وحتى في الأمة الواحدة، بدليل ما حدث في أثينا وإسبرطة من بلاد الإغريق. « فقد كانت أثينا تفكر في الحكمة والفلسفة والأدب، في حين أن إسبرطة كانت تضحي بكل شيء في سبيل التربية الجسمية والعسكرية» (محمد عطية الإبراشي، بدون تاريخ، روح التربية والتعليم) ويشير الشيخ الرئيس إلى ضرورة تفكير المربي في تكوين المثل الأعلى للإنسان المنظم التفكير القوي الشخصية، النافذ الإرادة، الكامل الخلق، السليم الجسم، المحب للاطلاع، المهذب الوجدان، المخلص لوطنه، الذي يستطيع أن يعتمد على نفسه في كسب عيشه ويعيش لغيره كما يعيش لنفسه، ويستفيد مما منحه الله من عقل وإرادة ودوافع للعمل والتملك والنجاح وتحقيق الذات. ولكن مهما كانت أهمية الدور الذي يقوم به الإنسان في تربية وتعليم نفسه وفي إصلاح أحواله وظروفه، فإنه لا يستغني عن عوامل التعليم والتربية التي تأتي من خارج ذات الإنسان لتتفاعل مع إمكاناته ومكوناته الداخلية، فمن الفلسفات المعاصرة المتميزة فلسفة القيم، وهي تود النظر إلى الفاعلية الإنسانية من كافة وجوهها، ومنها الجانب التعليمي، نظرة ثاقبة تضم العمل إلى الهدف وتربط ربطاً متكاملاً وناجعاً الفعل بفرضه، والنشاط بغايته، والعطاء بهدفه وسبله.

لقد وضع ابن سينا منهجاً تربوياً مستمداً أسسه ودعائمه من الدين، ومن واقع عصره ومجتمعه، ليفي بمتطلبات مجتمعه ويساعده على النهوض والخلاص مما هو فيه من انحلال وتعطل وفقدان للقيم إنها تربية اجتماعية بكل معنى الكلمة، متعددة الجوانب فردية، مجتمعية، أخلاقية، دينية مهنية.

وهذا يؤدي غرضاً وظيفياً تقتضيه حياة الإنسان في محيط تعلمه، أو في محيط مجتمعه، كما يساعد الفرد على الوفاء بمطالب الحياة المادية والاجتماعية، وما تقتضيه علاقاته مع بني البشر، لقضاء حاجاته وتنظيم شؤون في جميع مجالات الحياة. ويرى ابن سينا أن للتربية نواحي وأغراضاً عامة، ومقاييس معينة يجب تحقيقها جسمياً وعقلياً وخلقياً واجتماعياً وجمالياً على أحسن الطرق التربوية المعروفة حالياً. وهذا يشير إلى أنه قد تتحكم بحياتنا مجموعة كبيرة من النظم العقدية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية، والعلاقة بين هذه النظم هي علاقة تأثير وتأثر، ولن يكون من مصلحة أي أمة أن تعلّق توازنها العام على نظام واحد، فإذا صلح صلح حالها، وإذا

فسد فسد أمرها، وبالتأكيد إن الأمة لا تستطيع أن تفعل ذلك إلا في حدود معينة. من هنا تبدو طبيعة التخصص لأي علم من العلوم معياراً للتقدم، فعلماء الاقتصاد يعتقدون أن الأمة لن تتقدم إلا إذا تقدم اقتصادها، والتربويون يعتقدون أن تقدم التربية شرط لتقدم العالم وهذا يشير إلى أن علاقة أي علم مع العلوم الأخرى هي علاقة جدلية، أخذ وعطاء وتأثير وتأثر.

فالتربية كما يراها الشيخ الرئيس تنقل رسالة، وتحدد مجالات العمل، وترسي معايير أخلاقية فهي تقوم بمهمة مزدوجة صعبة، وتحاول الاحتفاظ بما هو جيد من المكونات الثقافية المختلفة، من خلال نشرها وتنشئة الشبيبة عليها، كما أنها تحاول بذر أفكار وعادات ومعارف جديدة، ربما كانت مناهضة لما هو معروف ومستقر، ويتم كل هذا في مجتمعات تتغير بسرعة فائقة، وطبيعة مثل هذا العمل تكون نتائجه في العادة بطيئة، وتحتاج إلى المهارة والصبر (بوترندراسل، ١٩٧٨، التربية والنظام الإجتماعي، ترجمة سمير عبدة).

وبالإشارة إلى تلاحم أهداف العلوم التربوية مع الهدف العام للتربية لا يكفي إذا ما أريد توجيه تلك العلوم توجيهاً سديداً، أي أنه لابد من توجيهات محددة لكل منها، ففي علم النفس يجب أن ينصب الاهتمام على معرفة الخصائص الأساسية التي يمتاز بها الإنسان، صحيح أن الإنسان يشترك في بعض مظاهره مع الكائنات الأخرى، ولكنه لا يتساوى معها، فمن أهم أهداف علم النفس «صيانة الفطرة من العوامل التي تخرجها عن مسارها، فالانفعالات وإغراءات المال والجسد تدرس على ضوء هذا الهدف، أما الدوافع التي يشترك فيها الإنسان مع الحيوان فتدرس بهدف السيطرة عليها، ذلك أن الإنسان مسؤول عن تصرفاته، وفوق هذا وذلك؛ فإن كل العمليات العقلية وأنماط السلوك الصادرة عن الفرد يجب أن توجه لكسب رضوان الله تعالى (عبد الحميد الهاشمي، بدون تاريخ، صيغ علم النفس بالصبغة الإسلامية) وعلم النفس المسلم لا ينخدع بالمظاهر السلوكية، لأنه يدرك أنه يكمن وراءها دوافع تستقر في الأعماق، فسلوك الإنسان المؤمن حين تترقرق عيناه بالدموع لا يفهمه إلا من يدرك حقيقة أن الخوف والأمل والرجاء لا تكون إلا من الله (عبد الرحمن صالح عبد الله، ١٩٨٨، الفكر التربوي الإسلامي).

إن مهمة التربية ليست لإعداد الأجيال لقبول التغييرات الكثيفة القادمة والتكيف معها فحسب، وإنما السيطرة عليها، واستخراج خير ما فيها، مع مقاومة السيء والضار منها.

وحين تعصف رياح التغيير بالمجتمع، ويكون تطور المؤسسات والأساليب التربوية على نحو بطيء يؤدي إلى اعتبار التربية على أنها عامل تخلف وهذا يؤكد ضرورة الاعتماد على الخبرات والدراسات التي تضع النقاط على الحروف، وتعمق الفهم حول الاستخدام الأمثل لكل ذلك.

وعلم الاجتماع التربوي لا يقل أهمية عن علم النفس التربوي، فمن أهداف علم الاجتماع التربوي تبصير الدارسين بالتغييرات المرغوب فيها، وبتلك التي تندرج في قائمة البدع غير المرغوب فيها، والمدرسة في المجتمع الإسلامي عامل أساسي لكبح جماح أي تسارع في التغييرات الاجتماعية. «ومن أهداف علم الاجتماع التربوي كذلك غرس القيم الخلقية ومحاربة كل ما يتعارض معها للوصول إلى عرض كامل للنظرية التربوية الاجتماعية من الوجهة النفسية. وبيان ترابط الوسائل والأهداف في التربية الإسلامية، وتميز مناهجها حتى ولو التقت عرضاً في بعض النقاط مع مناهج أخرى في الهدف بصورة خاصة» (عبد الرحمن صالح عبد الله، ١٩٨٨، الفكر التربوي الإسلامي).

حيث تهدف التربية الإسلامية إلى بناء الإنسان الصالح وليس المواطن الصالح فحسب، لأنه ينظر إلى الإنسان في جميع جوانبه جسداً وروحاً وعقلاً بدقة متناهية، لتحقيق التطابق والتكافؤ بين النظر والعمل يستدل على

ذلك بقوله تعالى (**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**) سورة البقرة آية ٢٣ وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لايكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً).

* * *

المراجع باللغة الأجنبية

1- Abd Alrahman Eknakib ،the Educational reforn of Al-Azhar 1972-1772 PH.thesis . Exeter university .1980.pp165-167

2- Roger Bacon.opus majus.11.13 J.Hbario-Ges .oxford.1897.1..English translate-ionby .R.B.burke .philadelphic.1928

3- R.W. Southern: western views of isdam in the middlages.opcial.p21

الفصل الرابع

المنهج العلمي التربوي عند ابن سينا

– مقدمة:

١– المكونات النظرية لمنهج ابن سينا التربوي

٢– المنهج الفلسفي التربوي عند ابن سينا.

٣– أهمية تصنيف العلوم وصلته بالمنهج العلمي التربوي عند ابن سينا.

٤– أهمية دراسة الفكر التربوي عند ابن سينا

المنهج العلمي التربوي عند ابن سينا

مُقَدِّمَة

كان ابن سينا عالماً موهوباً، ومفكراً عالمياً، وكان يملك ذكاءً نادراً، وذاكرة قوية، وعقلاً خصباً، فهو لم يكن مفكراً كمفكري عصره فحسب، بل كان عبقرية فذة وأعجب ما فيه طموحه العقلي الدائم، للبحث عن الحقيقة، وإمعان النظر فيما يجب التساؤل عنه في جميع المجالات، وكان بحق من جبابرة العقل يتلألأ كل ذلك في جميع مؤلفاته.

فهو صاحب منهج علمي تربوي، بل هو فيلسوف منهجي، ويعتبر بحق من أهم فلاسفة الإسلام المنهجيين في الفلسفة والطب والتربية خاصة وفي جميع المجالات العلمية الأخرى كعلم الرياضيات، والفلك، والطبيعيات، وجميع العلوم النظرية والتطبيقية.

لقد كان العصر العباسي أزهى العصور العربية توضح فكراً ورقي عقل، ولقد وصل العرب في هذا القرن إلى شأوٍ بعيد في مجال العلوم كافة، وأخذت الحضارة العباسية تؤتي ثمرها في كل فرع من فروع العلم والفلسفة والأدب والفن.

أولاً: المكونات النظرية لمنهج ابن سينا التربوي

من الحق أن نقول: إن منهج ابن سينا العلمي والتربوي اتصف بنزعة علمية عادلة حاول من خلالها إيضاح منهجه بين مختلف مؤلفاته في الطب والأدب والأصول الفقهية والتربوية منطلقاً مما هو كائن إلى ما يجب أن يكون، مختاراً الطريقة أو المنهج الذي من شأنه أن يحقق الهدف ويؤدي إلى الغرض.

ولما كان الفكر التربوي يتجلى عادة ببعدين: نظري وعملي، فإن الشيخ الرئيس أتيح له أن يتعلم القرآن ويكمله في سن العاشرة فهو يتحدث عن نفسه ويقول:

«وأحضرت معلم القرآن، ومعلم الأدب، وأكملت العشرين من العمر وقد أتيت على القرآن، وعلى كثير من الأدب حتى كان يقضي مني العجب»، ويبدو من قوله: إنه لم يكن تلميذاً عادياً يكتفي بالحفظ عن ظهر قلب، بل كان ذكاؤه يظهر من حين لآخر في فهم معاني القرآن الكريم وحسن استعمالها وهذا ماساعده على إبراز المكونات النظرية لفكره التربوي. أما على الصعيد العملي فكان له الخبرة الواسعة والعريضة من خلال ممارساته العملية في الطب وتعليم أولاد الخاصة أو في السياسة أثناء عمله في الوزارات التي كلف بها، فهو طبيب درسه الأطباء على أنه أحدهم، وعظيم من عظمائهم، وهو عالم بعلم النفس كذلك، وهو قصاص وشاعر وطبيعي وكيماوي... الخ.

أجمع المؤرخون على أن الشيخ الرئيس (ابن سينا) رجل موهوب وعنوان ثقافة، ومفكر عالمي. تلخصت مواهبه في ذلك الذكاء النادر، والذاكرة القوية، والعقل الخصب، والجلد المنقطع النظير على العمل، وقد بدت ملامح ذلك كله في سن مبكرة، بحيث استطاع أن يستكمل ثقافته اللغوية والدينية والعقلية ولما يجاوز العاشرة، وأن يصل إلى

مرتبة النبوغ والتخصص ولما يناهز العشرين.

إنّ ما سعى إليه الشيخ الرئيس هو تحقيق أغراض واضحة ومحددة في المنهج الذي سلكه في الطرق والأساليب والوسائل والخبرات والممارسات «أي كل ما من شأنه أن يؤدي دوراً في خدمة الأهداف والأغراض الموضوعة» (محمد عزت عبد الموجود وآخرون ،١٩٧١، أساسيات المنهج وتنظيماته).

لقد أضحى ابن سينا حجة في الطب والفلك والرياضة، وإماماً في الفلسفة معتمداً على نفسه في تعلم الفلسفة والهندسة تعلماً ذاتياً، وكذلك في تكوين عقليته التي درس بها الطب، وبديهي أن يجد الطب سهلاً بالنسبة إلى ما درسه من علوم فلسفية «ذلك لأن الطب علم «وصفي تجريبي» تكفي في تحصيل معلوماته الذاكرة والملاحظة دون الدخول في المناقشات والمحاكات وتضارب الأدلة» (محمد خير عرقسوسي،١٩٨٢،ابن سينا والنفس الإنسانية).

قال ابن سينا: «ثم رغبت في علم الطب، وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه، وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة، فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرؤون عليّ علم الطب».

ألمّ بالثقافة الإسلامية الشاملة المعاصرة له، وهضمها خير هضم، ثم ترجم عنها ترجمة صادقة، فكتب في الطب والكيمياء والطبيعة وعلم الأحياء، والفلك والرياضة، والمنطق والميتافزيقي، والأخلاق والسياسة، والتوحيد والتفسير، وكتابا «الشفاء» و«القانون» خير مثل لهذه الثقافة الواسعة.

ما أراده الشيخ الرئيس هو وضع القاعدة المتينة لوحدة الفكر الفلسفي التربوي في جميع المجالات «وبذا راجعت سوق العلم» وألّفت دراسات مستفيضّة تناولت جميع جوانبه»(محمود عبد اللطيف ،٢٠٠٥، الفكر التربوي عند الفارابي، مجلة المعرفة).

بذا نرى المنهج العلمي التربوي والفلسفي عند ابن سينا يمثل تصوره للفكر التربوي لتحقيق الأهداف العامة والخاصة التي تقوم عليها التربية وسط هذا الجو المفعم بالحضارة والعلم.

فقد توجه إلى وحدة معالم ارتباط التربية بالفلسفة وينظر في تدبير أفعال الشخص، أو في ذكاء نفسه، أي تصريف نفسه، وقد ساعده على ذلك ما كان يتصف به من الذكاء الحاد والفطنة الذكية والعبقرية الفذة في شتى أنواع العلوم والمعارف.

ثانياً: المنهج الفلسفي التربوي عند ابن سينا

كان ابن سينا يستنبط الهيكل العام للمنهج الفلسفي التربوي الإسلامي من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، ويبين خصائصه المتميزة وقدرته الفائقة على بناء الإنسان بناءً حسناً في كافة المجالات، لأنه ينظر إلى الإنسان على أنه قوة فاعلة في واقع الحياة بغير تسلط، وابن سينا يعدّ بلا شك في مقدمة الباحثين والمبتكرين المسلمين.

فقد عني المؤرخون والباحثون بإظهار نواحي أصالته المختلفة، في المنطق، وعلم النفس، والطب والتربية والموسيقى. «وبذا يمكن أن يقال: إن ثقافته إنسانية واسعة الأفق، لا تخشى الأخذ عن الغير ما دامت تؤمن بنفسها، كما لا تخشى أن يؤخذ عنها فنستفيد وتفيد»(إبراهيم مدكورة، ١٩٥٢، المهرجان الألفي لذكرى ابن سينا). هذا هو موقفه من حيث الغاية القصوى لتحصيل العلوم، وهو يتجه في هذا اتجاهاً أخلاقياً وتربوياً، فهو يرى أن غاية الإنسان النهائية هي تحقيق السعادة فمتى حصلت له لا يسعى إلى غاية أخرى، وبذا يضع نظريته التربوية فيحصرها في:

١- ارتباط التربية بالفلسفة.

٢- النبوة والتربية.

٣- التربية الخاصة.

٤- معرفة النفس.

٥- قيمة العقيدة.

٦- جزاء المتقين.

٧- السعادة.

٨- تنظيم أمور المدينة.

٩- في نشوء الأسرة والأتباع ووجوب السياسة.

١٠- في سياسة الرجل دخله وخرجه.

١١- في سياسة الرجل أهله.

وحدد ابن سينا ثلاثة أقسام (لارتباط التربية بالفلسفة)(شاكر الفحام، ١٩٨١، أسبوع العلم العشرون) وهي:

١- **علم الأخلاق:** وينظر في تدبير أفعال الشخص الواحد أو في ذكاء نفسه أي تصريف نفسه.

٢- **تدبير المنزل:** وينظر في العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة، وتأمين الحياة المعاشية للأسرة.

٣- **العلم السياسي:** وينظر في علاقات الناس بعضهم ببعض في المدينة الواحدة، وفي علاقات المدن بعضها مع بعض ثم علاقاتها مع الدول الأخرى.

وبذا يكون ابن سينا قد تناول في مصنفاته ومؤلفاته مختلف الاتجاهات الفلسفية والتربوية التي ساهمت في تكوين السلوك الإنساني. وهذا يشير إلى مدى الاهتمام بالدراسات المتعلقة بالإنسان ورصد الإمكانات المادية والعلمية لرفع مكانة الإنسان.

ويمكننا القول: إن ثقافته إنسانية واسعة الأفق في جميع المجالات الفلسفية والتربوية «فهو مفكر عالمي، يرتفع عن حدود الزمان والمكان ولا غرابة فهو عالم وفيلسوف؛ والعلم والفلسفة الحقة لا وطن لهما، ففلسفته هي فلسفة اللغة العربية منذ القرن الخامس الهجري إلى أوائل القرن الحالي» (عيون الأنباء، بدون تاريخ، والوافي بالوفيات).

ما أردته هو تقدير فضل الشيخ الرئيس ابن سينا على الإنسانية، بما أسداه من خدمات كبرى للعلم والمعرفة والفلسفة والدين، حيث كان هو والفارابي وسائر فلاسفة الإسلام العظام كابن الطفيل وابن رشد حملة رسالة العلم العالمي، وإن التمثل بروح العلم هو مطمح أنظار كل فيلسوف عظيم، لأن غايته الكبرى لا تقل عن الطموح إلى التعرف بالحق المطلق، وبالحقيقة العالمية الخالدة، هذا هو ابن سينا وهذا هو منهجه وطريقته وأسلوبه هدفه الإنسان وتربيته التربية الصادقة، انتفع به الشرق والغرب سواء في ذلك فلسفته أو طبه أو طبيعته وكيمياؤه، فهو كالشمعة تضيء كل مكان.

بدأ ابن سينا نتاجه العلمي والفكري مبكراً، ألف في السابعة عشرة من عمره كتاب معتصم الشعراء في العروض، وألف وهو في الحادية والعشرين من عمره سنة ٣٩١ / كتاب المجموع/ أتى فيه على سائر العلوم سوى الرياضي» (شاكر الفحام، ١٩٨١، أسبوع العلم العشرون) وهي:

وألف كتاب الحاصل والمحصول في قريب من عشرين مجلدة، وكتاب البر والإثم في الأخلاق مجلدتان.

وإذا كانت عبقرية الشيخ الرئيس التي تألقت في كتبه وتآليفه قد دفعت الأجيال أن تعود إليها دراسةً منقبة، تكشف لها الأيام كما قال أستاذنا الدكتور شاكر الفحام: كل مرة صفحة جديدة، ومعرفة جديدة، لأن العباقرة لا

ينفد معينهم، يتجددون تجدد الفكر الإنساني.

والحق أن مقدرة ابن سينا على تأليف الكتب وإنشاء الرسائل في فترة قصيرة تفوق كل تصور، هذه المقدرة المعجزة تواتيه في سهولة ويسر، يقول أبو عبيد: وكان الشيخ الرئيس متوارياً في دار أبي غالب العطار بهمذان خوف السلطان «وطلبت منه إتمام كتاب الشفاء، فاستحضر أبا غالب، وطلب الكاغد والمحبرة فأحضرهما، وكتب الشيخ في قريب من عشرين جزءاً، وبقي فيه يومين، حتى كتب رؤوس المسائل كلها، بلا كتاب يحضره ولا أصل يرجع إليه، بل من حفظه، وعن ظهر قلبه، ثم ترك الشيخ تلك الأجزاء بين يديه، وأخذ الكاغد، فكان ينظر في كل مسألة ويكتب شرحها، فكان يكتب في كل يوم خمسين ورقة حتى أتى على جميع الطبيعيات والإلهيات، ما خلا كتابي الحيوان والنبات» وابتدأ بالمنطق وكتب منه جزءاً...(ابن أبي أصيبعة، بدون تاريخ، عيون الأنباء – الجزء الثاني).

إن ما جاء به الشيخ الرئيس يدل على إحاطته باللغة وتمكنه من مفرداتها وهذا يتطلب موهبة في التعبير تفسح لصاحبها أن يفصح عن أدق الفكر الفلسفية والعلمية.

كانت فلسفته التربوية تدور حول تنمية الفرد من حيث هو إنسان لا من حيث هو عضو في جماعة، وهدف التعليم في رأيه هو تنمية القدرة على التفكير، وتمكين الإنسان من الوصول إلى هذه المفاهيم الأساسية، أو المبادئ الخلقية التي يجب أن يتصف بها الإنسان.

إنتاج ابن سينا وافر ومتنوع، على الرغم مما لاقى في حياته من عنت وقلق فكتب في أبواب الفلسفة المختلفة، وفي الدين واللغة، وله في الموضوع الواحد أكثر من كتاب أو رسالة، ويبدو في وضوح أن مؤلفاته كانت موضع عناية المشتغلين بالعلوم العقلية طوال القرون الماضية وهذا ما نبينه في حينه.

ثالثاً: أهمية تصنيف العلوم وصلته بالمنهج العلمي التربوي عند ابن سينا

يعدّ ابن سينا من الرجال القلائل في العالم الإسلامي الذي يصح أن نسميهم (موسوعيين) وإن كان طابعه الأعم الأغلب هو الفلسفة بجميع فروعها المعروفة في زمنه من الهيات وطبيعيات وطب ونفس ومنطق ورياضة وأخلاق وغير ذلك (أحمد أمين، ١٩٥٠، مؤلفات ابن سينا) فقد ألف ابن سينا في كل هذا، وقيل: إنه ألف في الموضوع الواحد كتباً مختلفة تضمنت فلسفة اليونان معتمداً في ذلك على تعاليم الإسلام، وعلى ابتكاراته الخاصة.

إن أي تصور لتصنيف العلوم إنما يكشف عن فلسفة معينة لصاحب التصنيف، ومن ثم يتم من خلاله التعرف على صلة العلوم وارتباطها فيما بينها في مجالات الحياة «الأمر الذي يسمح لفريق من العلماء المتخصصين في علوم ضيقة متقاربة المجال بأن يتناولوا بالدراسة وقائع أو ظواهر واحدة كل منهم يعالجها من زاوية تخصصية» (محمود عبد اللطيف ،٢٠٠٥، الفكر التربوي عند الفارابي). وفي هذا كان همّ ابن سينا أن يمكن غيره من أن يتعلم وقد منحه الله، كما طلب هو، حياة عريضة، وإن لم تكن طويلة، فقد استطاع أن ينتج هذا النتاج الغزير العميق الواسع الذي لايستطيع أن يقوم به أحد، لكنه فضل الله يؤتيه من يشاء.

لقد خلف ابن سينا (الشيخ الرئيس) ثروة كبيرة يصعب جمعها وتصنيفها وتقسيمها وانتشارها في جميع أنحاء العالم.

كانت حياته الفكرية خصبة وكانت فلسفته التربوية تدور حول تنمية الفرد من حيث هو إنسان هدفه تربية الطفل والعناية به، والتعامل مع التكوين الخلقي والسلوكي للطفل وتربيته تربية نفسية، على أحسن الطرق التربوية، ويؤكد ابن سينا ضرورة مراعاة نفسية لطفل بحيث لايصيبه غضب شديد أو خوف شديد أو غم أو سهر، ويبين الشيخ الرئيس أن في ذلك منفعتين؛ أولاهما في نفسه بأن ينشأ من الطفولة حسن الأخلاق ويصير ذلك له ملكة لازمة، والثانية لبدنه فإنه كما أن الأخلاق الرديئة تابعة لأنواع سوء المزاج، ففي تعديل الأخلاق حفظ الصحة للنفس والبدن جميعاً.

إن مؤلفات ابن سينا على غزارتها وتنوعها كانت موضع عناية الباحثين وهي لم تكن مصنفة التصنيف العلمي الموضوعي بل كتب في ذلك «مجملاً أو مفصلاً أو ملخصاً أو شارحاً، ناثراً أو ناظماً، مبتدئاً من نفسه أو مجيباً عن أسئلة وجهت إليه» (جورج شحاتة، ١٩٥٠، قنواتي – مؤلفات ابن سينا).

اعتمد الأب جورج شحاتة قنواتي في تصنيف مؤلفات ابن سينا حسب المواد اتخذ ذلك أساساً لترتيب إنتاجه وفق رسالة «تقسيم العلوم» التي وضح فيها جميع جوانب مؤلفاته.

ويرى ابن سينا أن العلوم العملية تأتي في المرتبة الثانية بعد العلوم النظرية لأن العلوم النظرية تتوقف على العلوم العملية والعلاقة بينهما هي علاقة جدلية، وموقفه هو موقف الفيلسوف من حيث الغاية القصوى من تحصيل العلوم لبناء الهيكل العام للمنهج الفلسفي التربوي العربي الإسلامي، وبيان خصائصه المتميزة وقدرته الفائقة على بناء الإنسان بناءً حسناً لأنه ينظر إلى الإنسان في جميع جوانبه جسداً وروحاً وعقلاً بدقة متناهية، لأنه يتعامل مع الإنسان على أساس الفطرة البشرية الممتزجة المترابطة لتحقيق التوازن بين جميع طاقات الإنسان، وهو ينظر إلى الإنسان على أنه قوة فاعلة في واقع الحياة بغير تسلط (جعفر آل ياسين، ١٩٥٢، فيلسوفان رائدان الكندي والفارابي).

رابعاً: أهمية دراسة الفكر التربوي عند ابن سينا

آ– ثقافة ابن سينا التربوية: لكل ثقافة من الثقافات منهاجها التربوي الخاص، وابن سينا كوّن عقله العالم الإسلامي أجمع بقراءته وثقافته وعلمه وفلسفته (وهذا التكوين العقلي أهم لابن سينا من التكوين الجسمي، على أن العلم لا يعرف له وطن، فليس هناك عالم أندلسي ولا مغربي ولا مشرقي، إنما هو كالشمعة، تضيء كل مكان، وإذا كان العلم كذلك، فكيف بالفلسفة وهي تهزأ بالوطن، وترتفع عن الزمان والمكان» (المهرجان الألفي لذكرى ابن سينا، ١٩٥٢، جامعة الدول العربية) لقد كان ابن سينا فيلسوفاً عالمياً، انتفع به الإنسان الذي هو محور العملية التربوية، سواء أكان في ذلك فلسفته أو طبيعته أو ثقافته التي عبر عنها أستاذنا الدكتور أحمد أمين بقوله: «إنه سبح في اللانهاية واللامحدود».

من هنا يمكن القول: إن ابن سينا مثال للروح الإنسانية الثائرة، التواقة إلى السمو، والطامحة في الصعود إلى الملأ الأعلى، وهذا الطموح العقلي يمثل درجة من الحيوية والثراء والفاعلية، لأن النفوس الطامحة لا تهدأ كما يهدأ الماء الراكد، بل تندفع إلى الأمام دائماً، وتتجرد من قيود المادة، وابن سينا كان يدرك تمام الإدراك أن همّه الرئيسي هو إبلاغ المتعلم إلى كماله الإنساني، مما يجعل من المحتم على ابن سينا أو غيره أن يقف وقفة مهما قصرت «أمام تدريب المعلم وتوجيهه لتكوين الإنسان فكراً وثقافة وروحاً وخلقاً، وهذا سيكون سبباً في إحداث ثورة ثقافية تربوية تكون أداة لنقل الخبرات، وصقل الكيانات الاجتماعية المختلفة»(محمود عبد

اللطيف،٢٠٠٥، الفكر التربوي عند الفارابي ، مجلة المعرفة).

إن ما جاء به ابن سينا من أفكار تربوية تعبر عن إحاطة وشمول بتربية الإنسان منذ أن يكون جنيناً في بطن أمه إلى أن يولد وينمو ويمر في مراحل العمر المختلفة، وهذا يشير إلى أن آراء ابن سينا التربوية تعبر تعبيراً دقيقاً عن جوهر المبادئ التربوية التي يؤمن بها المنفعة مع روح الدين الإسلامي، ويدل هذا على عمق تفكيره ورجاحة عقله في مجالات التربية كافة فهو فيلسوف من الطراز الأول، أظهر في ثنايا كتبه كثيراً من الأفكار التربوية وعبر عنها بلغة سهلة واضحة.

والحق أن ابن سينا قرر أموراً تعد غاية في الدقة والروعة في مجال تربية الطفل من ذلك:

إرضاعه وتعليمه والعناية بجسمه وتوجيهه إلى ما يلائم طبعه في جميع مجالات الحياة.

إن ما جاء به ابن سينا يوفر البنية العميقة للتربية، وقد أفاد الباحثون والمفكرون الذين أتوا بعده في الفكر التربوي الذي يمثل الإطار التوجيهي للأنشطة التربوية التي يقومون بها.

هذا هو نهج ابن سينا وهذه هي طريقته وأسلوبه ومنطقه الفلسفي التي لا يمكن أن يقف الإنسان فيها عند حدّ العلم، بل لابد من الممارسة والتدريب حتى يكتسب المهارة المطلوبة، وهذا ما نعالجه في دراستنا للاتجاهات التربوية عند ابن سينا (الدينية واللغوية، والعقلية والموضوعية والاجتماعية، والجسمية... الخ) من هنا نلمح أهمية الفكر التربوي عنه. لإيضاح بعض الحقائق حول التربية العربية الإسلامية وبيان أسسها ومناهجها، مع مناقشة مفاهيم التربية الحديثة على ضوء مما ورد في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة حول الهيكل العام للمنهج التربوي الإسلامي، والدافع إلى هذا قلة الكتابات في هذا الشأن لاسيما وأن التربية الحديثة تقوم على فلسفات وضعية من الغرب إلى الشرق، وأن الذين كتبوا في التربية أو علم النفس أخذوا مباشرة بما فرزته هذه الفلسفات، مع الأخذ بالحسبان جميع مكونات الإنسان، والاهتمام بنوازعه الفطرية وتوجهه نحو الكمال وتدربه للصعود إلى القمة بكل طريق ممكنة وجهد مستطاع، وأنها ليست خيالاً ولا معجزات صعبة التحقيق. ويمكن استخدمها على أحسن وجه في جميع المجالات.

الفصل الخامس

الازدهار العلمي والثقافي في القرن الرابع الهجري

- مقدمة

١- معالم الازدهار الثقافي والحضاري في القرن الرابع الهجري.

٢- محددات المجتمع البشري في القرن الرابع الهجري.

٣- المزايا العلمية والثقافية في القرن الرابع الهجري.

٤- ابن سينا وأعلام التراث في القرن الرابع الهجري.

الازدهار العلمي والثقافي في القرن الرابع الهجري

مُقَدِّمَة

الأمم التي كتبت تاريخها الحضاري كثيرة قديماً وحديثاً، ووعي الأمة بذاتها واعتزازها بتراثها يجعل من واجبها الاعتزاز بأعلامها المبرزين الذين أسهموا في عطائها الحضاري وإنجازها العلمي، ودارسو أعلام هذا التراث العربي لابدّ لهم من أن يكونوا على وعي تام بحضارة الشعوب، وسير التاريخ ناظرين إلى شؤون مجتمعاتهم، وسير الأحداث، وتناغم العقول، وبذا نستطيع أن نصنف حضارتهم في القرن الرابع الهجري، فالأمم تتبارى حقيقة في تجاذب أطراف الفخار والاعتزاز بمقدار ما لديها من هذه القمم البشرية التي تركت بصماتها على الثقافة والحضارة والتاريخ، وكان لأعلام الأمة الإسلامية السبق في دفع عجلة الحضارة والثقافة وإيصالها إلى المستوى المطلوب اللائق بإنسانية الإنسان ومنزلة الإسلام التي مهدت لحضارة الغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين.

على الرغم من قساوة الحياة في الجزيرة العربية، فقد كانت زاخرة بالمعارف والدرايات الضرورية التي ضمنتها ظروف البيئة، ولعل من أهم المعارف التي اصطنعتها البيئة العربية الخطابة والقصص والتنجيم والطب والرواية، وهي وسائل تربوية بحد ذاتها جعلت من العربي أن يحفظ الشعر باعتباره سجلاً للمآثر، والمكانة لكل جانب من جوانب الثقافة العربية إذ إنه من الصعوبة بمكان أنّ نجد على مر العصور والأزمان فيلسوفاً مثل الفارابي ولا شاعراً مثل المتنبي ولا نحوياً مثل الأخفش ولا أديباً ابتدع المقامات مثل بديع الزمان الهمذاني، ولا أديباً مؤرخاً ناقداً مثل الأصفهاني، ولا عالماً مثل البيروني أو ابن الهيثم، أو ابن سينا الذي جمع فأوعى جميع جوانب العلوم والثقافة بجميع مضامينها، فهو طبيب حاذق، وفيلسوف كبير، مؤلفاته تربو على المئة منها: «الإشارات والتنبيهات» في المنطق والحكمة، (وكتاب الشفاء) في الطب والفلسفة وكتاب النجاة الذي جمع فيه التراث العظيم لكل ما ذكر، ومن أعلام هذا القرن أبو حبان التوحيدي فهو دائرة معارف عصره، وقد نسج على منوال الجاحظ في افتتاحيات كتبه كلّها.

إن الازدهار العلمي الثقافي في القرن الرابع الهجري يشير إلى أهمية دراسة هذا العصر وتصوير الإنسان فيه، والإشارة إلى حركة الزمن الفاعلة في جميع جوانب الحياة الإنسانية وما تقدمه «لخزانة البشرية التي تعرف باسم الحضارة» (علي شلق، ٢٠٠٣، أبو حيان التوحيدي والقرن الرابع الهجري).

أولاً: معالم الازدهار الثقافي والحضاري في القرن الرابع الهجري

إن معالم الازدهار الثقافي والحضاري تبدو جلية في مجالات الاجتماع، الأدب، السياسة، العلم، الدين، الاقتصاد، بمعنى أن أعلام التراث في هذا العصر تناولوا هذه العلوم بجميع مراحلها كل في مجال اختصاصه، وهذا يوجب علينا تسليط الضوء على هذا العصر من عدة نواح تقوم على ركائزها الحضارة ونعني بهذا الواقع

الاجتماعي والثقافي والعلمي.

بذا ترانا نبين واقع عصر بني العباس منذ عهد السفاح إلى المنصور رجل الدولة الأول في هذا العصر، والذي يشبه عبد الملك بن مروان بقوة الإرادة، وتوطيد الملك الذي استقر في عهد المهدي وازدهر في عصري الرشيد والمأمون ازدهاراً لم يُعرَف في تاريخ الأمة العربية.

وإذا كان عصر الرشيد والمأمون قد تم مدحه من قبل بعض الشعراء الكبار كأبي نواس والعتاهية والحسين بن الضحاك، ومسلم بن الوليد، ومروان بن أبي حفصة، والسيد الحميري.

لقد امتاز ذلك العصر بنظام دقيق شديد يحفظ الأمن والحرية لدور العلم لتنير العقول، وتغني الفكر في جميع جوانبه إلا أن عصر بني العباس غابت شمسه بعد مصرع المتوكل وفسد فيه أمر المجتمع، واضطرب حبله، وأصبحت الجماهير تقف أمام الأقدار حيال هذا المصير الذي آل إليه واقع هذا العصر سواء أكان في مجال الاقتصاد وهو العنصر الأساسي في بناء الدولة، والعلم الذي هو صدى البحث والاستنباط.

وفي مجال الفن بوصفه عاملاً لتجاوز الواقع إلى ما هو أكمل وأجمل «وأنه إضافة الإنسان إلى الطبيعة والكون فقد شق طريقه بتمايز، إذ هو والعلم طائران لا يخضعان لمناخ الأقاليم التي تجري فيها الفصول» (علي شلق، ٢٠٠٣، أبو حيان التوحيدي والقرن الرابع الهجري).

فلو أننا نظرنا إلى قضايا المجتمع في القرن الرابع الهجري من نواحيه المختلفة لبان لنا من الأمور ما يدعو إلى الاهتمام بأفراد المجتمع وبيان الفارق بين ظروف المعيشة آنذاك بين كافة طبقات الشعب، وهذا يؤثر على النهضة الحضارية في تلك الفترة.

- **الفن المعماري في القرن الرابع الهجري:**

يشير «برناردلويس» إلى أن الفن المعماري في القرن الرابع الهجري لا يتناول المضارب والقرى بمقدار ما يتناول المدن، هذه المدن التي تكلم عليها إنها كانت تتبع في بنائها (Urbenisme) ثلاثة مبادئ: المساحة، والمناخ الإقليمي، والموقع الهام الذي تقتضيه ظروف العصر الذي بنيت فيه[١].

أما في مجال الفن المعماري في البيت الإسلامي يشير « ريشار أتينجهوزن » إلى أنه كان واحة نضرة في بادية عطشى، ففيه عبر المسلمون عن ذوقهم الفني ونمط حياتهم بتزيين بيوتهم من الداخل، كنوافير الماء في المداخل، أو النقش، والفسيفساء، أما شوارع مدنهم التي هي بمثابة جسور عبور، وروابط بيوت فقد كانت ضيقة[٢].

لقد كان فن البناء في القرن الرابع الهجري بفضل عبقرية الذهن البناء السائدة عند بعض العباسيين الذي ترك أثره فيمن جاء بعدهم سواء أكان بتشييد القصور وبناء المدن وتنظيم البساتين وزروعها، وجلب كل غريب بعيد من شجر الفاكهة وبناء البيوت الأنيقة، يقول ميتز « لا نعرف في القرن الرابع الهجري إلا تصنيفاً واحداً للمدن وهو يقوم على اعتبار أساس سياسي وتعرف بين المدن على هذا النحو»

١- الأمصار: وهي البلاد التي يحلّها السلطان وتجتمع فيها الدواوين، وتقلد الأعمال، وتضاف إليها الأقاليم.

٢- القصبات: وهي عواصم الأقاليم.

٣- المدن أو المدائن وهي ما يلي القصبة في الأقاليم.

---

(١) L'isfom. D'hierA, avjourdhui – par B. Lowis, p. 63.

(٢) Lacreation artistique F'isia MD, hier aou jourdhui – par R. E. p. 67. ARtetarchitecture.

٤- النواحي مثل نهاوند، وجزيرة ابن عمر.
٥- القرى وهي الملحقة بالمدن(الحضارة الإسلامية، الجزء الثاني).

وفي القرن الرابع الهجري بنى الخلفاء مدناً خاصة بهم مثل المدن الفاطمية في مصر منها: المهدية، والمنصورية، والمحمدية، والقاهرة. أما في الأندلس فقد بنى عبد الرحمن الناصر غربي قرطبة مدينة الزهراء الرائعة. وفي مجال المساجد فقد ذكر الخطيب البغدادي أنه كان في بغداد عام ٣٠٠ للهجرة سبعة وعشرون ألف مسجد وفي البصرة سبعة آلاف (الخطيب البغدادي، بدون تاريخ، تاريخ بغداد).

ثانياً: محددات المجتمع البشري في القرن الرابع الهجري:

وفي القرن الرابع الهجري، حفلت بغداد عاصمة العباسيين، ومقر دار الخلافة بمختلف أنواع الشعوب، وقد شبهها «كارل بروكلمان» بأنها كانت كالمعدة الجبارة تهضم كل ما يلقى إليها، كما وصفها بأنها كانت مدينة العالم الأولى، وأصبح فيها الناس خليطاً عجيباً، فالعربي، والأعرابي، والفارسي، والرومي، والهندي، والصيني، والتركي والديلمي، والنبطي، والأرمني، والجركسي، والكردي، والبربري إلى جانب العلماء، والمؤرخين والشعراء، والمتكلمين والمحدثين، والفقهاء» (علي شلق، ٢٠٠٣، أبو حيان التوحيدي والقرن الرابع الهجري). وهذا ما شكل المجتمع البشري في بغداد حيث كان عهد الرشيد والذي يعدّ امتداداً لعهود: المعتصم، والمتوكل، والواثق، والمقتدر، والقاهر.... ومن الأدباء المرموقين في ذلك العصر:

- الصاحب بن عباد الذي امتدت حياته على معظم القرن الرابع الهجري فقد ولد سنة ٣٢٦ وتوفي سنة ٣٨٥ عمل في بداية عمله معلماً في إحدى القرى ثم ترقى إلى أن أصبح وزيراً لمعالجة الأزمات، ثم أوكل مفوضاً بأعمال الدولة البويهيه، ويعتبر الصاحب بن عباد من الأدباء المرموقين، ومن القائلين بالاعتزال، المتعصبين للشيعة، وكان مجلسه ندوة أدب وفكر، ومعرفة لصلته المشهورة بأدباء عصره، إذ كانت له مراسلات مع رجال الأدب والفكر في الشام وبغداد مثل: الرضي، والصابي، وابن الحجاج، وابن سكرة وابن نباته (ابن نيازة، بدون تاريخ، يتيمة العصر للثعالبي).

ويشير المؤرخون إلى أن فهرس كتب الصاحب بن عباد كان عشرة مجلدات، وأنه كان يحمل كتبه على أربعمائة جمل، وكان ملماً بعلم الطب وغيره من العلوم الأخرى.

- ابن العميد الذي قيل فيه، وفي عبد الحميد الكاتب: «بدئت الكتابة بعبد الحميد، وانتهت بابن العميد» وابن العميد هو أبو الفضل، صاحب المتنبي الذي قصده ومدحه في أرّجان، وقرنه بكسرى، وأرسطاطاليس، وقد كان ابن مسكويه صاحب أبي حيان التوحيدي وأستاذه في الهوامل والشوامل، قد خدم ابن العميد، خازناً لكتبه، مشرفاً عليها، وبقي وفياً له معجباً به، لثقافته، وأدبه، وجلال فكره، وذلك مما حمل أبا حيان على السخرية من ابن مسكويه تحدياً، وإمعاناً في كره ابن العميد وصاحبه ابن عباد(علي شلق، ٢٠٠٣، أبو حيان التوحيدي والقرن الرابع الهجري)..

لقد كان ابن العميد شجاعاً، وقائداً بارعاً، وذا خلائق عطرة، وقد مني بابن له لم يكن ذا طواعية لتوجيهاته وإشاراته كما أشار ابن مسكويه لذلك وربما كان لذلك الأثر الكبير على نهايته.

- وإذا كان القرن الرابع الهجري يظهر لنا في صورة تكاد يرثي لها من الناحية السياسية فسوف نجد له شأناً آخر من الناحية العلمية والثقافية، بل يعدّ من أزهى العصور الإسلامية وأكثرها إنتاجاً وأغزرها ثقافة وفكراً، ولن نجد فناً من فنون العلم التي عرفها الأقدمون ولا ضرباً من ضروب الهزل والجد التي اشترك فيها الناس إلا وقد أخذ

المسلمون منه بحظ غير قليل، بهدف دمج الإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه، وعملية الدمج هذه عبارة عن محاولات تنمية لبعض جوانب شخصيته، وتشذيب لجوانب أخرى، هناك جوانب عديدة في شخصية الإنسان لا ينضجها إلا الزمن، ويجب أن نعطيه الفرصة الكافية والمستوى العالي من النضج الفكري قد لا يتم قبل أن يسلخ المرء من عمره عقوداً من الزمن حيث أن البشرية كائن يتعلم على نحو مستمر.

وليس بنا حاجة إلى أن نذكر تاريخ الترجمة عند المسلمين وما اختلف عليها من أطوار وما تناولته من فنون وعلوم (دي لاسن أولبري: علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب)، وهذا يشير إلى أن ما جاء في فهرست ابن النديم وتاريخ الحكماء للقفطي، والأطباء لابن أصيبعة يعد إثباتاً لهؤلاء الأعلام من الفلاسفة والمترجمين وما نقلوا ولخصوا من كتب الأمم الأخرى، وحسبنا أن نشير إلى أنه لم يظل الأمة الإسلامية عصر ابن سينا حتى كان قد تم نقل ما أورث اليونان من فلسفة وحكمة وعلوم، إذ ترجمت كتب أرسطوطاليس وأفلاطون وإقليدس وبطليموس وجالينوس وكثيراً مما أنتجه قرائح السريان والفرس والهنود وصبت كل تلك الروافد في الفكر الإسلامي وأصبحت متداولة بين أيدي الناس يدرسونها ويتفهمونها في المنازل وفي الأندية وفي قصور الخلفاء والأمراء. ونشير إلى أن لكل مجتمع مبادئه ومثله العليا، كما أن له أيضاً مصالحه وطموحاته وتقاليده ومشكلاته، وبين هذه وتلك نوع من التشابك والتضاغط المستمر؛ المثل والمبادئ تضغط على المصالح؛ حتى تظل في إطارها، والمصالح تضغط على المبادئ كي تتسع لها من خلال توسيع مدلولاتها، والتخفيف من صرامة أحكامها، ومن المبادئ والمصالح تتكون البيئة القيمية والأخلاقية وحين يكون صوت المبادئ هو الأعلى، فإن نسق الحياة كلها يتحسن في السياسة والأخلاق والتربية والاجتماع (جرجي زيدان، ١٣٢٥هـ، تاريخ آداب اللغة العربية).

ثالثاً: المزايا العلمية والثقافية في القرن الرابع الهجري

١ – نضج العلوم وكثرة المكتبات:

ففي هذا العصر نضجت العلوم على الإجمال وتكونت المعاجم اللغوية واستقر الإنشاء على أسلوب أصبح يقلده أهل العصور التالية، ونضجت الفلسفة وتألفت جمعية إخوان الصفا، واستقرت قواعد الطبيعيات والطب كما ظهرت في رسائل إخوان الصفا، واتسع خيال الشعراء وظهر الشعر الفلسفي المبنى على "[illegible]

، الحكمة من الوجود، ثم تكون الانتقاد الشعري أو الأدبي واستقرت أبواب الشعر وظهرت الروايات والقصص الحماسية الخيالية، ونما فن التاريخ وتفرع عنهما علم معرفة الأوائل، وظهر كتاب الفهرست لابن النديم وهو أهم مصادر تاريخ آداب اللغة العربية إلى ذلك العهد.

وقد امتاز هذا العصر بكثرة المكتبات الكبرى في مصر والعراق والأندلس وبلاد ما وراء النهر، وتشتمل المكتبة منها على مئات الألوف من المجلدات، وفتحت أبوابها لطلاب العلم والمطالعين كمكتبة العزيز الفاطمي التي كانت تحتوي على نحو مليون من كتب الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والنجامة والروحانيات وسائر العلوم القديمة. ودار الحكمة أو دار العلم للحاكم بأمر الله، وكانت أبوابها مفتوحة للطلاب كالمدرسة الكبرى للمطالعة والنسخ. ومكتبة الصاحب بن عباد الذي ملك من الكتب ما يقدر حينئذ بما كان في مكتبات أوربا مجتمعة (ويل ديورانت، ١٩٦٠، مآثر العرب على الحضارة الأوربية). ومكتبة نوح بن منصور الساماني ببخارى التي يقول عنها ابن سينا: «فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض، وفي كل بيت منها كتب العربية والشعر وفي آخر الفقه، وكذلك في كل بيت علم مفرد فطالعت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجت إليه منها ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته أيضاً من بعد (ابن أبي أصيبعة، بدون تاريخ، عيون الأنباء)، وقس على ذلك سائر المكتبات

الإسلامية.

٢- ظهور الموسوعات العلمية والأدبية:

ففي هذا العصر أخذت الموسوعات (دوائر المعارف) في الظهور بعد أن وضع أساسها الفارابي بكتابه «إحصاء العلوم» الذي قسمه إلى خمسة فصول تحتوي على ثمانية علوم هي: اللسان، وعلم المنطق، وعلم التعاليم (الرياضة)، والعلم الطبيعي، والعلم المدني، وعلم الفقه، وعلم الكلام (عثمان أمين،١٩٤٨، مقدمة إحصاء للفارابي)، ثم وضع أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧هـ كتاب «مفاتيح العلوم» لأبي الحسن عبيد الله بن أحمد العقبي وقسمه إلى مقالتين: الأولى – وتشتمل على اثنين وخمسين فصلاً تجتمع في ستة أبواب وهي: الفقه، والكلام، والنحو، والكتابة، والشعر، والعروض، والأخبار، والثانية: وتشتمل على واحد وأربعين فصلاً في تسعة أبواب: الفلسفة، والمنطق، والطب وعلم العدد، والهندسة، والنجوم، والموسيقى، والخيال، والكيمياء.

وكذلك ظهرت رسائل إخوان الصفا في القرن الرابع الهجري، وهي أشبه بموسوعة في الفلسفة والعلوم، وتحتوي على اثنتين وخمسين رسالة، قسمها مؤلفوها إلى أربعة أقسام كبرى: رياضية وتعليمية، وطبيعية جسمانية ونفسانية عقلية، وإلهية ناموسية، ويقول إخوان الصفا في الرسالة الأولى من هذه الرسائل: «فالفلسفة أولها محبة العلوم وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الإنسانية وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم. والعلوم الفلسفية أربعة أنواع: أولها الرياضيات، والثاني المنطقيات، والثالث العلوم الطبيعيات، والرابع العلوم الإلهيات» (رسائل إخوان الصفا، ١٣٠٦هـ، الجزء الأول).

وقد لاحظ فان فلوتن (فان فلوتن، ١٨٩٥، مقدمة إحصاء العلوم للفارابي) مدى تأثير «إحصاء العلوم» للفارابي على تلك الموسوعات ومقدار ما كتب لهذا الكتاب من ذيوع وانتشار لدى العلماء والمؤلفين في العالم الإسلامي، وبجوار هذا فإن من كتب الأدب ما يعد من قبيل الموسوعات لتعدد موضوعاته ككتاب العقد الفريد لابن عبد ربه وغيره من الكتب.

٣- تعدد العلوم:

فقد تعددت فروع العلم الإسلامي تعدداً يدل على الثراء والخصب (ابن صاعد الأندلسي،١٩١٧، العلوم عند العرب) حتى وصلت إلى ثلاثمائة علم قسمها صاحب «مفتاح السعادة» فيما بعد إلى ستة أبواب (طاش كبرى زادة، ١٣٢٨هـ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة) العلوم الخطية وهي تنقسم إلى تسعة علوم، والعلوم المتعلقة بالألفاظ أو العلوم اللسانية وهي أربعة وأربعون علماً، والعلوم الباحثة عما في الأذهان من المقولات وهي خمسة علوم. والعلوم المتعلقة بالأعيان وهي مائة واثنان وعشرون علماً يدخل فيها الطبيعيات والرياضيات والطب والتاريخ الطبيعي والفراسة، والعلوم الحكمية العملية وهي ثمانية علوم يدخل فيها الاقتصاد والتدبير المنزلي والتربية والأخلاق والسياسة، والعلوم الشرعية ويزيد عددها عن نيف ومائة علم كعلوم القراءة والتفسير والحديث وأصول الدين.

وغير هذا البحث كفيل بالحديث عن تلك العلوم وأسماء المؤلفين، والمؤلفات التي وضعوها في كل علم (محمد كرد علي،١٩٣٤، الإسلام والحضارة العربية) والذي يهمنا هنا أن التاكيد أن هذه المزايا الثقافية للعصر كانت أمراً مشاعاً تتداوله جميع الإمارات والدول الإسلامية، وأن الطالب المسلم في هذا العصر وجد مناهل عذبة ومتعددة، وآفاقاً رحبة واسعة من العلم والمعرفة، ولقد نهل ابن سينا من هذا المورد الثقافي الهائل، واختار لنفسه

«العلوم الفلسفية» يتخصص فيها طالباً وعالماً ومؤلفاً، وفيلسوفاً تربوياً يدعم هذا الاتجاه الفلسفي في التربية الإسلامية.

إن إحياء التراث وتحويله إلى مؤثرات فاعلة في حياتنا المعاصرة وفي بناء المستقبل يعني كما يرى محمد عمارة «أن نبصر جذور غدنا الذي نريده مشرقاً في الصفحات المشرقة من التراث: وأن نجعل العدل الاجتماعي الذي نكافح من أجله الامتداد المتطور لحلم أسلافنا بسيادة العدل في حياة الإنسان وأن نجعل قسمات العقلانية والقومية في تراثنا زاداً طيباً وروحاً ثورياً تفعل فعلها في يومنا وغدنا، فبذلك يصبح تراثنا روحاً سارية في ضمير الأمة وعقلها، تصل مراحل تاريخها، وتدفع مسيرة تطورها خطوات وخطوات إلى الأمام، وبذلك وحده يصبح التراث طاقة فاعلة وفعالة».

ويقول محمود أحمد السيد: «نأخذ من تراث الأقدمين ما نستطيع تطبيقه اليوم تطبيقاً عملياً، فيضاف إلى الطرائق الجديدة المستحدثة، فكل طريقة للعمل اصطنعها الأقدمون وجاءت طريقة أنجح منها كان لابد من إطراح الطريقة القديمة ووضعها على رف الماضي، بعبارة أخرى، إن الثقافة ثقافة الأقدمين أو المعاصرين هي طرائق عيش، فإذا كان عند أسلافنا طريقة تفيدنا في حياتنا الراهنة أخذناها، وكان ذلك هو الجانب الذي نحييه من التراث، وأما ما لا ينفع نفعاً عملياً تطبيقياً فهو الذي نتركه، وكذلك نقف الوقفة نفسها بالنسبة إلى ثقافة معاصرينا من أبناء أوروبا وأمريكا، المدار هو العمل والتطبيق، وما نحياه».

ويتابع محمود أحمد السيد قائلاً: «لنأخذ من الموروث جزءه العاقل المبدع الخلاق، وننبذ جزءه الآخر الخامل البليد، نأخذ جزءه العاقل المبدع لا لنقف عند مضمونه وفحواه نبدي ونعيد، بل لنستخلص منه الشكل كي نملأ مضمون هذا الشكل من عصرنا ومن حياتنا ومن خبراتنا».

رابعاً: ابن سينا وأعلام التراث في القرن الرابع الهجري

تجدر الإشارة إلى أنه لابد من النظر إلى الارتقاء العلمي في القرن الرابع الهجري، وإلى التراث على أنه حياة لاموت وحركة لاجمود عند العرب في مجال العلوم النظرية والتطبيقية من رياضيات، وهندسيات، وفلك، وجغرافيا، وطبيعيات أو بيولوجيا وطب، وصيدلة، حيث تفوقوا على الهنود واليونان والمصريين القدماء والبابليين إلا أنهم كانوا مولعين بشكل خاص بالفيثاغورية، وفك رموز العدد، والعناية بأمر الطلاسم، والسحوبات عناية واضحة.

ولإظهار التقدم العلمي والحضاري في هذا العصر نشير إلى مكانة كل من علمائه وآثارهم ومقدار كل واحد منهم في عصره لنبدأ بعلم الفلك وفيه تقدم العرب على العلماء الذين سبقوهم من البابليين واليونان وقد بدأ هذا العلم عند العرب في مدينة بغداد، خاصة في عهدي الرشيد وابنه المأمون اللذين أكدا على ضرورة الاهتمام بترجمة كتب الفلك حيث كانت عناية «المترجمين في هذا الموضوع منصبة على ترجمة ما ألفه إقليدس وأرخميدس، وبطليموس».

بيد أن معرفة العرب قبل القرن الرابع الهجري تتمحور حول: (علي شلق،٢٠٠٣، أبو حبان التوحيدي):

١- تجربة الجاهلين بتأمل الفلك للاهتداء ليلاً من واقع النجوم.

٢- الاستفادة من تقدم علم الفلك عند البابليين قديماً.

٣- تحدثوا عن الإشارات الفلكية التي جاء بها القرآن الكريم.

والحق إن «جوستاف لوبون» أكد أن العرب قد عرفوا بالدقة العظيمة، وعينوا انحراف سمة الشمس كما

هو الحال في الوقت الحاضر (جوستاف لوبون، بدون تاريخ حضارة العرب).

ويعد البتاني من أشهر علماء الفلك في العصر العباسي – القرن الرابع الهجري منه (التاسع الميلادي) وهو صاحب كتاب «زيج الصافي» وكذلك لوبوف ببطليموس اليوناني، والبتاني هو أبو عبد الله محمد بن جابر بن سفيان البتّاني، الحرّاني، الصابئ، المعروف عند الغربيين في القرون الوسطى باسم: Albatevesset Albategni وهو من أكبر علماء الفلك عند العرب، وهو الذي قال عنه جوستاف لوبوف في كتابه: حضارة العرب «وضع لالاند صاحب المعجم الفلسفي البتّاني في سن الفلكيين العشرين الذين عدوا أشهر فلكيي العالم».

ولد البتّاني عام ٢٤٤هـ– ٨٥٨م توفي سنة ٣١٧م ٩٢٩م ومن آثار العالم الفلكي البتاني:

– كتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك.

– رسالة في تحقيق أقدار الاتصالات.

– شرح المقالات الأربع لبطليموس.

– الزيج وهو أهم تصانيفه وقد كان لهذا الكتاب أثر كبير في أوروبة، إذ ترجمه إلى اللاتينية «روبرتوس رتنسيس» Robertus Retinesis كذلك نقله إلى اللاتينية «أفلاطون تيباستيفوس» Platon Tibastinas في منتصف القرن الثاني عشر.

كان البتّاني عالماً حاذقاً في بيان أحوال القمر عند ولادته، وله رصود جليلة للكسوف والخسوف اعتمد عليها «دنثورن» «Dunthorne» سنة ١٧٤٩ في تحديد تسارع القمر في حركته خلال قرن من الزمان.

ومن أشهر فلكيي هذا العصر أبناء موسى بن شاكر الثلاثة، إذ وضعوا تقاويم لأمكنة النجوم السيارة ومن بعدهم أبو الوفاء المتوفى سنة ٩٩٨ (البوزجاني) الذي صحح آراء بطليموس، وكل ذلك كان يجريه هؤلاء العلماء من وسائل كالمنظار والمرقب (جوستاف لوبون، بدون تاريخ، حضارة العرب) وأكد المؤرخون أن الفلكيين العرب سبقوا كيبلر، وكوبرنيك في اكتشاف حركات الكواكب السيارة على شكل بيضي، وفي نظرية دوران الأرض، كما أن الأزياج المعروفة «بالأزياج الأذفوفشية» مأخوذة عن العرب (جوستاف لوبون، بدون تاريخ، حضارة العرب). وكلمة الزيج تعني الجدول الذي يستدل به على حركات الكواكب السيارة وهي كلمة فارسية.

– من أعلام القرن الرابع الهجري «البوزجاني» (الزركلي، بدون تاريخ، كتاب الأعلام).

البوزجاني: هو محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس أبو الوفاء البوزجاني، مهندس، فلكي، رياضي ولد في بوزجان بين هراة ونيسابور سنة ٣٢٨ – ٩٤٠ وانتقل إلى العراق سنة ٣٤٨ وتوفي في بغداد سنة ٣٨٨هـ – ٩٩٨م.

ومن آثار البوزجاني الكامل في حركات الكواكب، وكتاب الهندسة، وتفسير كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة، وتفسير كتاب ديوفنطس في الجبر والمقابلة، ويعد البوزجاني من أعظم رياضيي العرب، وله الفضل الكبير على تقدم هذا العلم في الغرب، والقرون الوسطى، لقد بلغ البوزجاني قمة الدقة في علم الرياضيات مما جعل ابن خلكان يبدي إعجابه ببحوثه الهندسية، وزيادته على أبحاث الخوارزمي زيادة تعد أساساً لعلاقة الهندسة بالجبر (علي شلق،٢٠٠٣، أبو حبان التوحيدي).

ومن أهم كتب البوزجاني التي دهش لها الغربيون «كتاب في عمل المسطرة، والبركار، والكدنيا، ترجمها الغربيون: GeoMetrical Covstruction)

وقد اطلع المستشرق الفرنسي كاراده فو Carradeveax على بحوث البوزجاني في المثلثات فأعجب به ومثله

سميث Smith وسارطون Sarton، وأجمع هؤلاء على أنه أول من وضع النسبة المثلثية (ظل) وأنه أول من استعملها في حلول المسائل الرياضية (علي شلق،٢٠٠٣، أبو حبان التوحيدي).

والحق أن علماء القرن الرابع الهجري امتازوا بالمهارة والحذاقة في كافة المجالات الحضارية والعلمية مستخدمين التربية العقلية لخدمة الإنسان والبشرية لأن العقل هو الذي يمكن المرء من معرفة بناء العالم الذي يحيط به، وبذلك تتضح أهمية العلماء الذين تناولوا العلوم الرياضية والفلكية والفلسفية والتربوية في هذا القرن. فمن المرموقين في علم الرياضيات في هذا العصر أبو بكر محمد بن الحسن الكرخي، الذي اهتم بالحساب والجبر، وهو الذي اعتمد على طريقة اليونان: الحسبان بالأحرف في حلّ المسائل لا على الطريقة الهندية: الحسبان بالأرقام.

ومن المشهورين في العلوم الفلكية والرياضية أبو يونس الصفدي المصري المتوفى سنة ٣٩٧هـ – ١٠٠٧م وهو من بيت عرف بالعلم والفضل، فقد كرّمه الفاطميون، ووثقوا بوفائه وجهوده العلمية، وأكد مؤرخو تطور علم الفلك أن حساب ابن يونس الصفدي لا يختلف في وقته عن حساب الفلكيين المعاصرين وقد برع في مجال العلوم الطبيعية في مجالات الفيزياء والكيمياء والحيل (الميكانيك) ومعرفة العناصر والتحولات بكافة أنواعها، كالثقل والخفة في الأجسام، والأصوات والحرارة، والمغناطيس.

وقد تناولها إخوان الصفاء في رسائلهم العناصر الأربعة الماء والهواء والتراب والنار ورفضوا المذهب الذري الذي قال به علماء الكلام كالأشعري والقاضي عبد الجبار بن أحمد به ومن علماء هذا القرن إبراهيم بن سنان، بن ثابت بن قرة المتوفى سنة ٣٣٥هـ ٩٤٦هـ.

وله عدة رسائل في الهندسة والفلك، والاضطراب ورسم القطوع الثلاثة وحركة الشمس والهندسة والنجوم، أما في علم الكيمياء فقد اشتهر به جابر بن حيّان والذي أصبح بفضل أبحاثه علماً مختبرياً تطبيقياً، والذي مهد السبيل لمن عنوا بالكيمياء بعده.

– وقد أورد إخوان الصفاء آراء عن الكيمياء في الرسالة الجامعة فقالوا: الإكسير هو الكيمياء والكيمياء هو الفن، والفن هو السعادة، والسعادة هي البقاء على أفضل الأحوال، والتشبه بالآلة» (رسائل إخوان الصفا،بدون تاريخ، الرسالة الجامعة).

والحق أن المؤرخين أكدوا أن علماء الصفاء لم يعتمدوا في تقريرهم بصدد الكيمياء على التجربة لأنهم في الحقيقة حكماء نظريون لا علماء تطبيقيون، غير أن ابن سينا الذي قضى جلّ عمره في القرن الرابع الهجري (المتوفى سنة ٤٢٨هـ – ١٠٣٧م) ألف كتاباً فيه بطلان الكيمياء ويردّ على المشتغلين بها.

– وابن سينا، الشيخ الرئيس إن أصاب في قوله: «لكل معدن طبائع خاصة به، وقائم بنفسه فلا يجوز أن ينقلب إلى غيره. وأشار علي شلق في كتابه (أبو حيان التوحيدي) فقد أخطأ في حصر الكيمياء في هذه الزاوية من تحويل المعادن حسب الخط الذي رسمه جابر بن حيان تلميذ خالد بن يزيد، والإمام جعفر، وفاته كما فات عصره آنذاك إن الكيمياء علم مختبري، من أدق العلوم وأخطرها.

كما أن أبا بكر بن وحشية، العشاب المتوفى سنة ٣٥٠– ٩٦٠م يعتبر من كبار علماء القرن الرابع الهجري، فهو أبو بكر، أحمد بن علي بن عبد الكريم، بن جرثبا بن بدنيا، بن برطانيا، بن عالاطيا، الكسداني صاحب كتاب «طرد الشياطين» ويعرف بالأسرار، وكتاب الطبيعة، وكتاب الحياة والموت في علاج الأمراض والذي يهمنا من مؤلفاته هنا هو كتابه في الكيمياء: كتاب الأصول الكبير، وكتاب الأصول الصغير، وكتاب المدرّجة، وكتاب

المذاكرات، ثم كتاب الفلاحة النبطية (بطرس البستاني، بدون تاريخ، دائرة المعارف الجزء الرابع).

وهناك أسماء أخرى كان لها فضل كبير في الترجمة والتأليف العلمي في القرن الرابع الهجري وهم أبناء موسى بن شاكر، محمد، وأحمد، وحسن الذين ألفوا كتاب الحيل (الميكانيك) (علي شلق،٢٠٠٣، أبو حبان التوحيدي).

محمد: كان ماهراً في الهندسة والنجوم.

أحمد: الذي برع في الميكانيك.

حسن: وهو الذي تفوق في الهندسة النظرية.

وبرز في القرن الرابع الهجري في علم البصريات والهندسة أبو علي الحسن بن الحسن، بن الهيثم المولود في البصرة سنة ٣٥٤هـ ٩٦٥م وتوفي سنة ٣٤٠هـ – ١٣٠٨م في دمشق، وقيل مات في القاهرة.

وهذا الاختلاف راجع إلى خوفه من الحاكم بأمر الله وهروبه إلى بلاد الشام، ويعد ابن الهيثم من الأوائل الذين أحاطوا بضروب العلم في عصره، فقد تعمق في الفلسفة، وبرع في الهندسة، وقد تجاوزت مصنفاته سبعين مصنفاً بين كتاب ورسالة، ويقول الأستاذ قدري حافظ طرقان:

«لقد أحدث ابن الهيثم انقلاباً في علم البصريات في القرون الوسطى، وجعل منه علماً مستقلاً بذاته، وذلك بعد أن ظهرت ترجمته اللاتينية سنة ١٥٧٢م ويعتقد أن كبلر، روجر باكرن قد استفاد منه كل الإفادة (بطرس البستاني، بدون تاريخ، دائرة المعارف الجزء الرابع).

ابن الهيثم هو عالم يمتلك أصول المنهج المبني على التتبع، والاستقراء، والاستيفاء وهو المسمى بالمذهب التجريبي التطبيقي ليصير بعد ذلك له الحكم العلمي الكلي، اتبع طريق المقارنة والمقابلة وهو يعيد البحث والتجربة ليستوفي قناعاته العلمية، وهذا ما تأثر به العالم والفيلسوف الإنكليزي (روجر بايكون) ReGorbecon الذي حاضر في جامعة باريس، وجامعة أكسفورد، وبث الروح العلمية التجريبية في عصره (علي شلق،٢٠٠٣، أبو حبان التوحيدي، القرن الرابع الهجري) وكان الحسن بن الهيثم يأخذ بالاستقراء والقياس والتمثيل والاعتماد على المشاهدة والتجربة وقد استعان على قوانين الضوء بإجراء التجارب على النحو الذي نعنيه اليوم بالتجارب.

ومن علماء القرن الرابع الهجري في مجال العلوم الفلكية، والطبيعية، والطبية أبو الريحان، محمد بن أحمد البيروني فارسي الأصل، ولد في بيرون عاصمة خوارزم من التركستان (باكستان الغربية اليوم). ولد سنة ٣٦٢ – ٩٧٣م في بيرون وتوفي في سنة ٤٤٢ – ١٠٥٠م في ظل البلاغ القزنوي (بطرس البستاني، بدون تاريخ، دائرة المعارف الجزء الرابع) علاقته بالشيخ الرئيس (ابن سينا) تتناول دراسة الطب في مجال الأدوية (الصيدلة) استقصى جميع أنواع الأدوية، وكان بينهما الكثير من الرسائل المتعلقة بعلم الطب، وعلم النجوم، وعلم الهيئة، والجغرافية، والفلك – والرياضيات وكانت الأبحاث مرتبطة بالحياة، إذ تؤكد بعض المصادر الموسوعية أن العرب هم الذين أسسوا الكيمياء الحديثة بتجاربهم ومستحضراتهم.

ومن آثاره كتاب الجماهير في الجواهر وقد سماه بروكلمن الجواهر في معرفة الجواهر.

– بلغ الطب في القرن الرابع الهجري مرتبة عالية لا يضاهيها أي عصر من عصور الإمبراطورية الإسلامية وكان في طليعة علماء هذا العصر في علم الطب الشيخ الرئيس علي بن سينا، وأكد المؤرخون إلى أنَ كتاب القانون في الطب لقي من العناية في القرون الوسطى ما لقيه أي كتاب آخر وفيه يقول الصاحب بن عباد: في كتاب الأغاني لأبي الفرج أنه استغنى به عن حمل أربعين جملاً من الكتب.

وقد جمع كتاب القانون لابن سينا علم اليونان، والهنود، والعرب وسائر الأمم في الطب، ومن ميزاته:

١- أنه درس فيه النبض دراسةً وافيةً، رابطاً بينه وبين مختلف الأمراض التي تصيب الإنسان.

ووصف السكتة القلبية، واحتقان الدماغ، وعرف خصائص العدوى في السل الرئوي، وفي انتقال الأمراض التناسلية (بطرس البستاني، بدون تاريخ، دائرة المعارف الجزء الرابع).

٢- ودرس أيضاً الجهاز الهضمي دراسة تامة، وعرف الأعراض السريرية، والعلامات الفارقة للحصاة إذا كانت في الكلية أو في المثانة.

٣- كما تناول ببراعة أحوال العقم، وألمَّ به من الناحية النفسية إذ قد يأتي من عدم الوفاق بين الزوجين، نفسياً وطبيعياً، وسوف نقف عند مفاهيم ابن سنيا في علم الطب عند معالجة الجوانب التربوية.

- وقد حفل القرن الرابع الهجري بالبيمارستانات الكثيرة في مختلف أصقاعه، وكان في طليعة هؤلاء (الرازي) أبو بكر، محمد بن زكريا، ولد في الري سنة ٢٥١ . ٨٦٥ وتوفي سنة ٣١٣ - ٩٢٥م وتولى تدبير بيمارستان الري، وانتقل إلى بغداد رئيساً لأطباء المستشفى المقتدري حيث كان يلتقي مع تلاميذه يوجههم بتوجيهاته لمعالجة مرضاهم وتدريبهم للحصول على الخبرة الطبية.

ذكر ابن أبي أصيبعة أن عدد كتب الرازي بلغت ٢٣٢ كتاباً، وقد ترجم البعض منها إلى اللاتينية.

وقال الدكتور لوبون: إن كتب الرازي ترجمت إلى اللاتينية، وطبعت عدة مرات، وأنها مع كتب ابن سينا بقيت أساساً للتدريس في جامعة (لوفان) على مر القرن السابع عشر (جوستاف لوبون، بدون تاريخ، حضارة العرب).

ومن رواد القرن الرابع الهجري الفارابي: هو أبو نصر، محمد بن رافع، بن أوزلغ، بن طرخان من فاراب من بلاد الترك في أرض خراسان، كان أبوه قائد جيش وهو فارسي المنتسب، قضى في بلاط سيف الدولة فترة طويلة من الزمن، وتوفي في دمشق سنة ٣٣٩هـ.

كان عالماً بالطب، والفلسفة، والشعر، وذكر بعض المؤرخين أنه عمل في بداية حياته قاضياً، وكان مهتماً بعلم الموسيقى، فأعطى وحقق نجاحاً كبيراً وحقق مرتبة مرموقة في هذا المجال.

إن كل الأمم التي تحتل مراكز متقدمة في العالم، خطت خطوات واسعة عن طريق استفادتها من حضارتها وثقافتها، وعن طريق تكوين أبنائها تكويناً علمياً رصيناً مستفيدة من ماضيها ومن حاضرها من خلال بناء شخصيتها العلمية، وتأسيس العقلية المنهجية لأبنائها، فالتقدم الصناعي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي بحاجة ماسَّة إلى ذلك، فالذي يملك شخصية علمية يقف موقفاً راشداً من التغييرات والتجديدات الحضارية في جميع المجالات.

فالحضارة العربية صنعها العرب مباشرة أو في ظل حكمهم، والصنع جاء بلغتهم منهم ومن سواهم الذين استعربوا، وذابوا في اللغة، والإسلام والأعراف، وفي الحضارة الإسلامية، لا يبتعد علماء القرن الرابع الهجري عن كل ما يحيط بمعارف عصرهم، متأملين في كونه، مجتمعاً، تاريخاً، أمماً، غيباً، مبدأ ونهاية.

بذا أراني قد جهدت لأقدّم إلى القارئ، وجهاً يبين الملامح عن ابن سينا (الشيخ الرئيس) عظيم العظماء والذي يمثل الشخص بجانبيه: هيكله، وصور عقله، فهو لم يكن طبيباً فقط، وإنما ألف في علوم الدين واللغة والهندسة وطبقات الأرض، وإن كان قد اشتهر بموسوعته العلمية الضافية في الطب والمرسومة بالقانون والتي تمثل خلاصة الطب اليوناني والعربي، وتمثل القمة التي وصلت إليها الحضارة العربية في فنون الطب تجربة ونقلاً، واشتهر كتاب

القانون في أوروبا في العصور الوسطى شهرة واسعة حتى قيل إنه طبع باللاتينية عشرين مرة في القرن السادس عشر وحده. وقد كان الكتاب المدرسي في الطب في بعض الجامعات الأوروبية في أواسط القرن السابع عشر.

ونشير إلى أن جوهر أمتنا العربية يقوم على الانفتاح الحضاري الإنساني من أرضها قامت الفتوحات وعبرها مرّت، كما أنها تعرضت لمحن واجتياحات، وبقيت رغم ذلك كله تقدم للعالم نموذجاً اجتماعياً إنسانياً يؤكد انفتاح الإنسان على الإنسان وظلت تحمل راية الحياة المعطاء راية الأخوة الإنسانية.

ومع مجيء الإسلام ارتبط العلم بحاجات البشر ومنافعهم، يقول «ﷺ»: «اللهم علمني ما ينفعني وانفعني بما علمتني، وزدني علماً». لقد اخترعت أمتنا الأبجدية، وقدمتها للعالم، وبعد أن شقت البحار ناشرة الثقافة، ونشأت في رباها أول الشرائع بدءاً بشريعة حمورابي وانتهاء بشرائع السماء.

«فالرسالات السماوية التي أسهمت في السمو بالإنسان إلى ذرا الإنسانية السمحة قد وجدت في هذه البيئة الأرض الخصبة لنموها وانتشارها في العالم، لأنها في توقها الإنساني التوحيدي لامست روح هذه الأمة، روح هذا الوجود الحضاري فوجد فيها تعبيراً عن أشواقه، عن مثله، عن نزعته الإنسانية، فحملها ونشرها في العالم» محمود أحمد السيد في قضايا التربية المعاصرة.

وإذا كانت ثقافتنا العربية تؤمن بالانفتاح على الثقافات الإنسانية فإنها كانت على الدوام ذات سمات إنسانية، ولعلنا لا نضيف جديداً إذا ذكرنا أن جوهر أمتنا العربية إنما يقوم على الانفتاح الحضاري الإنساني؛ فمن أرضها قامت الفتوحات وعبرها مرّت وتعرضت لمحن واجتياحات، ومع ذلك كله بقيت تقدم للعالم أنموذجاً اجتماعياً إنسانياً يؤكد انفتاح الإنسان على أخيه الإنسان وظلت تحمل راية الحياة المعطاء راية الأخوة الإنسانية.

وإذا كنا نسلّم بأن كل من ينوي إتقان عمل معين يحتاج إلى شيء من التدريب والإعداد، وأن هذا الإعداد يزداد أو يصبح أكثر تعقيداً بازدياد درجة ما يراد إنجازه، فإننا ندرك ضرورة تربية الإنسان وتدريبه، والمعلم الذي يتعامل مع الإنسان يحتاج إلى خبرات غنية، نظراً لتعدد الأدوار التي يؤديها: إنه شارح للفكر الإسلامي، محافظ عليه، حريص على تنشئة الإنسان الصالح صاحب الرسالة، وهو في سلوكه وكل ما يصدر عنه قدوة لطلابه بإرشادهم وتقويم تعلمهم في جميع المجالات، فالإنسان هو محور العملية التربوية، ومن هنا يمكن القول: بأن جميع الممارسات التربوية تؤول إلى الإخفاق ما لم تبن على فهم واضح وصحيح لماهية الإنسان وخصائصه والتركيز على أن كل ما يتعلمه المرء ينبغي له أن يؤدي وظيفة لصاحبه في الحياة التي يتفاعل معها، ويلبي له حاجاته ومتطلباته!

إذ لا خير في علم لا ينفع ويتصل بعراقة الأمة في ماضيها الحي؛ وعلى استمرارها في التعبير عن شخصيتها في مستقبلها، علينا أن نأخذ من الماضي جميع ما يعين على أغناء الحاضر وحسن التخطيط لما هو آت.

يقول ابن سينا: «فلابد في وجود الإنسان وبقائه ومعاملته ومشاركته ولا تتم هذه المشاركة إلا بمعاملة كما لابد من ذلك من سائر الأسباب التي تكون له، ولابد في المعاملة من سنة وعدل ولابد للسنة والعدل من سان ومعدل، ولابد أن يكون هذا بحيث يجوز أن يخاطب الناس ويلزمهم السنة، ولابد من أن يكون هذا إنساناً، ولا يجوز أن يترك الناس وآراءهم في ذلك فيختلفون ويرى كل منهم ماله عدلاً وما عليه ظلماً» (ابن سينا، بدون تاريخ، كتاب النجاة).

وفي كل هذا مايثبت أن ابن سينا مفكر عالمي ويظهر أن رجال القرون الوسطى أنفسهم كانوا ممن يؤمنون بذلك، وقد أجريت إصلاحات في جدران مكتبة بودلبان بأكسفورد، وكشف عن مجموعة من الصور منها

صورة لأرسطو، وأخرى لأفلاطون، وثالثة لأقليدس، ورابعة غامضة بعض الشيء ولم يلبث البحث أن أظهر أنها للشيخ الرئيس.

لقد تحدث الناس طويلاً عن ابن سينا وسيتحدثون عنه فيما بعد لامحالة فهو طبيب الجسم، وفيلسوف النفس في جميع الجوانب وإن استعراض مواكب التاريخ وما انتاب الإنسانية من نكبات أعاقت تقدمها، وأضاعت الكثير من جهودها، بهولة الأمر، ويكاد يستولي عليه يأس مرير، ولولا أن يلمح من خلال الضباب والظلام أنجماً زاهرة كابن سينا، تلمع بين حين وأخر فتتعلق الإنسانية بها، وتحاول أن تستأنف السير على ضوئها.

* * *

مراجع الفصل الخامس باللغة الأجنبية

(1) L'islam. D'Hier A'aujourdhei – par. B، lomis، p. 63.١

(2) Lacréation artistique – f'isiamd"Hier aujourdhui – par – R، E، P. 67، Artetarch itecture.

(3) AL، tihawi "Arabeducation in the Golder Ageorcaliphate islam ic Review. Jure 1954، pp. 14، 15.

(4) Durcan B. Macdonald: Development of Muslim Theolgy New York Charles scribners sovs196 pp. 67 – 198.

(5) A…. tihawi "ARabeducation in The Goldes – Age of Caliphate" Islamice Review. Juve 1954 pp. 14. 1.

الباب الثاني

الفكر التربوي عند ابن سينا

مُقَدِّمَة

إن حياة ابن سينا الثقافية تصور لنا طريقة الحياة التعليمية في عصره والأضواء التي كان يمر بها المتعلم من مرحلة الطفولة إلى مرحلة متقدمة في السن، وإلى عالم مرموق المكانة وما يرتبط به من مكونات البيئة المحيطة به في بلاد ما وراء النهر ذات الميول الدينية (الإسماعيلية) لما لذلك من تأثير مباشر على ذلك الاتجاه، وعلى ما أتاحه اتصاله بالأمراء من الدخول إلى مكتباتهم الغزيرة المعارف والجلوس في مجالس علمهم المتعددة المباحث مضافاً إلى ذلك كله التشجيع الأدبي والمادي الذي كان يلقاه من هؤلاء الأمراء، كل هذا قد ساعده على الانصراف إلى علوم الحكمة طالباً ومعلماً ومؤلفاً ثم فيلسوفاً تربوياً لهذا الاتجاه.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة لتلقي الضوء والتعرف على أساليب تكوين الفكر التربوي السينوي، إذ إن المجتمع الذي عاش فيه ابن سينا بما وصل إليه من تقدم تربوي ومهني هو الذي جعله يشعر بضرورة التوجيه التربوي والمهني للفرد وأن يعده للمهنة أو الحرفة التي يشتغل بها في مستقبله، ويكوّن شخصيته السوية المتوازنة البعيدة عن العنف والانحراف من خلال استلهام الموروث التربوي الإسلامي. ولما كان ابن سينا يعتقد في «الحكمة» ويرى أنها أشرف العلوم على الإطلاق وأن الحكماء هم أعلى الناس مرتبة، فقد اهتم «بتربية الحكيم» ووضع المناهج التعليمية لإعداده بكل ما يتضمنه ذلك من تنمية القدرة على فهم البيئة والتعامل معها والسيطرة عليها والانتفاع بها إلى أقصى حد ممكن تحقيقاً لاستمرار نمو الفرد والمجتمع وازدهار البيئة.

وينبغي ألا يفهم الإعداد بصورته الجديدة على أنه يتضمن إهمال الجوانب المعرفية أو ثمار الثقافة العالمية، أو أنه لا يستهدف الإعداد لمراحل التعليم التالية، فقد كشفت الدراسات التربوية الحديثة عن أن الإعداد للحياة هو أفضل إعداد لمراحل التعليم التالية، ذلك أنه يستهدف تنمية مهارات القراءة والفهم والتلخيص والتفكير وتنمية مهارات التواصل وتحقيق وظيفة التعليم إلى أقصى حدٍ ممكن.

وابن سينا لم يغفل – مع ذلك – حاجة المجتمع إلى العلوم النقلية أو الشرعية وتعلم الصناعات والحرف، ولذا فهو يؤكد أن التوجيه التربوي والمهني لا يكون إلا بعد أن يمرّ الطلاب بفترة «تعليم عام» ينالون فيه جميعاً أساسيات الثقافة الإسلامية، ثم بعد ذلك وعلى ضوء اكتشاف ميول الطلاب واستعداداتهم يكون توجيهه التربوي والمهني وهذا ما نتناوله في هذه الدراسة.

إن التربية بالعمل تعتمد على تطبيق ما تعلمه الطفل من أسرته أو مدرسته من معارف وسلوكيات وتوظيفها في حياته العملية، فأنماط السلوك لا يكتسبها الفرد إلا إذا قام بتطبيقها وأصبحت عادة لديه وبذلك يقول عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولوا ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾ سورة الصف آية ٣،٢ لقد اهتم المفكرون المسلمون بهذا الأسلوب التربوي «فالغزالي يرى ضرورة تحقيق التطابق والتكافؤ بين التربية النظرية والتربية العملية ويستدل على ذلك بقول الله تعالى: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**﴾ سورة البقرة آية ٤٣ وقول رسول الله ﷺ: «لا يكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً».

ويعتبر الشيخ الرئيس أن الإنسان هو محور العملية التربوية، وجميع الممارسات التربوية تؤول إلى الإخفاق ما لم تبن على فهم واضح وصحيح لماهية الإنسان وخصائصه. والواقع أن ابن سينا تناول تربية الإنسان منذ ولادته إلى خروجه إلى ميدان العمل والكسب، حيث أشار إلى أهم ما يؤخذ به الناشئ من أنواع التربية الدينية والخلقية والعقلية والجسمية والعلمية والاجتماعية. ويرى أنه على التربية أن توجه الإنسان إلى ما يصلح له من الصناعات والأعمال بحسب ميوله واستعداداته، وهذا ما دعت إليه التربية في القديم والحديث ويقول (روسو): إن التربية الصحيحة ما

قامت على معرفة غرائز الإنسان وميوله، وعلى ذلك يجب أن يخرج الإنسان في صناعة من الصناعات.

إن الغاية من التربية هي العمل واستثمار المعارف في الكسب والارتزاق، ليتذوق الناشئ حلاوة الكسب بالصناعة، ويعتاد طلب العيش بالجد، ولا يعتمد على أبيه فيجد عنده المقنع والكفاية، لأن في ذلك مفسدة له، وهذا في الحقيقة ما ترمي إليه فلسفة التربية قديماً وحديثاً في جميع الجوانب الحياتية.

الفصل الأول

خصائص الأهداف التربوية عند ابن سينا

مقدمة

١- أهداف التربية

٢- التخصص المهني التربوي

خصائص الأهداف التربوية عند ابن سينا

مُقَدِّمَة

لكل ثقافة من الثقافات منهاجها التربوي الخاص بها من حيث الخبرات والمبادئ التي يكتسبها المتعلم وفق طرائق محدودة للوصول إلى تحقيق الأهداف المنشودة في حياة الفرد والجماعة، أي في جميع مجالات الحياة.

التربية كما يراها ابن سينا تتعلق بجميع مكونات الحياة، فهو يحدثنا عنها بإسهاب ودقة كاملة مثل حديثه عن الطفولة المبكرة وكل ما يتصل بها من رضاع وفطام وتربية صحية وأخلاقية وذوقية، ومثل حديثه عن الميول والقدرات والتوجيه التربوي والمهني.

والتربية هي تنمية فكر الإنسان، وتنظيم سلوكه، وعواطفه، وهي عملية تتعلق قبل كل شيء بتهيئة عقل الإنسان وفكره وتصوراته عن الكون والحياة وعن دوره وعلاقته بما يحيط به والهدف الذي يجب أن يوجّه مساعيه إلى تحقيقه (ألفريد نورث هوايتهيد، ١٩٥٨، أهداف التربية).

إن التربية خلال العصور الوسطى لم تكن مرتجلة وإنما كانت تربية لها أهدافها ومناهجها ومراحلها وأساليبها التربوية، وما الحركة العلمية التي ظهرت في تلك العصور الإسلامية والإنتاج الضخم، والعدد الهائل من العلماء والأدباء لتحقيق هذا التراث الخالد عن تلك التربية الإسلامية. إنها تربية الإنسان على أن يحكم العقل والمنطق في جميع أعماله وتصرفاته، وأن ينقاد لأمر الله ورسوله قال تعالى: ﴿**فلا وربِّك لا يؤمنون حتى يُحَكِّموكَ فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلِّموا تسليماً**﴾ [سورة النساء: الآية ٦٥].

وإيمان الإنسان بالله تعالى، والعمل الصالح، والتعاون، والتواصي بالحق والصبر على إحقاق الحق ومحاربة الباطل ينقذه من الشعر وما يحاك به من الويلات، قال الله تعالى: ﴿**والعصر۞ إنّ الإنسان لفي خسرٍ۞ إلا الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر۞** ﴾ [سورة العصر آية ٣،٢،١].

وفي هذه السورة إشارة إلى أن خلاص الإنسان من العذاب لا يتم إلا بثلاثة ضروب من التربية:

١- تربية الفرد على الإيمان بالله تعالى.

٢- تربية النفس على الأعمال الصالحة.

٣- تربية المجتمع على التواصي بالحق والالتزام.

فالتربية قضية إنسانية وضرورة مصيرية، فظلم الإنسان للإنسان وسوء تربيته والانحراف عن ابتغاء كماله، وعن فطرته وطبيعته الإنسانية كل ذلك نتيجة لسوء تربية الإنسان والانحراف عن أهداف التربية، وسوف نلقي الضوء على الفكر التربوي في القرن الرابع الهجري ممثلاً في آراء ابن سينا التربوية.

أولاً : أهداف التربية عند ابن سينا:

لما كان الإسلام هو المنهج الرباني المتكامل، المواتي لفطرة الإنسان، والذي أنزله الله لصياغة الشخصية

الإنسانية صياغة متزنة متكاملة، تحقق العدالة في المجتمع الإنساني، واستخدام قوى الطبيعة استخداماً نيراً متزناً لمصلحة الإنسان في جميع جوانب الحياة وجدنا أن التربية الإسلامية أصبحت ضرورة حتمية، وقضية إنسانية هدفها بناء الإنسان وتربيته والعناية به وتمكينه من التغلب على قوى الطبيعة وتكييفها بحيث تصبح ملائمة لحياته.

عني الباحثون في التربية الإسلامية بالحديث عن أهدافها على وجه العموم، دون تفرقة بين عصر وعصر، أو بين مفكر وآخر، وهذا ما تناوله خليل طوطح بقوله: إن التعليم عند المسلمين كان يرمي إلى عدة جوانب منها.

- **الجانب الاجتماعي:** ويهدف إلى نيل المكانة في المجتمع، إذ العلم شرف لصاحبه يرفع قدره بين الناس درجات ودرجات.
- **الجانب العقلي:** والغرض منه دراسة العلم لذات العلم لما في ذلك من متعة عقلية ولذة روحية لا تقدر بغيرها من الملذات.
- **الجانب الديني:** الغرض منه تعليم الناس آداب الشريعة والفقه في الدين والتأدب بآداب القرآن والسنة.
- **الجانب المادي** أو النفعي والغرض منه كسب الرزق.

وتناول ذلك أيضاً محمد عبد الرحيم غنيمة في كتابه تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى من خلال إيضاح الصورة المشرقة التي رسمها القرآن للإنسان، فالإنسان هو محور العملية التربوية ومن هنا يمكن القول بأن جميع الممارسات التربوية تؤول إلى الإخفاق ما لم تبن على خصائص تربوية محددة (محمد عبد الرحيم، غنيمة، ١٩٥٣، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى).

والواقع أن الأستاذ محمد فوزي الفتيل أضاف إلى الجوانب التي عرضها الأستاذ خليل طوطح جانباً آخر هو الجانب الحزبي أو السياسي ويستدل على ذلك بما فعله الفاطميون من إنشاء الأزهر دعاية للمذهب الفاطمي ثم الحركة التربوية المناهضة لذلك على يد صلاح الدين الأيوبي إذ قام بإنشاء مدرسة للشافعية وأخرى للمالكية لتأييد المذهب السني، وقد فعل مثل ذلك نظام الملك الذي هدف من فتح المدارس الكثيرة إلى تأييد هذا المذهب(محمد فوزي الفتيل، ١٩٦٦، التربية مظاهرها واتجاهاتها).

إن الجوانب التي تناولت الأهداف التربوية وإمكانية تحقيقها لا تعني انتفاء الجهد البشري، فالمؤمن لا يحقق الأهداف المنشودة إلا إذا بذل الجهد المطلوب، والقرآن الكريم يحث الإنسان على السعي لكسب العيش وعلى اقتحام العقبات، فإذا كان الهدف المحدد غير قابل للتحقيق إلا بعد تذليل الصعاب، فالإنسان يعيش في ظل اختيار مستمر طوال حياته، وعليه مواجهة التحديات مهما كبرت لتحقيق الهدف أو الدخول إلى نتيجة مرضية. وظروف الاختبار مهما كانت صعبة لا ترهق أعصابه ولا تشعره بالعجز الدائم لسبب بسيط هو أن الأهداف التي يسعى لتحقيقها ليست فوق طاقته ﴿**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ**﴾ [سورة البقرة: الآية ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللهُ أن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ**﴾ [سورة النساء: الآية ٢٨].

إن ما جاء به المؤرخون في الكتب العربية وعلى مختلف العصور مثل (تعليم المتعلم) للزرنوجي و(جامع العلم) لابن عبد البر و(إحياء علوم الدين) للغزالي، و(كشف الظنون) لحاجي خليفة و(مفتاح السعادة) لطاش كبرى زادة، ووسائل إخوان الصفا، ومؤلفات الشيخ الرئيس (ابن سينا) فهي تمثل الاتجاهات الفكرية المختلفة التي سادت الفكر الإسلامي على مر العصور، كما أنها تمثل أيضاً العصور الإسلامية المختلفة وكأنها امتداد واحد اتحدت ظروفه والقوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تشكل فكره التربوي.

والقرآن الكريم جاء لهداية الناس أجمعين، وانطلاقاً من هذه الحقيقة الكبرى يمكن القول بأن التربية الإسلامية تربية عالمية وأهدافها صالحة لجميع الناس في جميع الأماكن والأزمان، لاشتمالها على الكمال المطلق، يقول الله تعالى: ﴿**اليوم أَكْمَلْتُ لكُمْ دِيَنكُمْ وأَتْمَمتُ عليكُم نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإسلاَمَ ديناً**﴾ [سورة المائدة:الآية ٣] فالقيم الإنسانية التي تضمنتها التعليمات القرآنية قيم ثابتة لا دخل فيها لأهواء البشر، وهناك من لا يروق له التسليم لوجود أهداف ثابتة، فجون ديوي يؤكد أن (الفكرة القائلة بأن النمو والتقدم يرميان إلى هدف نهائي لا يتغير ولا يتبدل، هي آخر أمراض العقل البشري في انتقاله من نظرة جامدة إلى الحياة إلى نظرة مفعمة بالحركة» (جون ديوي، بدون تاريخ، الديمقراطية والتربية)، فهو يعين على أولئك الذين ينصبون هدفاً نهائياً تتجه نحوه عملية النمو، وهو يعتقد بأن النمو والتربية والحياة شيء واحد سهل علينا إدراك موقفه العدائي من وجود أهداف تربوية ثابتة، لذا نراه يحذر المربين من الإيمان بمثل هذه الأهداف. فالهدف – حسبما يعتقد – جزء لا يتجزأ من عملية النمو، وليس بالأمر الخارجي الذي يثير نحوه خبرة المتعلم فلا هدف لعملية النمو إلا المزيد من النمو في جميع مراحل وأساليب وأهداف العملية التربوية .

والواقع أن التربية في نظر الفلاسفة وعلماء التربية تهدف إلى تهيئة حياة سعيدة للأفراد على اختلاف واضح بينهم في وصف هذه الحياة السعيدة، فبعض الفلاسفة يرى أنها تتم في أحضان الدين كالغزالي مثلاً، بينما يرى البعض ترك الدين وشأنه، فالحياة السعيدة هي الحياة الدنيوية الناجحة، وبعض الفلاسفة يهتم بالفرد (كروسو) وآخرون يهتمون بالجماعة ومصلحتها، والإنسان في نظرهم لا يجد راحته وسعادته إلا في كنف مجتمع فيه قوانين تحميه وتمنحه الحرية والعدالة (سعد مرسي أحمد، ١٩٦٦، تطور الفكر التربوي).

فالتربية تقوم على اعتبار المجتمع كياناً حياً واحداً، فقد شبه رسول الله ﷺ هذا المجتمع بالجسد حيث قال: «ترى المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (صحيح البخاري، الجزء الرابع.).

وعلى هذا الأساس العظيم رغّب القرآن بالتعاون بين أفراد المجتمع، وتحقيق الخير والبر والتقوى قال تعالى: ﴿**ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قومٍ أَنْ صدّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وتَعَاوَنَوا على البِرِّ والتَّقْوَى ولا تَعَاوَنوا على الإِثْمِ والعُدوانِ واتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ شديدُ الْعِقابِ**﴾ [سورة المائدة:الآية ٢] والتربية تربي المواطن على تحقيق العدل والتعاون، وقضاء حاجات الإنسان، ونشر المحبة وعلى المربي أن يغرس هذه الصفات في نفوس الناشئة وأن يبني النشاط الاجتماعي المدرسي على هذا المعنى، وهذا ما سعى إلى تحقيقه الشيخ الرئيس، فكيف نظر إلى الحياة السعيدة؟

والسؤال الكبير هو ما هدف التربية عند ابن سينا؟

إن هدف التربية عند ابن سينا هو: نمو الفرد نمواً كاملاً من جميع الجوانب، النمو الجسمي، والنمو العقلي، والنمو الخلقي، ثم إعداد هذا الفرد لكي يعيش في المجتمع ويشارك فيه بعمل أو حرفة يختارها وفق استعداده ومواهبه هو، فالتربية السينوية لم تغفل الحديث عن النمو الجسمي وكل ما يتصل من رياضة بدنية، وطعام وشراب وثوم، ونظافة، ولم تستهدف فقط النمو العقلي وجمع المعلومات، بل تناولت جميع الجوانب التي تتعلق بالإنسان في جميع مكوناته الجسمية والعقلية والخلقية، ولا يقتصر عمل التربية على خلق المواطن الكامل جسماً وعقلاً وخلقاً فقط، بل لابد أن تعده لمهنة أو عمل أو حرفة يشارك بها في عملية (البناء الاجتماعي)، لأن المجتمع في نظر ابن سينا إنما يقوم على التعاون وعلى تخصص كل فرد في عمل أو مهنة وتبادل المنافع

والخدمات بين أفراده.

ثانياً: التخصص المهني التربوي عند ابن سينا

الواقع أن ابن سينا دأب على إظهار الاتجاه نحو التخصص التربوي والمهني لطبيعة التكوين الاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات في ذلك العصر. فقد دعا إلى التخصص بعلم من العلوم، وعلى أساس هذا التخصص وتلك الشهرة كان ينال العلماء التقدير الكبير بين الأمراء، إذ خصص لكل طائفة من هؤلاء العلماء رزق محدود، وقد يأخذ البعض رزقاً أكبر من طائفة واحدة أمثال الزجاج المتوفى عام ٣١٠هـ فقد كان له رزق في الندماء ورزق في الفقهاء، ورزق في العطاء (آدم مينز، ١٩٤٧، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة).

وقد ثبت في بعض الآيات والأحاديث النبوية ضرورة أن يعمل كل إنسان بحسب قابلياته واستعداداته الذاتية: كقوله تعالى: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى۝ الذي خَلَقَ فَسَوّى۝ والذي قدَّر فهدى**﴾ [سورة الأعلى: الآية١ . ٣].

أي قدر لكل كائن استعداداً خاصاً به، وهداه إلى سبل الحياة التي تحقق قابلياته واستعداداته.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وقل اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسولُهُ والمؤمنون**﴾ [سورة التوبة:الآية ١٠٥].

فالمجتمع يرى أعمال أفراده ويشجع قابلياتهم ويقابلها بالشكر والتقدير.

وكقول الرسول ﷺ: «اعملوا فكل ميسرٍ لما خلق له».

أي أن الله خلق كل كائن وكل إنسان لهدف أو مهنة، وزوده بقدرات وكفاءة معينة، ثم يسر له من المجالات ما يناسب ذاتيته وكفاءته ومقدرته، ولذلك أمره بالعمل والسعي لتحقيق مثله الأعلى حسب قدرته وذاتيته. وفي هذا المجال يقول المربي الكبير ابن قيّم الجوزية، في كتابه (تحفة المودود بأحكام المولود):

«ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي، وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها، مما كان مأذوناً منه شرعاً، فيعلم أنه مخلوق له، فلا يحمله على غيره، فإنه إن حمل على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه، وفاته ماهو مهيأ له، فإذا رآه حسن الفهم صحيح الإدراك جيد الحفظ واعياً، فهذه من علامات قبوله وتهيئة للعلم، لينقشه في لوح قلبه ما دام خالياً، فإنه يتمكن فيه ويستقر ويزكو معه، وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه، وهو مستعد للفروسية وأسبابها، من الركوب والرمي واللعب بالرمح، وأنه لا نفاد له في العلم، ولم يخلق له، مكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها فإنه أنفع له وللمسلمين، وإن رآه بخلاف ذلك، وأنه لم يخلق لذلك ورأى عينه مفتوحة إلى صنعة من الصنائع، ومستعداً لها، قابلاً لها، وهي صناعةٌ مباحةٌ نافعةٌ للناس، فليمكنه منها، هذا كله بعد تعليمه له ما يحتاج إليه في دينه (ابن قيم الجوزية، ١٣٨٠هـ، تحفة المودود بأحكام المولود).

وقال ابن سينا في كتابه (القانون):

« وعلى المؤدب أن يبحث له عن صناعة، فلا يجبره على العلم إذا كان غير ميّال إليه، ولا يتركه يسير مع الهوس، إذ ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له، مواتية، لكن ما شاكل طبيعته، وناسبه، وأنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب دون المشاكلة والملاءمة، إذن ما كان أحد غفلاً من الأدب وعارياً من صناعته، وإذن لأجمع الناس على اختيار أشرف الصناعات»(عبد الرحمن غلاوي، بدون تاريخ، علم النفس التربوي).

والحق إن ابن سينا كان فيلسوفاً، والفلاسفة بشكل عام يعتقدون أن الفكر اليوناني هو فكر الصفوة المثقفة وأن

فضل الفيلسوف على غيره أمر مفروغ منه، إلا أن هدف التربية عنده لم يقتصر على إيجاد الفيلسوف وما كان لابن سينا أن يفعل ذلك، وهو يعيش في القرن الرابع الهجري، مع أن الفكر اليوناني هو للخاصة دون العامة، لذلك فقد جعل ابن سينا «تربية الفيلسوف» هدفاً من أهداف التربية عنده في المرحلة المتخصصة، يتجه إليها من يشاء وفق استعداده وميوله، هذا هو جوهر الفرق بين تربية ابن سينا والتربية عند الغزالي أو القابسي، في حين أن تربية الفيلسوف غير وارد عندهما، ولا معترف بها، نجد أن ابن سينا يسهب في حديثه عن «تربية الفيلسوف» والعلوم التي يتلقاها وغاية كل علم من تلك العلوم وجدواه (عبد الرحمن النقيب، ٢٠٠٢، الفكر التربوي الإسلامي).

بذا يمكننا القول: إن هدف التربية عند ابن سينا هو خلق مواطن صالح، جسماً وعقلاً وخلقاً، وإعداد هذا المواطن لعمل أو حرفة سواء أكان عملاً نظرياً أم عملاً يدوياً.

وسواء أكان العمل النظري متصلاً بالعلوم النقلية أم العلوم العقلية التي يجلبها ابن سينا ويرى ضرورتها في حياة المجتمع، وابن سينا يعد (الصناعة) و(الحرف) ضرباً من التعليم يحتاج إلى الإعداد المهني والتدريب والتخصص فيقول: «التعليم والتعلم منه صناعي مثل تعلم النجارة والصياغة وإنما يحصل بالمواظبة على استعمال تلك الصناعة»(ابن سينا، ٣٧٥هـ، البرهان من الشفاء).

ويرى بعض علماء التربية وفلاسفتها المعاصرون أن الهدف الأوحد للتربية هو النمو، نمو الإنسان من جميع النواحي العقلية والجسمية والروحية، والاجتماعية والسؤال الذي يطرح نفسه هل يحتاج النمو إلى إيضاح؟ هل النمو مجرد زيادة في الحجم أو الوزن أو المعلومات والتصورات، أم هو تطور كيفي لأسلوب حياة الناشئ منذ الولادة حتى البلوغ؟ ولحركاته وتصرفاته وسلوكه؟

يجمع علماء التربية أن الزيادة الكمية ليست هي معنى النمو الذي تهدف إليه التربية، ولكنهم يختلفون في تطوير سلوك الإنسان.

- بعضهم يرجعه إلى آليات وردود أفعال منعكسة، فيجعلون الإنسان كالمعمل كل آلة تحرك التي تليها، حتى يصل الإنتاج إلى آخر مرحلة فيخرج إلى يد المستهلك براداً، أو سيارة، أو مكيفاً،... وهكذا الإنسان كلما أثر فيه مؤثر خارجي سعى إلى تحقيق ما يرغب الحصول عليه.

وتتغير الاستجابة من إنسان إلى آخر بحسب تربية كل إنسان وظروفه الحالية أو آماله المستقبلية.

والبعض الآخر يقول: إن الإنسان ينمو أي يتطور سلوكه، على أثر ما يتكون عنده من خبرات، فإذا كان الطفل بين أهله ووسخ ثوبه الجديد، مثلاً، بالطعام، عابوا عليه ذلك، وعنّفوه، وأظهروا أمامه من الانفعالات، ما يجعله يعلق في ذهنه ارتباط الألم النفسي بتوسيخ الثوب الجديد.

هذا الارتباط يسميه (جون ديوي)(١) (جون ديوي، ١٩٥٢، الديمقراطية والتربية.) خبرة، وهذه الخبرة بالذات، في هذا المثال، لما كانت صادرة عن المجتمع، أمكننا أن نسميها خبرة اجتماعية، لأنها تحصر التعامل مع الجماعة، وتتابع خبرات الطفل الاجتماعية، حول السلوك المعيب أمام الضيف، والسلوك المحبب، كالتحية وألفاظها، فنقول إن الطفل ينمو نمواً اجتماعياً أي تزداد خبراته الاجتماعية، وتنمو معها مشاعره الاجتماعية، كالأنس بالآخرين، كالصغار، والخوف من بعض الناس أو من بعض المواقف، والنفور من البعض الآخر وهكذا، وقل مثل هذا في نمو الخبرات الحسابية، واللغوية، والقصصية، والصناعية، واليدوية.

ليس من شك في أن تتابع الخبرات ينمي مدارك الناشئ ويجعل سلوكه أقرب إلى التعايش مع المجتمع، ومع الحضارة

---

(١) جون ديوي، فيلسوف ومربي أمريكي معاصر توفي ١٩٥٢، وله آراء وكتب في التربية مشهورة وإليه تنسب طريقة (الشروع) من طرق التربية الغربية (الديمقراطية والتربية).

ومخترعاتها، ومع ظروف الحياة ومتطلباتها. والنمو سلاح ذو حدين، إذا لم يوجه منذ الصغر نحو هدف أسمى، فقد يستخدمه الناشئ بعد خروجه إلى المجتمع، لتحقيق أغراض دنيئة، أو أعمال ضارة بالآخرين.

الواقع أن ابن سينا يرى أن التربية الصحيحة تضع كل شيء في موضعه الطبيعي، واعتبر أن النمو بجميع جوانبه وسيلة لتحقيق المثل العليا للتربية في كل الجوانب الجسمية، والعقلية والخلقية، والاجتماعية، والذوقية والروحية، والوحدانية مع توجيه هذا النمو نحو تحقيق هدفها الأسمى.

الفصل الثاني

الاتجاه الفلسفي في التربية الإسلامية عند ابن سينا

- مقدمة

١- أهداف التربية الإسلامية

٢- أثر الفكر الفلسفي في التربية الإسلامية

٣- علاقة علم التربية بالعلوم الأخرى

٤- العلاقة بين الفلسفة والعلم والدين

الاتجاه الفلسفي في التربية الإسلامية عند ابن سينا

مُقَدِّمَة

يرى بعض الباحثين أن الفلسفة هي فن تشكيل وابتكار المفاهيم، ويقول: « ويل ديورانت» إن الفلسفة هي إنجاز العلم في تركيب الحكمة. فالعلم يرغب في أن يحلل الكل الغامض إلى أجزاء، وأن يحيل الغامض إلى معلوم، وهو لا يبحث في قيم الأشياء وإمكاناتها المثالية، ولا في مغزاها الكلي والأخير....

أما الفيلسوف فإنه لا يقنع بوصف الواقعة، حيث يرغب في توكيد علاقتها بالخبرة بصورة عامة، وهو يربط بين الأشياء في تركيب توضيحي أو تأويلي، وهو يحاول أن يجمع بصورة أفضل مما قيل بين أجزاء ساعة الكون العظيمة التي فككها العالم الفضولي.

الفلسفة تبحث في الكليات، والعلم يفكك الكليات إلى جزئيات، كي يستطيع العقل استيعابها، ومن وجهة النظر الدينية فإن لدينا نوعين من الفلسفة، فلسفة عامة تشكل الإطار النظري والفكري لكل جوانب الحياة، وفلسفة خاصة بكل علم من العلوم. ويمكن تعريف فلسفة التربية تعريفاً إجرائياً شاملاً بالقول: «إنها علم يوفر إطاراً عقدياً وفكرياً للتربية، ويحدد غاياتها، ويضع معايير نجاحها، ويضفي نوعاً من التوحد على أنشطتها، ويولد مفاهيمها ويحلل عملياتها، ويعالج مشكلاتها»(عبد الكريم بكار، ٢٠٠١، التربية والتعليم).

أولاً: أهداف التربية الإسلامية

فالتربية عملية هادفة لها أغراضها وأهدافها وغايتها، والمربي الحق على الإطلاق هو الله الخالق: خالق الفطرة وواهب المواهب، وهو الذي سنَّ سنناً لنموها وتدرجها وتفاعلها، كما أنه شرع شرعاً لتحقيق كمالها وصلاحها وسعادتها. والتربية تقتضي خططاً متدرجة تسير فيها الأعمال التربوية والتعليمية وفق ترتيب منظم متطور، ينتقل مع الناشئ من طور إلى طور ومن مرحلة إلى مرحلة وأن عمل المربي تابع لشرع الله ودينه.

هذا التحليل لمعنى التربية ونتائجه يؤدي بنا إلى معنى الشرع والدين، لأن التربية تستمد جذورها منه، فطبيعة النفس الإنسانية طبيعة متدينة والإنسان في الحقيقة متدين، «الدين علاقة خضوع وانقياد وعبودية من قبل البشر، يشعرون بها نحو خالق حاكم لأمور الكون، حاكم قهار يحيي ويميت وإليه النشور، قد وضع لهم نظاماً شاملاً للحياة بجميع جوانبها، وأمرنا أن نسير عليه، وأخبرنا بالجزاء الذي أعدّه لجميع المكلفين يوم الحساب» (عبد الرحمن النحلاوي، ١٩٨٣، أصول التربية الإسلامية)، ويورد أبو الأعلى المودودي تعريفاً للدين فيقول: المرادّ (الدين) هو نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية، فقد بيّن الله تعالى أن نظام الحياة الصحيح المرضيّ عند الله هو النظام المبني على إطاعة الله وإخلاص العبودية له وحده. قال تعالى: ﴿**أفغيْرَ دينِ اللهِ يَبْغونَ ولَهُ أسْلَمَ مَنْ في السمواتِ والأرضِ طوْعاً وَكرْهاً وإليهِ يُرْجعون**﴾ [سورة آل عمران: ألآية ٨٣].

ثم استعمل اللفظ في القرآن علماً على الدين والنظام، الذي أرسل الله به رسوله محمداً ﷺ ﴿**إِنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ الإسلامُ**﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٩] وقال تعالى: ﴿**اليَوْمَ أكْمَلْتُ لكُمْ دينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عليْكُمْ نِعْمَت] وَرَضيتُ لكُمُ الإسْلامَ دِيناً**﴾ [سورة المائدة:الآية ٣].

وقال تعالى:﴿ **قُلْ إني أُمِرْتُ أن أعبدَ اللهَ مُخلِصاً لَهُ الدِّينَ**﴾ [سورة الزمر :الآية ١١].

فالإسلام هو النظام الإلهي الذي ختم الله به الشرائع وجعله نظاماً كاملاً شاملاً لجميع نواحي الحياة، وارتضاه لتنظيم علاقة البشر بخالقهم، وبالكون والخلائق وبالدنيا والآخرة وبالمجت الفكر التربوي عند ابن سينا – م١١م والمحكوم، ولتنظيم كل الارتباطات التي يحتاج إليها الناس، تنظيماً مبنياً على الخضوع لله وحده وإخلاص العبودية له، وعلى الأخذ بكل ما جاء به الرسول ﷺ (عبد الرحمن النحلاوي، ١٩٨٣، أصول التربية الإسلامية.).

لقد ميّز دارسو التربية الإسلامية بين اتجاهات فكرية ثلاثة سادت الفكر التربوي الإسلامي، وكان لكل اتجاه من هذه الاتجاهات الثلاثة فلسفة في التربية تخصه وتؤكده وتثبت وجهة نظره في الإنسان والوجود، فهناك الاتجاه الفقهي في التربية وتمثله كتابات ابن سحنون (المتوفى ٣٢٦هـ) والقابسي المتوفي سنة (٤٠٣هـ) (أحمد فؤاد الأهواني، ١٩٥٥، التربية في الإسلام). وهناك الاتجاه الصوفي في التربية وخير ممثل له هو أبو حامد الغزالي المتوفى (٥٠٥هـ) (محمد نبيل نوفل، ١٩٦٧، أبو حامد الغزالي حياته وآراؤه في التربية والتعليم) ، وأخيراً هناك الاتجاه الفلسفي في التربية لابن سينا.

ثانياً : دور الفكر الفلسفي في التربية الإسلامية

إن الفكر الفلسفي أو المدرسة الفلسفية في التربية هو أقل تلك المدارس تأثيراً في ميدان التربية في العالم الإسلامي من ناحية التأثير العام، ويرجع ذلك إلى طبيعة العالم الإسلامي إلى الفلسفة والفلاسفة (إبراهيم عبد المجيد اللبان، ١٩٥٤، الفلسفة والمجتمع الإسلامي). ولقد كانت هناك عدة عوامل جعلت الفكر الفلسفي فكراً غريباً على المجتمع الإسلامي، أو فكراً انعزالياً محدد التأثير منها (عبد الرحمن النقيب ٢٠٠٥، الفكر التربوي الإسلامي):

١- إن الذين نقلوا أصول هذا الفكر الفلسفي إلى العالم الإسلامي في البداية هم في الغالب من العناصر غير الإسلامية[(١)]. أمثال آل بختيشوع وهم من السريان النساطرة، وآل حنين وهم من نصارى الحيرة، وفسطا ابن لوقا البعلبكي من نصارى الشام، وآل ماسرجويه وهو يهودي المذهب سرياني اللغة، وبالتالي فقد نقلوه دون مراعاة لروح الإسلام، وبذا أصبح هذا الفكر فكراً دخيلاً يشتغل به الدخلاء غير العرب، ولقد ظل اشتغال غير المسلمين بتلك العلوم الفلسفية حتى كان الكندي أول فيلسوف عربي اشتغل بنقل الفلسفة إلى اللغة العربية والتأليف فيها.

---

(١) Richard Walzer. Greek into Arabic. Okford. Brurocossiver. 1962. p. 6. f t1.
Iu indraw sweetman. Islawavd Christiav theology. Lovpon, lutterperss. 1945 – 1947.
P. B 1fa. Felhawavy. Islamic philosophy.
Cairo. AngloeGyptian book shoop 1957. p. 26.

٢- إن الفلاسفة المسلمين تعصبوا في الغالب للفكر اليوناني وقدروه أكثر من اللازم حتى قدموه على النص أحياناً وأولوا النصوص حتى توافق بعض هذه الآراء اليونانية ولا أدل على هذا التعصب الفكري للفلاسفة اليونان، وبالذات أرسطو من شكوى ابن سينا من ذلك التعصب وعدم قدرته - وهو فيلسوف - على مخالفة جمهور المشائيين بمثل قوله: «فقد بلينا برفقة منهم» طلاب الفلسفة «عاري الفهم كأنهم خشب مسندة يرون التعمق في النظر بدعة ومخالفة المشهور ضلالة كأنهم الحنابلة في كتب الحديث» (روزنال، ١٩٦١، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس فريحة).

٣- إن الفلاسفة المسلمين عندما أرادوا أن يحلوا مشكلة التوفيق بين العقل والنقل وبعد فحص في: النظر في الفلسفة وعلوم المنطق هل هو مباح بالشرع أم محظور أم مأمور به على جهة الندب أو يحل جهة الصواب (ابن رشد، بدون تاريخ، الحكمة في فلسفة ابن رشد) وصلوا أخيراً على أن طريق الفلسفة غير طريق الشرع، ورغم أن غاية الفلسفة في نظرهم وغاية الشرع واحدة وهي الوصول إلى الحقيقة إلا أن الوسيلة في نظرهم مختلفة، فأنت تصل إلى الحقيقة عن طريق الشرع مستخدماً النص معتمداً عليه، أو عن طريق الفلسفة مستخدماً العقل معتمداً على المنطق. ولذا فإن طريق الفلسفة في نظرهم هو طريق الخاصة والحكماء، والشرع طريق العامة والدهماء ولا يمكن التوفيق بين الفلسفة والدهماء والعقيدة إلا إذا حدث تفرق بين عقيدة العامة وعقيدة الخاصة، وإلا إذا حدث تأويل في شرح بعض الآيات المنزلة، وهذا هو موقف الكندي والفارابي ابن سينا وابن رشد وغيرهم (حنا الفاخوري، خليل الجر، ١٩٥٨، تاريخ الفلسفة العربية.).

إن فلسفتنا التربوية ليست وليدة الخبرة، ولا تبنى بناء على نحو مطلق - كما يرى بعض الباحثين - ولا هي في المقابل فلسفة مغلقة، كل ما فيها قطعي ونهائي، ولا هي فلسفة متعالية تدعي نضج نظمنا التربوية، وتوصد الأبواب أمام تراكم الخبرة، فالإسلام دين عمل، ولذا فلا يكاد يذكر الإيمان إلا ويذكر معه العمل الصالح وكان ﷺ يستعيذ بالله - تعالى - من علم لا ينفع؛ وإن أكبر مشكلة خلقتها الفلسفة الإسلامية وغير الإسلامية لنفسها، أنها أقحمت نفسها في بحث أمور لم يعدَّ الخالق - سبحانه - العقل البشري لاستجلاء كنهها، فكان حليفها دائماً الإخفاق والاضطراب.

إن النظريات التربوية لا تعدو أن تكون أدوات في يد الفلسفة التربوية وهي مثل كل الأدوات، تستمد قيمتها من مدى إمكانية تطبيقها، ومن تحقيقها للغايات التي نشأت من أجلها، ولذا فإنها قد تصلح في مرحلة، ولا تصلح في أخرى، وقد تصلح في بلد، ولا تصلح في بلد آخر، والقرآن الكريم يشير إلى أنّ علينا أن نغير من هدف العلم، ومن هدف التربية، وأن نضيف إلى محاولة فهم العالم محاولة تغييره، كما في قوله سبحانه: **﴿إنَّ اللهَ لا يُغيِّرُ ما بقومٍ حتَّى يُغيِّروا ما بأنفُسِهِمْ﴾** [سورة الرعد: الآية١١].

فالتربية الإسلامية أصبحت ضرورة حتمية، وقضية إنسانية لتخليص الطفولة في البشرية عموماً من التهديد والضياع من النظم المادية غير الإنسانية وبين الإباحة والتدليل والميوعة (عبد الرحمن النحلاوي، ١٩٨٣، أصول التربية الإسلامية) لإنقاذ الطفولة في الشعوب النامية والضعيفة من الخنوع والذل وويلات الجوع والاستسلام لطغيان الظلم والاستبداد.

وذلك بما تغرسه التربية الإسلامية في الإنسان من العزة والشعور بالكرامة بل الاستحقاق في سبيلها، مهما أحاطت به الشدائد، أو أذهلته عنها المغريات. **﴿ولله العزَّةُ ولِرَسولِهِ وللمؤْمنينَ﴾** [سورة المنافقون:الآية ٨].

- إن الفلسفة بمعناها عند المسلمين في العصور الوسطى كانت من علوم الخاصة، والفلاسفة أنفسهم جميعاً

أصروا على ذلك، ونهوا العوام عن الاشتغال بها وحددوا عدداً من الشروط للذي يعمل بها وما يجب أن يدرس قبل أن يتعلم الفلسفة (الفارابي، ١٣٢٨هـ، ما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة).

وكانت لغتها صعبة في الواقع، ربما لطبيعة موضوعاتها، وربما بقصد من الفلاسفة لأسباب خاصة بهم.

ونشير إلى أن أفلاطون كتب لأرسطو معاتباً إياه على وضوح كتبه الفلسفية فرد عليه أرسطو قائلاً: «إني وإن دونت هذه العلوم والحكم المضنون بها فقد رتبتها ترتيباً لا يخلص إليها إلا أهلها، وعبرت عنها بعبارات لا يحيط بها إلا بنوها» (الفارابي، ١٣٢٨، ما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة).

وقد علل الفارابي أسباب تعهده لهذا الإغماض في كتب الفلاسفة بما يلي:

١- استبراء طبيعة المتعلم هل يصلح للتعليم أم لا؟

٢- لئلا تبذل الفلسفة لجميع الناس بل لمن يستحقها فقط.

٣- ليروض الفكر بالتعب في الطلب.

وبذا يكون ما جاء به حامد عمار في كتابه بناء البشر أن الفلاسفة ارتبطوا بالخلفاء والأمراء، واعتمدوا على تشجيعهم، وهذا كان يهيئ لهم فرص الدراسة والبحث ما دام هؤلاء الحكام والأمراء من أحرار الفكر، ومن ذوي القوة والسلطان، ولكنه في نفس الوقت عرضهم لسلطان هؤلاء الحكام وبطشهم واقتصار دائرة تأثيرهم في حالات أخرى كثيرة (حامد عمار، ١٩٦٤، في بناء البشر).

إن رجال الفكر الإسلامي – لعوامل عديدة – قد حاربوا هذا الاتجاه الفلسفي ورموا رجاله بالكفر أحياناً كما فعل الغزالي وابن تيمية، ورغم أن العداء بين التيار العقلي عموماً والتيار النقلي عداء قديم لم يسلم منه حتى المعتزلة أنفسهم رغم أنهم علماء كلام (عبد الدائم أبو العطاء، ١٩٤٨، أهداف الفلسفة الإسلامية).

المعركة قد احتدم أوارها بضعف الحكام وحاجتهم إلى السند الشرعي القوي وسيطرة نزعة التقليد حتى إنه لم يأت القرن الثاني عشر الميلادي حتى أحرقت رسائل إخوان الصفا ومؤلفات ابن سينا في بغداد عام ١١٥٠م وعدت هذه المؤلفات هرطقة وخروجاً عن الدين الحنيف وقد روى جلال الدين السيوطي عن الشيخ نصر الدين المقدسي، أن يحيى بن خالد بن برمك كتب إلى ملوك الروم برغبته في نقل الكتب اليونانية إلى اللغة العربية، وكان ملك الروم قد خاف على قومه من النظر في تلك الكتب اليونانية أن يتركوا دين النصرانية، ويرجعوا إلى دين اليونانية وتشتت كلمتهم وتتفرق جماعتهم تجمع تلك الكتب في موضع ويبنى عليها بناءً محكماً حتى لا يصل إليها أحد، فلما طالبه خالد ابن برمك بذلك استطار فرحاً وجمع البطارقة والأساقفة والرهبان وقال لهم: إنه مرسل تلك الكتب إلى خالد بن برمك وسائله ألا يردها قط حتى يبتلوا بها (عباس محمود العقاد، بدون تاريخ، التفكير فريضة إسلامية).

بذا نستطيع القول: إن المدرسة الفلسفية في الفكر الإسلامي كانت مدرسة محدودة التأثير أرستقراطية الفكر. كانت مدرسة الخاصة فقط، وكانت كنت هؤلاء الفلاسفة تمثل «دوائر منفصلة عن تيار الفكر الإسلامي العام» (علي سامي النشار، ١٣٦٧هـ، مناهج البحث عند مفكري الإسلام). قليلة التأثير على حياة المجتمع العقلية والتربوية، وهذا الكلام لا يخلو من الصحة إذا قيس بالأثر الفقهي أو الأثر الصوفي في تاريخ الفكر الإسلامي والتربوي في العصور الوسطى. ولا يعني ذلك تجاهل تلك المدرسة الفكرية، إذ إنه ليس في مقدور أي باحث للحركة الفكرية في العصور الإسلامية الزاهية أن يتجاهل هذا التيار الفلسفي أو أن يقلل من شأنه، وخصوصاً أنه تيار خصب مبدع وخلاق في بعض نواحيه، وأن إنتاجه العقلي والفكري لا يقل عن التيارين الآخرين: الفقهي والصوفي غزارة وأهمية.

والحق أن كتابات ابن سينا تعد قمة فيما وصل إليه هذا التيار الفلسفي الإسلامي في أوضح صورة وأشملها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن آراء ابن سينا التربوية سوف تظهر لنا كيف اضطر فلاسفة المسلمين إلى الحديث في أمور التربية لكي يدعموا هذا الاتجاه الفلسفي[1] ويدخلوه في صميم عملية التعليم، محاولين تأكيد هذا الاتجاه وإظهار قيمته وجدوى علومه ومناهجه.

ثالثاً: علاقة علم التربية بالعلوم الأخرى

لما كانت التربية الإسلامية تربية واعية، هادفة، وقد وضع الله أسسها في هذه الشريعة لجميع البشر – كان لزاماً علينا أن نبين هدفها السامي الذي عينه الله لجميع البشر، قبل الشروع ببيان أساليبها وخصائصها، لأن الهدف هو الذي يعين الأساليب، ولو ألقينا نظرة على أسس التربية الإسلامية، وتصور الإسلام للكون والحياة، ولأهداف الحياة لوجدنا فيها:

إن الله خلق الكون، لهدف معين، وأوجد الإنسان على الأرض ليكون خليفة يحقق طاعة الله، ويهتدي بهديه، وسخر ما في السموات والأرض، فجعل ذلك كله خادماً لحياة الإنسان محققاً لها. وأن الله جعل لهذا الكون ولهذه الحياة الدنيا أجلاً ينتهي في وقت محدود عند الله، من هذه النظرة الإسلامية إلى الكون يتضح أن الهدف الأساسي لوجود الإنسان في الكون، هو عبارة الله والخضوع له، والخلافة في الأرض ليعمرها بتحقيق شريعة الله وطاعته، وقد صرح القرآن بهذا الهدف في قوله تعالى: ﴿**وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [سورة الذاريات:الآية ٥٦].

وإذا كانت هذه مهمة الإنسان في الحياة، فإنّ تربيته يجب أن تكون لها نفس الهدف لأن التربية الإسلامية هي «تنمية فكر الإنسان وتنظيم سلوكه، وعواطفه، على أساس الدين الإسلامي».

ولقد حفل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالدعوة إلى إعمال العقل والتفكير في ظواهر الكون والإشادة بالتدبر في آيات الله المختلفة وعوالمه المتعددة (نبات، وحيوان، وإنسان، وطبيعة... الخ) وتقريع الجهال والغافلين والسخرية ممن لا يعلمون، ولا يفكرون، يقول تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا في الأَرْضِ فانظُروا كيف بَدَأَ الْخَلْقُ**﴾ [سورة العنكبوت:الآية ٢٠] وقوله تعالى: ﴿**قُلْ انْظُرُوا ماذا في السموات والأرض**﴾ [سورة يونس: الآية١٠١] وقوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنْزَلَ من السَّمَاءِ ماءً فأَخْرَجْنَا به ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُها وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُها وغرابيبُ سُودٌ**﴾ [سورة فاطر:الآية٢٧] وقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ والدَّوَّابِ والأَنْعَامِ مُخْتَلفٌ أَلْوَانُه كَذَلِكَ إنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِن عِبَادِهِ العُلَمَاءُ**﴾ [سورة فاطر:الآية ٢٨]. فأمثال هذه الآيات وغيرها كثير تدعو العقل المسلم إلى التأمل والنظر في ظواهر الطبيعة ومجال الكون ومحاولة تأمل أسرارها والتعمق في فهمها.

إذا ما رجعنا إلى مؤلفات المسلمين في مجال العلوم الطبيعية لأدركنا مدى صلتها بالله وتوحيده، والإيمان بقدرته وعظمته وحكمته، وإذا رجعنا إلى مؤلفاتهم في العلوم الدينية لوجدنا أنها تقوم على الأدلة والحجج العقلية معاً، حتى علوم أصول الدين الذي يتناول قضية التوحيد لا يستند إلى الأدلة النقلية فقط كما يتبادر إلى الذهن، إنما يقوم بجوار ذلك على نظرية متكاملة في المعرفة تناقش مصادر العلم ذاتها من محسوسات ومجريات ومشاهدة وأوليات وبديهيات ومتوافرات.... الخ حتى تصل في النهاية إلى «التوحيد الإسلامي» العقلي والنقلي معاً ويمكن أن نجد ذلك واضحاً في مؤلفات عديدة مثل: العقيدة النظامية للجويني (٤٧٨)هـ الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (٥٠٥)هـ وطوالع الأنوار للبيضاوي (٦٨٥)هـ والمواقف للإيجى (٧٥٦هـ) وأشرف المقاصد للتفتازاني (٧٩١هـ) (حسن حنفي، ١٩٨٢، دراسات إسلامية).

---

(١) Maurice Goude Fray. Demombyres, Muslin – institution slovdov GeorFe Allenurwivlt. D. 1950. p 204.

ولقد أحصى أحد الباحثين ما ورد في القرآن من آيات تتعلق بالعلوم الطبيعية فوجد أنها تمثل أكثر من عُشر القرآن، فمن بين مجموع آيات القرآن وعددها (٦٢٥٧) آية وجد (٦٢٠) آية تتعلق بشتى الموضوعات العلمية موزعة كما يلي:

- الرياضيات ٦١ - الفيزياء ٦٤ - الذرة ٥
- الكيمياء ٩ - النسبية ٦٢ - الفلك ١٠٠
- علم الأحياء ٢٦ - الجغرافيا العامة ٧٣ - علم السلالات البشرية ١٠
- طبقات الأرض ٢٠ - علم الكون وتاريخ الأحداث الكونية[١].

وصف العلم والعلماء والحث على طلب العلم (عبد الرحمن النقيب، ٢٠٠٢، الفكر التربوي الإسلامي).

وبعد أن اتضح مفهوم العلم الذي ينسجم مع التصور الإسلامي، فإنه ينبغي التدقيق في معنى لفظة تربوي التي تلحق ببعض العلوم. وقد اصطلح على نعت مجموعة من العلوم بلفظة التربوية، وهذا هو علم النفس التربوي، وعلم الاجتماع التربوي، وتاريخ التربية وفلسفة التربية وغيرها. وقد يوحي وصف مجموعة من العلوم بأنها تربوية وأن غيرها ليست تربوية. وهذا أمر لا يمكن القبول به، فعلوم الشريعة تربوية؛ لأنها تدل الإنسان على طريق الخير وتجنبه طريق الشر، وعلم الرياضيات والفلك والكيمياء علوم تربوية؛ لأن دراسة كل منها يؤدي إلى اكتساب مهارات واتجاهات معينة.(١)

إن كل علم في الإسلام موصول بالله سبحانه وتعالى، وإن جميع العلوم لها علاقة تأثير وتأثر في التربية إذا قصر بالتربية المفهوم العام، والذي قوامه في الإسلام تنشئة الإنسان الصالح، وفي المجتمعات القومية تنشئة المواطن الصالح، ومن الممكن التعرف على المقصود من لفظ تربوي التي تلحق ببعض العلوم إذا أمكن تحديد الوظائف التي تؤديها هذه العلوم، وإن كل علم يسهم في تحقيق أهداف التربية العامة هو علم تربوي بالضرورة ونشير إلى أن منطق العلم ليس في تضاد مع منطق الوحي وأنهما ضدان لا يجتمعان؛ ذلك لأن علماء المسلمين الذين عملوا بالعلوم والطب والهندسة وغيرها - مثل ابن سينا والبيروني والخيام ونصر الدين الطوسي وغيرهم لم يشعروا بأي صراع أو تناقض بين الإنسان المسلم والإنسان العلمي، ولم يحل أخذهم بالمنهج الديني أن يبدعوا في مجالات العلوم ذات المنهج العلمي التجريبي.

إذ كانت العلوم والمعارف سواء أكانت عقلية أم نقلية وفق النظرة الإسلامية للمعرفة علوماً توصل إلى الله، يقول فؤاد زكريا: «كان العلم الإسلامي ينطوي على جانبي الدنيوية والأزلية في آن واحد، ويستهدف العلم خدمة الحياة الإنسانية في هذا العالم الأرضي في إطار تركز أصوله على النظر إلى عالم السماء والأرض، واستخلاص العبرة من نظامه المحكوم، وقوانينه الأزلية، وهكذا كان العلماء يقومون ببحوثهم مؤمنين بأن العلم ركن أساسي من أركان العقيدة ولم تكن فكرة التعارض بين العلم والإيمان الديني تخطر ببال أحد منهم، بل إن كل من أثاروا هذه الفكرة لم يكونوا من العلماء، ولم تكن لديهم أدنى فكرة عن الطبيعية الحقيقية للبحث العلمي وعن أهدافه الإنسانية الرفيعة» (فؤاد زكريا، ١٩٧٨، التفكير العلمي).

الواقع أن كثيراً من العلماء المعاصرين يؤكدون هذا المنهج الإسلامي الصحيح في طليعتهم يوسف مروة حيث

---

(١) Segyed Hossienrasr: Islam and plight of Modern mar, lovGmar, lovdor, new Gort, 1975. pp. 147, 178.

قال: «وإنني كلما فهمت قانوناً من هذه القوانين (العلمية) ازددت إيماناً بقدرة الله وعظمته وحكمته وقوته، فالإنسان لم ينصع قوانين الطبيعة الفيزيائية والكيميائية والفلكية والحيوية والرياضية، إن العلماء لم يفعلوا أكثر من كشف الغطاء عن هذه القوانين الإلهية ومحاولة فهمها وتفسيرها واستعمالها، وهذه القوانين قائمة سواء كان الإنسان موجوداً أو معدوماً فهي وجدت قبل خلق الكون، ومن هنا أفهم أن قوانين الطبيعة هي كلمات الله وأنظمته في تيسير الكون منذ بدء الخليقة، وإن كل قانون نكتشفه وندرسه ونفهمه هو برهان ساطع على وجود الله وعلى عظمته وحكمته وقدرته» (يوسف مروة، ١٩٨٦، العلوم الطبيعية في القرآن).

إن فلسفة التربية هي التي تساعد الناس على قبول التغيير ومواكبته، بل إنها هي التي تمكن القيادات الفكرية والتربوية من التخطيط للتغيير، وليست مهمة فلاسفة التربية أن يمهدوا السبيل أمام التغييرات المطلوبة فحسب، وإنما التبشير والمطالبة بها من خلال تفكيرهم الدائم في وضع المجتمع، وتلمسهم لما يصلح شؤونهم في جميع مجالات الحياة.

رابعاً: العلاقة بين الفلسفة والعلم والدين عند ابن سينا

الواقع أن التربية البدائية خضعت لفلسفة الإنسان البدائي، فقد واجه هذا الإنسان الكون والطبيعة في جميع الجوانب وبدأ يتساءل، وكانت أولى المشكلات الفكرية مشكلات طبيعة الكون وتفسير المظاهر الكونية، ثم علاقة الإنسان بالكون وقواه، وكوّن الإنسان نظريات للكون والسماء والأرض والشمس.... ونظريات متعلقة بعلاقته بهذه القوى، وأخذ يعلل ما يصيبه من خير وشر على ضوء نظريات بدائية غيبية تحولت إلى عقائد وأنماط سلوكية شبيهة بالعبادات، والغرض من ذلك مواجهة القوى الطبيعية وتحويلها إلى مصلحة الإنسان (الرقص – التعاويذ – الحفلات الدينية) فأول تربية في العالم وفق هذا التصور منبعثة من الأصل الفلسفي.

والواقع أن الباحثين أشاروا إلى أن الفكر الوضعي يجعل الفلسفة تسبق الدين، وأن جميع العلوم الطبيعية والإنسانية التي تتناول شتى الظواهر الطبيعية والإنسانية بالدراسة التي تقوم على الملاحظة والتجريب من أجل الوصول إلى القوانين والنظريات التي تفسر الظواهر خرجت من الفلسفة، ولقد بدأ التفكير في تلك العلوم فلسفياً يقوم على القياس ورد القضايا الجزئية إلى قضايا كلية، وظلت العلوم جزءاً من الفلسفة طوال العصور القديمة والوسطى إلى أن استقلت العلوم بمناهجها التجريبية عن الفلسفة وأصبحت العلوم تصطنع المنهج التجريبي. وبذلك صارت الفلسفة لها مجالاتها ومناهجها المتميزة عن العلم بمجالاته المحددة ومناهجه التي تقوم في معظمها على الاستقراء والتجريب (عبد الرحمن، ٢٠٠٤، الفكر التربوي الإسلامي).

أما الدين فقد ظل ينظر إليه خاصة في العصور الحديثة على أنه يختلف عن الفلسفة، وعن العلم وهو أكثر ارتباطاً بالوجدان لا بالعقل، وأقرب إلى الميتافيزيا والغيبيات التي تخرج عن ميدان العلم، وفي الوقت الذي قلّ فيه الاحتفال بالفلسفة وأهمية الفلسفة لصالح العلم كادت منزلة الدين أن تختفي واكتفى الإنسان المعاصر بالفلسفة والعلم كمجالين وحيدين قادرين على مده بالحقائق العلمية والنظريات الفلسفية التي يعيش على ضوئها، ولعل مشكلة الإنسان المعاصر بالعقل أنه لم يستطع حتى الآن أن يجد نظاماً معرفياً يوحد بين الدين والفلسفة والعلم (عبد الرحمن عبد الرحمن، ٢٠٠٤، الفكر التربوي الإسلامي).

الحق أن محاولة الفصل بين الدين والعلم والفلسفة لم يكن في صالح الإنسان ولا من صالح البحث للوصول إلى الحقيقة؛ ذلك أن العلم نفسه مهما ادّعى من بعد عن الدين أو الفلسفة فمن المحال تحقيق ذلك لأن العلاقة بينهما جدلية، فالعالم وهو يجري تجاربه لإثبات نظرية أو قانون سوف يعتمد حكماً على بعض

المعطيات الفلسفية مثل قانون السببية أو قانون الحتمية وكذلك قانون الاطراد لأن لكل منهما مسلمات فلسفية يقوم عليها العلم.

وإذا كانت الفلسفة ضرورية لوجود العلم، فالذي يعصم الفلسفة والعلم من أي انحراف هو الدين، فالدين يعصم الفلسفة من أن تكون تهويمات عقلية دون عاصم من شك أو ضلال، كما حدث بالفعل في تاريخ الفلسفة عندما تحول التفلسف إلى شك وجحود وإنكار أو تبرير الظلم والطغيان.

كما أنه يحول دون العلم أن ينفلت ويصبح أداة من أدوات التدمير والعدوان، فتآزر الدين والعلم والفلسفة هو سبيل الإنسان لتشييد حضارته التي تقوم على تكامل المعرفة الدينية والعلمية والفلسفية، بل يمكن القول: إن الدين بدون فلسفة وعلم دين سطحي، والعلم بدون فلسفة، ودين علم زائف، والفلسفة بدون علم ودين فلسفة فجة غير ناضجة (محمد أبو القاسم حاج أحمد، ١٣٩٩هـ، العالمية الإسلامية الثانية).

لقد حاول الشيخ الرئيس التوفيق بين النقل وبين العقل، فالفلاسفة الإغريق القدامى كانوا يقولون بأزلية العالم، وأن الدين يقول: بأن العالم مخلوق، وقد خلقه الله تعالى وأوجده من العدم، ابن سينا لم يقف حائراً أمام ذلك، بل أقدم على التوفيق بين هذين القولين المتناقضين، ووضع لها حلاً وسطاً رآه مفعولاً، فقال: إن كل حادث قد سبق وجوده زمان وإمكان الوجود، والزمان لا يتصور بدون حركة، والحركة عرض، وكذلك إمكان الوجود عرض، ومعلوم أن العرض لا يكون إلا في موضوع أو مادة. فكيف ينفق ذلك على العدم السابق لوجود الشيء الحادث، والعدم لا يكون فيه عرض ولا موضوع ولا مادة....؟ (ابن سينا، بدون تاريخ، مجموعة رسائل في الحكمة).

إن كتابات ابن سينا المختلفة تمثل اجتهاداً بين الفلسفة والعلم والدين، وهو اجتهاد موضوعي فيه الكثير من الصواب، أثرى الحياة الفكرية في عصره، وما زال قادراً على الإثراء في هذا العصر، ومن خلال كتاباته نقدر تلك الاجتهادات المختلفة للتوفيق بين الفلسفة والعلم والدين. فابن سينا بين مفكري الإسلام من خير من يحمل هذا الطابع ويعبر عنه:

فقد ألمّ بالثقافة الإسلامية الشاملة المعاصرة له، وهضمها خير هضم، ثم ترجم عنها ترجمة صادقة فلسفته كلها متآخية مع العلم وممتزجة به كل الامتزاج فهو مفكر عالمي، يرتفع عن حدود الزمان والمكان، ولا غرابة فهو عالم وفيلسوف؛ والعلم والفلسفة الحقة لا وطن لهما، ففلسفته هي فلسفة اللغة العربية منذ القرن الخامس الهجري إلى أوائل القرن الحالي.

يرى ديوي أن كل فكر فلسفي، على اختلاف المذاهب، يرتبط بخصوصية تاريخية، والإشكالية الفلسفية تعبر عن إشكالية تاريخية. وعلى هذا النحو يجرد الإشكالية الفلسفية من خصوصيتها التي تميزها عن أشكال الفكر الأخرى، ليجعل منها صورة من التعبير الفكري عن التاريخ بأبعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبالصراعات التي تنبثق فيه.

ويذهب ديوي في شرحه لفكرته لبيان العلاقة بين الفلسفة والتربية منذ نشأة الفلسفة وإذا رضينا بفهم التربية على أنها عملية تكوين النزعات الأساسية الفكرية والعاطفية في الإنسان تلقاء الطبيعة» (جون ديوي، ١٩٤٦، الديمقراطية والتربية) ويعني ذلك أنه لا يوجد للفلسفة أية قيمة إلا إذا انتهت بنتائج عملية في التربية، ولن تجد الفلسفة سبيلاً في مهمتها إلا أن يكون لها مما يقابلها في التربية ما يدلنا على ما ينبغي فعله.

الفصل الثالث

مفاهيم تربية الطفل عند ابن سينا

- مقدمة:

١- آراء ابن سينا التربوية في مجال تربية الطفل

٢- الإبداع الفكري لابن سينا في تربية الطفل

٣- إكرام الطفل

٤- الدلالات التربوية لتنشئة الطفل عند ابن سينا

مفاهيم تربية الطفل عند ابن سينا

مُقَدِّمَة

تقوم آراء ابن سينا في تربية الطفل على أساس نظرته لبناء الإنسان، فقد تحدث بإسهاب عن الطفولة المبكرة وكل ما يتصل بها من رضاع وفطام وتربية صحية وأخلاقية وذوقية، ولابن سينا عناية فائقة بكل ما يتصل بالمرحلة الأولى من حياة الطفل من حيث النوم والاستحمام والرضاعة والرياضة.

والشيخ الرئيس عالم جليل من أعلام الإسلام الموسوعيين الذي تنوع فيهم عطاء الله، وتعددت في اهتماماته فروع المعرفة والثقافة حتى قيل إنه لم يظهر علم من العلوم أو فن من الفنون في عصره إلا وترك فيه مؤلفاً أو رسالة.

فابن سينا قد أدرك . قبل علماء النفس والتربية المحدثين – أهمية سني الطفولة الأولى في تنشئة الطفل، وفي تمتعه بأكبر قسط من الصحة النفسية والعقلية في مستقبل حياته؛ ولذلك أطال الحديث عن أحسن السبل في معاملة الطفل، وكل ما يتصل به من رضاع وفطام ونظافة، ومراعاة لأخلاق الطفل، وإبعاد كل المؤثرات الضارة عنه، التي تؤثر في نفسه وفي أخلاقه. كما اهتم بالنمو البدني والحركي للطفل، فهو ينظر إلى الإنسان كجسم وروح معاً، وبالنمو الذوقي والوجداني عند الطفل وهذا ما سعى إلى تحقيقه والعمل من أجل إنجاحه في جميع مراحل حياة الطفل الأولى، والذي لاشك فيه أن هذا الذي يتحدث عنه ابن سينا كان مطبقاً في عصره، ينفذه المعلمون والمؤدبون مع الأطفال في منازلهم وفي قصورهم.

أولاً: آراء ابن سينا التربوية في مجال تربية الطفل

تقوم آراء ابن سينا التربوية في مجال تربية الطفل على أساس نظراته للإنسان والمجتمع والمعرفة والأخلاق ، وتناول الجوانب التربوية بكافة مضامينها، وركز على الاعتماد على النفس والتربية الاستقلالية، وركز على تربية الطفل في المرحلة الأولى بشكل خاص إذ أدرك – قبل علماء النفس والتربية المحدثين – أهمية سن الطفولة الأولى في تنشئة الطفل – وفي تمتعه بأكبر قسط من الصحة النفسية والعقلية في مستقبل حياته.

وهذا يشير إلى مدى تفكيره في كسب العلم للعلم ذاته، وأنه أهمل ما دون ذلك من الأغراض، والحق أن الأغراض تختلف باختلاف الأمم والعصور والبيئات، وقد تختلف في الأمة الواحدة، كما حدث في أثينا وإسبرطة من بلاد الإغريق، فقد كانت أثينا تفكر في الحكمة والفلسفة والأدب، في حين أن إسبرطة كانت تضحي بكل شيء في سبيل بعض جوانب التربية (الجسمية والعسكرية). وابن سينا يرى أنه لا يكفي أن يقصر المربي نفسه على غرض معين ويهمل غيره من الأغراض، بل يجب أن يعنى بتربية (اليد والرأس والقلب) في الإنسان وهذا ما يعبر عنه المربون في اللغة الإنكليزية بالهاءات الثلاثة[1]. غير أن أكثر آرائه التربوية نجدها في الرسالة المسماة بـ (كتاب السياسة) وإن أبرز ما تميز به المذهب التربوي عند الشيخ الرئيس هو (محمد خير عرقسوسي، ١٩٨٢، ابن سينا والنفس الإنسانية):

١- إن التربية السيناوية لم تقتصر على مرحلة واحدة وهي دخول الطفل المدرسة بل شملت تربية الطفل منذ لحظة ولادته حتى انخراطه في الحياة الاجتماعية.

٢- إن التربية السيناوية لم تركز على جانب واحد من جوانب الشخصية الإنسانية، لتهمل الجوانب الأخرى بل اهتمت بوحدة الشخصية الإنسانية وتكاملها الفعلي والجسدي والانفعالي.

٣- إن التربية السيناوية تأثرت بتعاليم الدين الإسلامي وبخاصة القرآن الكريم والسنة النبوية كما تأثر بالفلسفة اليونانية.

٤- إن التربية السيناوية حرصت على تدعيم آرائه بمبررات نفسانية، ونشير إلى أنه [illegible] في هذا الميدان، وهذا ما يحملنا على الاعتقاد أن ذلك عائد إلى حد كبير إلى امتهانه مهنة الطب.

ثانياً: الإبداع الفكري لابن سينا في تربية الطفل

الطفولة حياة قائمة بحد ذاتها ومرحلة تمولها قوانينها ونظرياتها في التربية وعلم النفس وهي ليست مجرد فكرة زمنية يمر بها الإنسان دون أن يفهم ويدرك ويفسر ما يدور حوله من متغيرات بيئية مستخدماً حواسه وعقله في التعامل مع هذه المتغيرات.

لقد اهتم ابن سينا بدراسة وتحليل سمات مرحلة الطفولة وكانت آراؤه مبنية على أساس الملاحظة والحدس واستلهام ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لتشكل هذه الآراء نسقاً فكرياً أشبه ما يكون بنظرية جمعها بوصفها محمود قنبر: «لم تصل إلينا هذه النظرة في بنية فكرية كاملة بذاتها اصطلح عليها المربون، ويمكن نسبتها إلى مصدر واحد، أو إلى مفكر تربوي معروف، أو إلى منظر فلسفي، بشر بها وروج لها، أو إلى هيئة تربوية اشتغلت بها.. لقد جاءت إلينا في شكل معان أولية مستلهمة من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله وقد وقف أمامها نفر من العلماء المسلمين بالبحث والنظر فحولوها إلى مفاهيم متوافقة ومتآلفة تكوّن فيما بينها مبادئ النظرية التربوية

---

(١) وهي ثلاث كلمات مبدوءة بالهاء: Hand, Head, Heart

الخاصة بتربية الطفل» (محمد خير عرقسوسي، ١٩٨٢، ابن سينا والنفس الإنسانية).

والحق أن الإسهامات الفكرية العربية التي اضطلع بها المربون تناولت جميع المراحل التي يمر بها الطفل منذ نشأته وحتى بلوغه سن الرشد وذلك من خلال تنمية طاقاته المختلفة: الجسمية والعقلية والروحية، وتوفير الحاجات الأساسية لكل طفل في جميع مراحل حياته. فمن الأهمية بمكان أن يعيش الإنسان في أسرة يحمل أفرادها مشاعر المحبة والتعاون، والإسلام الذي يعتبر الأبناء زينة الحياة الدنيا يطالب في الوقت ذاته بحسن تربيتهم، ويرى ابن سينا أن مجرد حب الوالد لولده لا يوصل الأبناء إلى الأهداف المنشودة، إلا إذا كان سلوك الوالدين منسجماً مع حاجات الطفل، لأن سلوك الوالدين يعتبر أحد العوامل الرئيسة المؤثرة في حياته.

وهذا التأثير يبدأ منذ الأيام الأولى: أي قبل اكتساب الوليد الإنساني اللغة والتفاهم مع الآخرين عن طريق الألفاظ، فإطعام الوالدين الطعام ومداعبتهما له وحمله، أقدر أن تشعر الطفل بأهميته وبمدى تقبل من حوله لشخصيته. وبما أن الوالدين حريصان على إشباع حاجات الطفل فإنهما يسهمان في نمو الشعور بالأمن والطمأنينة عند ذلك الطفل.

والحق أن الوالدين يلعبان دوراً أساسياً في تنمية القدرة على استخدام الألفاظ للدلالة على الأشياء المحيطة بالطفل، فاللغة لا تكتسب إلا من خلال المحادثة مع الآخرين. «ومن هنا وجب على الوالدين الإصغاء إلى الطفل وتبادل الأحاديث معه، لأن هذا يعينه على تنمية ثروته اللغوية، ويعمل على إقامة علاقات قوية مع الأشخاص المحيطين به» (بطرس البستاني، بدون تاريخ، دائرة المعارف مجلد ١).

يشير ابن سينا إلى أن العلاقة بين الوالدين والطفل هي علاقة تأثير وتأثر، وكما أن الوالدين يسهمان في تعليم الطفل الشيء الكثير، فإنهما في الوقت ذاته يتعلمان أموراً عديدة من خلال التعامل معه وملاحظة ما يصدر عنه من أقوال وأفعال. ومن هنا فإنه يحسن بالوالدين التعرف على القدرات الحقيقية للطفل كي لا يضعا له من مستويات الطموح ما لا يتفق وقدراته. فالوالدان يعلمان الطفل الثقة بالنفس أو الشك فيها، الإقبال على الحياة أو النفور منها، ومن الممارسات التي تعطي ثماراً طيبة وتعمل على نمو شخصية الأبناء نمواً سليماً: مدح الأطفال عندما يصيبون، وتنمية حب الاستطلاع لديهم، وقضاء فترة كافية معهم، وهذا يتطلب من الوالدين التحلي بالعديد من الصفات مثل الصبر والقدرة على إدراك ما قد يواجههم، ومعرفة الحقائق المتصلة بالنمو خاصة في مرحلة الطفولة.

بذا يرى ابن سينا أن الحب والحنان والعطف بهذا الأسلوب السليم في التربية يؤدي إلى توثيق الصلة بين الآباء والأطفال والمحيط الخارجي ويتطلب ذلك بالدرجة الأولى كما يرى الشيخ الرئيس ما يلي:

ثالثاً: إكرام الطفل

١- أول مبادئ الإكرام عدم سب الطفل لأي سبب، فلا يقال له يا شقي أو يا كسول، أو يقال الله يلعنك وقد قال الرسول ﷺ: «سباب المسلم فسوق».

٢- عدم ضرب الطفل إلا لذنب كبير، وقد نهى الإسلام عن ضرب الطفل على الوجه والتربية المعاصرة أكدت عدم استخدام العنف ضد الطفل لما لذلك من خطر على شخصيته.

٣- على الأبوين أن يكونا قدوة لأبنائهما، فإذا كانا متحابين ودودين عطوفين، انتقلت هذه الصفات إلى أبنائهما.

٤- احترام مشاعر الطفل لأن هذا الأمر يخلق روح المودة والترابط بين الأسرة في جميع جوانب الحياة.

٥- أن تتولى الأم تربية أبنائها بنفسها وعدم الاعتماد على الخدم والخادمات في تربية الطفل فالتربية الصحيحة تجعل الطفل مطيعاً لوالديه محباً لأسرته واثقاً بنفسه، فتربية الخدم تجعل من الأطفال أطفالاً غير مهذبين لاختلاف العادات والتقاليد والقيم الخلقية، بين الأهل وبين الخدم.

ونشير إلى أن الإسلام قد أقر مبدأ رعاية الوالدين للأبناء، فللمرء أن يستعين بالسبل المتعددة الموصلة إلى تحقيق هذا الهدف، شريطة أن لا تتعارض هذه السبل مع مبادئ الإسلام، أو تصطدم بقواعده. كان رسول الله ﷺ يعلم الإنسان كيف يعامل طفله؟ كيف يكون ودوداً مع أطفاله ليزرع الثقة في نفوسهم ويزرع الحب والحنان والعطف في قلوب الأطفال، ليسهل على الأبناء تقبل توجيهات آبائهم وتعليماتهم لما يلقون من بذور المحبة ومن المعاملة الحسنة، وقد قال رسول الله ﷺ: «رحم الله والدين أعانا ابنهما على برهما». (الوالدان هما أول من يتفاعل معهما الطفل بصورة تكاد تكون مستمرة، فهما يقدمان للطفل نماذج حية عن الحياة الإنسانية، ولذا فإن سلوك الوالدين يعتبر أحد العوامل الرئيسة المؤثرة في حياة الطفل) (ابن سينا، بدون تاريخ، القانون في الطب). ومن الواجب على الوالدين أن يحرصا أولاً وقبل كل شيء على غرس بذور الأخلاق الفاضلة في نفس أطفالهما، وتعويدهما العادات الكريمة والخصال الحميدة والآداب الرفيعة وتجنبهما الترف الزائد والبذخ، وإبعادهما عن قرناء السوء، وفي هذا يقول الغزالي (عبد الرحمن بدوي، بدون تاريخ، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية) :

عن تربية الوالد لولده وصيانته، بأن يؤدبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم والترف، ولا يحبب إليه الزينة، وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيخسر عمره، بل ينبغي أن يراقبه من أول عمره.

ويقول علماء التربية المعاصرين: بادروا بتعليم الأطفال قبل تراكم الأشغال، وإنه وإن كان الكبير أوفر عقلاً، فإنه أشغل قلباً ويقول الشاعر:

إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً فمطلبها كهلاً عليه شديد

والتربية المعاصرة اهتمت بتعليم الطفل المهنة التي يحبها ويعشقها ويبذل جهده في تعلمها والاستفادة منها كما يرى ابن سينا (الشيخ الرئيس) إذ يقول:

«إنه ليست كل صناعة (مهنة) يرومها الصبي ممكنة له مواتية، ولكن ينبغي له أن يزاول مشاكل طبعه. ولقد روي أن يونس بن حبيب كان يتردد على الخليل بن أحمد الفراهيدي ليتعلم منه العروض والشعر، فصعب ذلك عليه، فقال له الخليل يوماً: من أي بحر قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ففطن يونس بن حبيب لقصد الخليل بن أحمد وتوجه إلى أغراض أخرى في العلم غير العروض ونظم القوافي.

رابعاً: الدلالات التربوية لتنشئة الطفل عند ابن سينا

خصص ابن سينا في الكتاب الأول من كتاب القانون في الطب فصلاً خاصاً تناول فيه الطرق الحكيمة لتربية الطفل وقد سماه «التعليم الأول في التربية»، وقسمه إلى أربعة مقالات (عبد الرحمن بدوي، بدون تاريخ، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية).

في المقال الأول تناولت بالحديث عن تدبير المولود منذ أن يولد إلى أن ينهض، في حين أنه بحث في

المقالة الثانية عن الإرضاع، وفي ذلك ألح على أن يرضع الطفل لبن أمه ما أمكن فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم، ثم تحدث ابن سينا عن موضوع الفطام وأكد على أن يكون تدريجياً، أما المقالة الثالثة فقد تناولت بعض أمراض الطفولة وضرورة الوقاية منها، وفي المقالة الرابعة تحدث ابن سينا عن تربية الطفل حتى سن البلوغ، وفيه يستعرض فصول التربية النفسية للأطفال وفق أحسن الطرق التربوية المعروفة حالياً».

وفي مجال تدبير المولود يشير ابن سينا إلى الخصائص التي يجب اتباعها في تلك المرحلة بحيث يتم تنفيذها وفق الأساليب التي تلائم وضعه الصحي باستخدام حاجاته الضرورية وفق الشروط الصحيحة الملائمة من حيث النظافة واللباس وكيفية الإمساك به ووضعه في مكان معتدل الهواء ليس ببارد ولا حار حسب حرارة الجو في الصيف والشتاء.

وفي مجال إرضاع الطفل يؤكد ابن سينا على ضرورة بذل كل المحاولات لأن يرضع الوليد من لبن أمه، لأنه تأكد بالتجربة أن تناول الطفل لحليب أمه عظيم النفع ويبعده عنه ما يؤذيه، ويشير ابن سينا إلى أنه من الأفضل إعطاء الطفل ملعقة عسل وبعد ذلك تتم رضاعته، وبذا يقول (عبد الأمير شمس الدين، بدون تاريخ، في المذهب التربوي عند ابن سينا من خلال فلسفته العملية):

«من الواجب أن يلزم الطفل شيئين نافعين أيضاً لتقوية مزاجه أحدهما التحريك اللطيف والآخر الموسيقى والتلحين الذي جرت به العادة لتنويم الأطفال وبمقدار قبوله» في حالة وجود ما يمنع من تلقي الوليد حليب والدته يبين ابن سينا إلى أن يختار له مرضعة تنطبق عليها شروط معينة، بعضها في السن وبعضها في الأخلاق وبعضها في هيئة ثديها وبعضها في كيفية لبنها وبعضها في مقدار مدة ما بينها وبين وضعها، وبعضها من جنس مولودها» (ابن سينا، بدون تاريخ، القانون في الطب). أما فيما يتعلق بشرط سن المرضعة فيشير ابن سينا إلى أن أفضل سن هو ما بين خمس وعشرين سنة وخمس وثلاثين سنة فهو سن الشباب وسن الصحة والكمال. أما شروط سحنتها وتركيبها فيجب أن تكون حسنة اللون قوية العنق واسعة الصدر متوسطة في السمن والهزال لحمانية لا شحمانية». وأما في أخلاق المرضعة فيجب أن تكون حسنة الأخلاق، بطيئة الانفعالات النفسانية الرديئة من الغضب والغم والجبن وغير ذلك فإن جميع ذلك يفسد المزاج. ذكرني ذلك قول أحد الأطباء النفسانيين أن أماً مرضعة كانت عصبية وشديدة الانفعالات النفسانية وسريعة الغضب جاء أولادها جميعاً على نفس شاكلتها من حيث العصبية والانفعال وسرعة الغضب، وأكد لي أنك إذا أردت الحديث أو الحوار مع أحد أولادها فلن تستطيع أن تبني حوارك معه أو يعبر عن حاجته إلا بعصبية وبصوت عالٍ كأنك أمام حالة من فقدان الذاكرة أو العقل حتى وإن كان الأمر لا يستدعي ذلك الموقف. وأكد أنه من خلال معالجته لم يصل إلى نتيجة للحد من هذا السلوك نتيجة العادات المكتسبة منذ الطفولة وهذا يوضح حقيقة مدى التأثير والتأثر بين الأم المرضعة ووليدها باكتساب العادات التي تتميز بها.

ويوضح ابن سينا حقيقة لا زال لها أهميتها في مسألة إرضاع الوليد أولاً، ومسألة الفطام المفاجئ وهذا ما تلح عليه المراجع الطبية الحديثة والتي تؤكد أنه لا شيء على الطفل أضر من المرضعة شديدة الانفعال النفسي والغضب والغموض والجبن (ابن سينا، بدون تاريخ، كتاب السياسة). ومن الفطام المفاجئ، وقد ذكر ابن سينا هذه الحقيقة عندما قال: إن المرضعة يجب أن تنطبق عليها شروط معينة تتعلق بالصحة النفسية والأخلاق الحميدة، ويجب أن يكون الفطام تدريجياً لا دفعة واحدة، يقول ابن سينا في كتابه القانون في الطب (أحمد شلبي،

بدون تاريخ، تاريخ التربية الإسلامية): « يجب أن يرضع الطفل ما أمكن من لبن أمه، فإنه شبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه، بهذه العبارة التي أوصى بها ابن سينا بالرضاعة الطبيعية وضرورتها نجده قد سبق الدعوات العالمية التي تدعو وتحث على الإرضاع الطبيعي للطفل وتحذر من أخطار الإرضاع الصناعي، وفي حال تعذر الرضاعة من الأم فلا مانع من اللجوء إلى مرضعة تنطبق عليها الشروط التي سبق ذكرها خاصة توفر الصحة الجسدية والخلقية عند المرضعة.

فابن سينا أدرك أهمية مرحلة الطفولة وأولاها الأهمية البالغة في جميع مراحل نمو الطفل. فهو يتعرض بالحديث عن بعض الأمراض التي يصاب بها الطفل مع ذكر علاجاتها، من ذلك تحدث عن أورام يتعرض لها الطفل عند نبات الأسنان، ويشير إلى علاج ذلك باستخدام بعض الدهون والعسل، فهو لم يدع حالة من الحالات المرضية التي قد يصاب فيها الطفل إلا وتحدث عنها ووضع العلاج لها وقد أوضح أن الإصابة الخفيفة لا تحتاج إلى علاج مطلقاً، أما في الحالات الشديدة فلابد من علاجها، وهذا الأمر هو قريب جداً لما يطبق اليوم.

ويشير الشيخ الرئيس إلى أنه قد يصاب الطفل بسوء التنفس وهو ما يسمى اليوم بمرض الربو وحدد العلاج باستعمال بزر الكتان والعسل، وفي حال إصابة الطفل بالقلاع يؤكد ابن سينا على ضرورة استخدام البنفسج المسحوق وحده في مثل هذه الحالة، ومن الممكن خلطه بالورد إضافة إلى علاجات الأمراض التي يتعرض لها الطفل، ونبّه ابن سينا على إمكانية أن يتعرض الطفل لأحلام تفزعه في نومه، ويعزوه لفساد الطعام في المعدة وحدد العلاج لذلك بإلعاقه العسل وهذا يريح الطفل.

وتناول الشيخ الرئيس مرحلة التكوين الخلقي والسلوكي للطفل، ويؤكد ضرورة مراعاة نفسية الطفل بحيث لا يصيبه غضب شديد أو خوف شديد أو غم أو سهر ويبين أن في ذلك منفعتين(ابن سينا، بدون تاريخ، كتاب السياسة): «أولاهما في نفسه بأن ينشأ من الطفولة حسن الأخلاق ويصير ذلك له ملكة لازمة، والثانية لبدنه فإنه كما أن الأخلاق الرديئة تابعة لأنواع سوء المزاج فكذلك إذا انحرفت عن العادة استتبعت سوء المزاج المناسب لها». وبذا يكون ابن سينا قد وضع منهجاً تربوياً يفي بمتطلبات المجتمع ويساعده على معالجة جميع متطلباته الحياتية الفردية أو المجتمعية، وإن النصائح والإشارات التي قدمها لتربية الطفل تجعل معلمنا (ابن سينا) من أصحاب المذاهب التربوية الجديرة بالدراسة والاهتمام في مذهب هذا الفيلسوف من الآراء والنظريات العلمية ما يجعله جديراً بأن يمد الإنسانية بمعين لا ينضب من المعرفة، وما يتفرع عنه من تربية وسياسة وإصلاح، بعد أن أمدها بمعين من الفلسفة والطب.

– ولقد أسهم ابن سينا من خلال كتابه السياسة في وضع قواعد التربية الإسلامية، وله في ذلك آراء تربوية هامة يجب الوقوف عندها وعدم إغفالها لأنها تعدّ من المكونات الأساسية لتربية الطفل. يقول في ذلك(ابن سينا، بدون تاريخ، كتاب السياسة): «ينبغي البدء بتعلم القرآن بمجرد تهيؤ الطفل للتلقين جسمياً وعقلياً، وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء ويلقن معالم الدين، ثم يروي الصبي الشعر مبتدئاً بالرجز ثم بالقصيدة، لأن رواية الرجز وحفظه أيسر إذ أن بيوته أصغر ووزنه أخف، على أن يختار من الشعر ما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل، وما حث على بر الوالدين واصطناع المعروف وإكرام الضيف. فإذا فرغ الصبي من حفظ القرآن وألمّ بأصول اللغة ينظر عند ذلك في توجيهه إلى ما يلائم طبيعته واستعداده» (عبد الأمير شمس الدين، بدون تاريخ، المذهب التربوي عند ابن سينا).

ويشير الشيخ الرئيس إلى مراعاة قدرة الطفل على التعلم وأن يكون مربي الصبي مراعياً لطبعه وما

يناسبه. فإن أراد الكتابة مثلاً أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس ومحاوراتهم وما شابهها. وما نصح به ابن سينا يتلاءم مع التربية الحديثة حيث يجب الأخذ بعين الاعتبار ميول الطفل وتوجهاته لكي يكون مبدعاً في دراسته ومترفقاً في مهنته المستقبلية ليعرج إلى وجود أحسن، وسلوك أنقى للوصول إلى الحقيقة، والحقيقة ذاتها قيمة لدى أنصارها، قيمة تتمسك التربية السيناوية بأهدابها.

أجل، قد يصح قولنا: إن للطبيعة اللاعضوية لغة، ولكن من باب لغة الغريزة لا غريزة اللغة، والغريزة كما يقال، موسومة بأنها معرفة عفوية، تلقائية، فلا تحتاج إلى تعليم، وإنما تبلغ غايتها بأفعال استمرار وتكرار، استمرار بقاء لغة الطبعية الطبيعية على ما هي عليه، وتكرارها الاجتراري عبر الحقب والثواني سواء بسواء، فليس لها تجدد، ولا نماء، بل بقاء على سنن البقاء، أو تحول بآلاء التحول، وكأنها أشبه بعضها ببعض، ذاكرة موصولة، أو طفرات متجانسة متناقضة ولكنها غير متباينة بالنوع.

وألمح ابن سينا بذلك إلى الصفات السلوكية والخلقية التي يجب أن يتصف بها معلم الصبي بحيث يتمتع بالقدوة الحسنة لمن يعلمهم فهو يقول(ابن سينا، بدون تاريخ، كتاب السياسة): «ينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلاً ذا دين، بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان، وقوراً رزيناً غير كزٍ ولا جامد، حلواً لبيباً ذا مروءةً ونظافة ونزاهة.

كما يؤكد ابن سينا على ضرورة النظر إلى أقران الصبي، إذ أنه كثيراً ما يتعلم منهم، لذلك فهو يرى أن يحاط الصبي مع من هم حسنة آدابهم، مرضية عاداتهم كما قال: «لأن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ وبه آنس». ثم يقول: «والمحادثة تفيد انشراح العقل، وتحل منعقد الفهم، لأن كل واحد من أولئك إنما يتحدث بأعذب ما رأى وأغرب ما سمع فتكون غرابة الحديث سبباً للتعجب منه وسبباً لحفظه وداعياً إلى التحدث، ثم إنهم يتوافقون ويتعارضون ويتقارضون الحقوق، كل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمحاكاة، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهممهم وتمرين لهمممهم».

أما فيما يتعلق بتنمية القدرة الكلامية عند الصبي، فإن ذلك ينبثق من طبيعة الإنسان الثقافية طبيعة الإنسان بصفة الإنسان، وإذ ذلك تتبثق غريزة اللغة، في قلب غريزة الاجتماع، وتوجب الحاجة الشاملة اللازبة الدائبة والنامية والمتجددة، الحاجة إلى اللغة والمنطق والكلام، وتشير الدكتورة وسمية عبد الحسن المنصور في توظيف المأثور القولي في تنمية لغة الطفل القول الآتي (وسمية عبد المحسن المنصور، ٢٠٠٠، تنمية المأثور القولي في تنمية لغة الطفل): «الكلام عملية معجزة معقدة تتهيأ لها أجهزة متعددة في الجسم الإنساني، وتؤثر فيه عوامل خارجية تساهم في أداء العملية الكلامية مثل الظرف الاجتماعي، وتأثير الحالة النفسية للمتكلم، بل حالة الطقس والمناخ وما يطرأ على المجتمع من تغيرات سياسية واقتصادية بتفاوت تأثيرها في آليات الكلام عند الفرد، ويكشف مسار العملية الكلامية عن العلاقة التكاملية بين النمو الفسيولوجي والنمو اللغوي... وهذه العملية تخضع لمؤثرين: داخلي وهو آلية النطق.. وخارجي يكون فيه المتكلم مكتسباً متأثراً بما يحيط به من منتج لغوي... ونقصد به مجموع العمليات العقلية من قبول ورفض وتذكر وتخيل واسترجاع».

خصص ابن سينا في القسم الأول من كتاب القانون في الطب فصلاً خاصاً عن تربية الأطفال وأمراضهم وركز على حالات صعوبة النطق والكلام، ويرى أن أسباب الخلل في الكلام قد تكون من آفة في الدماغ وفي مخرج العصب الجائي إلى اللسان المحرك، وقد يكون في الشعبة نفسها، وقد يكون في العضلة نفسها ويبين بالوصف ذلك الخلل فيقول (محمد زهير البابا، ١٩٨٤، مؤلفات ابن سينا الطبية):

«وذلك الخلل إما تشنج، وإما تمدد أو تصلب أو استرخاء أو قصر رباط أو تعقد جراحة اندملت أو ورم صلب، وقد يكون ذلك من رطوبة في الأكثر، وقد يكون من يبوسة، وقد تكون الآفة في الكلام لسبب في عضل الحنجرة إذا كان فيها تمدد أو استرخاء، فربما كان يتعذر عليه التصويت في أول الأمر إلا أنه يعنف في تحريك عضل صدره وحنجرته تعنيفاً لا تحتمله تلك العضلة، فتعصى، فإذا ييس في أول كلمة ولفظة استرسل بعد ذلك. ومثل هذا الطفل يجب ألا يستعد للكلام بنفس عظيم وتحريك للصدر عظيم بل يشرع فيه بالهوينا فإنه إذا اعتاد ذلك سهل عليه الكلام واعتاد السهولة فيه».

ومما يدل على بعد نظر ابن سينا وفهمه العميق لحاجات الطفولة وأسرارها (محمود الحاج قاسم محمد، ١٩٧٨، تاريخ طب الأطفال عند العرب) لا نجد غيره من المربين من انتبه إلى هذه النواحي مجتمعة من حيث الاهتمام بأخلاق الأطفال والربط بين تكوّن الأخلاق في مرحلة الطفولة وبين الانفعالات العنيفة والسهر والغذاء. وتقديره لأهمية مرحلة المراهقة والبلوغ ووضعه قواعد خاصة لتدبير أمور البالغين عند بلوغهم سن الرابعة عشرة، واهتمامه الكبير بالتربية الرياضية ومن ذلك (ابن سينا، بدون تاريخ، القانون في الطب):

١- تنوع الألعاب الرياضية، وتحديده للأوقات المناسبة للتدريبات الرياضية المختلفة.

٢- ربطه الاستحمام بالتدريبات الرياضية، وهذا يدل على فهمهم الدقيق لحاجات الجسم البشري وكيفية تلبيتها.

٣- ربط تدليك الجسم بالرياضة.

يلتقي ابن سينا مع علماء العصر في تقرير تعليم الطفل من السنة السادسة من العمر، ويشير إلى أهمية التوجيه المهني(محمد كامل حسن، ١٩٨٧، الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات)، أي توجيه الطفل إلى دراسة ما يناسب طبعه، وقد تناول هذه الفكرة عن ابن سينا كثير من الباحثين في التربية منهم عبد الله عبد الدايم (أمين أسعد خير الله،١٩٤٦، الطب العربي) وأحمد شلبي ومحمود عبد اللطيف.

قال عبد الله عبد الدايم: «ومن آراء ابن سينا التي تلتقي مع الآراء الحديثة اليوم قوله بمسايرة ميول الصبي إلى الصناعة أو المهنة التي تتفق مع قابلياته، ذلك أنه ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مؤاتية، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه، ولو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمزاج دون المشاكلة والملازمة، إذن ما كان أحد غفلاً من الأدب وعارياً من صناعة، وأذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف وأرفع الصناعات، وينبغي لمدير الصبي إذا رام اختيار صناعة أن يزن أولاً طبع الصبي ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك» (عبد الله عبد الدايم، بدون تاريخ، التربية عبر التاريخ).

كما تناول محمود عبد اللطيف ذلك بقوله: «إن غالبية ما يتعرض له الإنسان، ويطلب إليه الحديث عنها أو الكتابة فيها تركز على الوصف والتعبير عن الذات والخيال، وحتى هذه تبعده عن الواقع الذي يعيش فيه لأنها تتناول قضايا بعيدة كل البعد عن حياته، كما أنها لا تتناسب مع الزمن الذي يعيش فيه، وهذا يؤخر نمو الطالب في التعبير عن حاجاته وتقرير ميوله المهنية، وأن الازدواجية التي يعاني منها المتعلم بين لغة الحياة ولغة التعلم ما تزال تشكل عائقاً يحول بينه وبين الانطلاق في التعبير عن حاجاته» (محمود عبد اللطيف، ٢٠٠٠، التعبير وطرائق تدريسه).

والحق أن ابن سينا تناول في كتابه (آراء في السياسة) أفكاراً تربوية هامة تحدث عنها كثير من المربين الأجانب وترجمها بعض الأساتذة العرب، وتم نشرها على أنها من مبادئ التربية الحديثة التي تعبر عن إحاطة وشمول بتربية الإنسان منذ أن يكون جنيناً في بطن أمه إلى أن يولد وينمو ويمر في مراحل العمر المختلفة.

الوالدان هما أول من يتفاعل معهما الطفل بصورة تكاد تكون مستمرة، فهما يقدمان للطفل نماذج حية عن الحياة الإنسانية، ولذا فإن سلوك الوالدين يعتبر أحد العوامل الرئيسة المؤثرة في حياة الطفل، وهذا التأثير يبدأ منذ الأيام الأولى: ويرى ابن سينا أن ذلك يتحقق قبل اكتساب الوليد الإنساني اللغة والتفاهم مع الآخرين عن طريق الألفاظ وأن الوالدين يلعبان دوراً أساسياً في تنمية القدرة على استخدام الألفاظ للدلالة على الأشياء المحيطة بالطفل.

لاشك أن تربية الطفل والعناية به صحياً ونفسياً كانت من المواضيع التي اهتم بها العلماء والمربون العرب المسلمون الأوائل، ولعل ابن سينا هو أحد أولئك الذين أفاضوا في الحديث عن العناية بالطفل في مراحل نموه المختلفة بدءاً بالحياة الجنينية وحتى بلوغه سن الرشد، وهذا ما بدا واضحاً وجلياً سيما في كتابه القانون في الطب، وقد حظيت آراؤه في هذا المجال بعناية خاصة لدى الكثير من علماء الشرق والغرب ولقرون عدة.

مراجع الفصل الثامن باللغة الأجنبية

1 – w – manteomarg. Matt./ sanic philasofy، and Theolo Gy Edinbu RRGH، The university 1962، p. 96.

2 – The works of Aristatle Transiated into English under the editorship of sir david ross. Okford 19.8 – 1930.

3 – Roves، r. dictionary of philosophg – new – york 1942.

4 – Rosenthal. F. ahmed B. Al – taggibassaroksi – Newharar 1943.

5- Conant: the education of the American tea chars.p،120.

الفصل الرابع

التربية الخلقية عند ابن سينا

- مقدمة

١- مكونات التربية الخلقية

٢- محددات التربية الخلقية

٣- الحرية والأخلاق

٤- العلاقة بين الفلسفة التربوية والأخلاق

التربية الخلقية عند ابن سينا

مُقدمة

تناول ابن سينا التربية الأخلاقية عند الإنسان من مولده حتى خروجه إلى ميدان العمل والكسب، فأشار إلى أهم ما يؤخذ به الناشئ من أنواع التربية الجسمية والخلقية والعقلية، كما أشار إلى تأثره بفلسفة اليونان والرومان ومذاهبهم في الأخلاق والنفس.

فما عرف في عصره واشتهر نجده يتفق في طائفة من فلسفته الأخلاقية وأشهر فلاسفتهم أرسطو، وشيشرون، وكونتليان، كما نجد الفارابي يتأثر بفلسفة أفلاطون أكثر. صحيح أن الفلاسفة اليونانيين سقراط وأفلاطون وأرسطو تحدثوا عن الأخلاق، إلا أن أياً منهم لم يقدم معايير وأساليب عملية «العمل الأخلاقي»، وما جمهورية أفلاطون الطوبائية إلا خير دليل على ذلك، ونستطيع القول: إن الفكر الفلسفي الأخلاقي لم يقدم نظاماً أخلاقياً عملياً لاحتواء المشكلة الأخلاقية، وقد عنيت التربية الإسلامية بالأخلاق الإنسانية على نحو يختلف كثيراً عن أعلام الفلسفة في الغرب أو الشرق قديماً وحديثاً.

«وبقيت الإنسانية تعاني أزمة الأخلاق في حين أن الإسلام قدم إطاراً فكرياً وعملياً للأخلاق «هدىً ورحمةً، لكي لا تضل الإنسانية عن الغاية من وجودها» (الفكر التربوي العربي الإسلامي، ١٩٨٧، الأصول والمبادئ).

الواقع أن ابن سينا قدم آراء ونظريات أخلاقية تمثل ذروة الإبداع العقلي وهذا يشير إلى مدى عنايته بالأخلاق، موضحاً أن الفلسفة ليست علماً جزئياً تتناول جانباً واحداً من جوانب القيم الأخلاقية، بل هي كل متكامل لتحصيل الفضائل النظرية أولاً ثم الفضائل العملية ببصيرة يقينية.

والحق أن دور المربين من آباء وأمهات يحتم عليهم التفكير دائماً في تربية أطفالهم تربية خلقية من الطفولة المبكرة، فالشيخ الرئيس يرى أن يبدأ بتأديب الطفل ورياضة أخلاقه بعد فطامه، وذلك قبل أن تهجم مساوئ الأخلاق، وذميم الصفات إذ تصبح المادة راسخة عنده، وهو في هذا يتفق مع الكثيرين من فلاسفة التربية القديمة والحديثة، حتى قالت طائفة: إن الطفل يولد صفحة بيضاء، ينقش فيها كل ما يقع عليها.

أولاً: مكونات التربية الخلقية عند ابن سينا

يرى ابن سينا أن للتربية الأخلاقية شروطاً ينبغي توافرها وهي « محبة الصدق والعدل، والعفة، والقناعة والسخاء، والشجاعة والصبر، والحلم، وكتمان السر، والعلم، والبيان، والفطنة، والرحمة، والحزم، والتواضع، والخير، وتصفية النفس من شوائب المادة وشواغل الحسن، وأن يكون الفرد جيد الفهم والتصور، محباً للصدق وأهله، والعدل وأهله.

ويرى أن خير الوسائل لإبعاد الطفل عن مساوئ الأخلاق «إنما يكون بالترغيب تارة، والترهيب أخرى، وبالإيناس حيناً، والإيماء جنباً آخر، وبالإعراض عنه، والإقبال عليه وبالحمد والتوبيخ، فإن لم تجدِ هذه الوسائل لم يحجم عن الاستعانة باليد، بالضرب القليل الموجع بعد الإرهاب الشديد، وبعد إعداد الشفعاء، لأن الضربة الأولى إذا كانت موجعة ظهر الصبي مما بعدها، واشتد خوفه عنها، والعكس.

إن الإنسان عند ابن سينا مولود على الفطرة، ليس شريراً بطبعه، أو خيراً بطبعه، وإنما يستمد أخلاقه وقيمه من المجتمع والبيئة بكل مؤثراتها، وهو أولاً وأخيراً يستطيع أن يغير من عاداته وأخلاقه عن طريق «التعود» أو «عملية التطبيع الاجتماعي» بكل وسائلها وأساليبها المختلفة.

بميل ابن سينا إلى أن الإنسان يولد على الفطرة ويكتسب صفاته النفسية والخلقية من المجتمع بمؤثراته الثقافية المختلفة، وأنه ليس خيراً بطبعه أو شريراً بطبعه وإن كانت نظرته أقرب إلى ا[illegible] الإنسان يتغير ويتشكل وفق مؤثرات البيئة ونظمها التربوية، وإذا تعود الشر أصبح شريرا وإدا تعود الخير اصبح خيراً وفي ذلك يقول الشيخ الرئيس: «فإذا فطم الصبي عن الرضاع بدئ بتأديبه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة وتفاجئه الشيم الذميمة، فإن الصبي تتبادر إليه مساوئ الأخلاق وتنثال عليه العادات الخبيثة فما تكن منه من ذلك غلب عليه فلم يستطع له مفارقة ولاعنه نزوعاً» (ابن سينا، ١٩٠٦، كتاب السياسة).

ويؤكد ذلك في موضع آخر فيقول: «والأخلاق كلها الجميل والقبيح هي مكتسبة ويمكن للإنسان الذي لم يكن له خلق حاصل أن يحصله لنفسه ومتى صادفت أيضاً نفسه على خلق حاصل جاز أن ينتقل بإرادته عن ذلك إلى ضد ذلك الخلق» (ابن سينا ١٣٢٨هـ، علم الأخلاق).

الواقع أن دور المربين من أباء وأمهات يحتم عليهم التفكير دائماً في تربية أطفالهم تربية خلقية من الطفولة المبكرة، كلما سنحت الفرصة كي يكونوا المثل الأعلى للأخلاق في المستقبل فالأمم لا ترقى بالمال والحصون ولكنها ترقى بالعلم والأخلاق، وقد قال الرسول الكريم ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

فالإنسان عند ابن سينا عبارة عن بدن ونفس تحرك هذا البدن، والإنسان إنسان ببدنه ونفسه معاً، أو بالمادة والصورة في نفس الوقت، وأن الجسم والنفس متصلان اتصالاً وثيقاً ومتعاونان دون انقطاع «فلولا النفس ما كان الجسم ما لأنها مصدر حياته والمديرة لأمره والمنظمة لقواه، ولولا الجسم ما كانت النفس، فإن تهيؤه لقبولها شرط لوجودها وتخصصه بها مبدأ وحدتها واستقلالها. ولا يمكن أن توجد نفس إلا إن وجدت المادة الجسمية المعدة لها – فهي منذ نشأتها تواقة إلى الجسم ومتعلقة به ومخلوقة لأجله وفي أدائها لمهامها الكثيرة وتعول عليه» (إبراهيم مدكور، ١٣٦٧هـ في الفلسفة الإسلامية، منهج وتطبيق.) وهي لا تفارق البدن إلا بالموت.

بذا يكون ابن سينا طبيب الجسم وفيلسوف النفس، قد عالج موضوع النفس في مؤلفاته بقدر ما عالج فيها موضوع الجسم، ولقد خصص للنفس أهم الفصول في مؤلفاته الفلسفية، كما وأنه خصص لها وسائل كاملة وقصصاً رمزية ولا غرابة في ذلك لأنه ماذا يعني المفكر أكثر من أن يفهم ذاته ونفسه ومصيره؟ ولما أيقن ابن سينا أن الإنسان جسم ونفس، اهتم بُكلا العنصرين حتى يكون متصفاً نحوهما، وكان اهتمامه منصباً على معالجة المشكلة الأخلاقية عنه، فهو يقول: «إن كل إنسان مفطور على قوة بها يفعل الأفعال الجميلة وتلك القوة بعينها تفعل الأفعال القبيحة، والأخلاق كلها الجميل منها والقبيح هي مكتسبة، ويمكن للإنسان متى لم يكن له خلق حاصل جاز أن ينتقل بإرادته إلى ضد ذلك الخلق، والذي يحصل به الإنسان نفسه الخلق ويكتسب به متى لم يكن له خلق أو ينقل نفسه عن خلق صادف نفسه عليه هو العادة، وأعني بالعادة تكرير فعل الشيء الواحد مراراً كثيراً أزماناً طويلة في أوقات متقاربة» (ابن

سينا، ١٣٢٨هـ، علم الأخلاق).

ومما سبق نرى أن الأخلاق الفاضلة أو الشريرة أمور مكتسبة، وفي استطاعة الإنسان أن يغير من أخلاقه حسبما أراد، والمرجع في ذلك كله إلى العقل، ومتى عرف الإنسان كيف يطيع أوامر العقل أمكنه أن يكون مؤدباً أو فاضلاً، والعقل هو الذي يحدد السلوك الفاضل، والمعيار الذي يحدد به العقل ذلك هو: «المتوسطات من ناحية والعدالة من ناحية أخرى»(تيسير شيخ الأرض، ١٩٦٢، ابن سينا).

فابن سينا يرى أن الفضائل مكتسبة للإنسان، وهو لا يستطيع أن ينتقل من خلق إلى خلق أو يكتسب من الفضائل ما لم يكن له.

ويرى (كانط) الفيلسوف الألماني أن هناك علاقة كبيرة بين الأخلاق والإرادة، فإذا حسنت الإرادة حسنت الأخلاق، وإذا ساءت الإرادة ساءت الأخلاق، وبذلك لا يفكر (كانط) في أثر الشرور والعاطفة والإحساس والفكر في الأخلاق»[١].

والحق أن التربية تعالج كائناً، يتمتع بالعنصر الروحي والإرادة الحرة، ومع أن أي إنسان قابل لأن يتغير – ولاسيما الطفل – فإن من الصحيح أن عنصر المرونة في الإنسان ليس مكتملاً، ومن ثم فإن المربي يظل فيما يشبه حالة (النزال) مع من يربيه.

فالمربي لا ينفرد بالتأثير والتوجيه، فالجهات التي تتولى تنمية الكائن البشري عديدة، وليس لدينا إجماع اجتماعي على جوهر ما ينبغي أن يقال للطفل، وهذا كله يولّد نوعاً من الشك في صدق ما يلقّن إياه ومدى فائدته له.

إن لكل مرحلة عُمْرِيَّةٍ درجة من النضج، يصعب تجاوزها، كما أن لها مشكلات لا يمكن حلّها إلا على نحو جزئي، ولذا فإن (العجلة) هي العدو الأول للتربية، إن الآباء والمعلمين يميلون إلى أن ينفضوا أيديهم من مسؤوليات التربية، ويلقوا أعباءها عن كواهلهم، ولذا فإن الشكوى من بطء الاستجابة، وضعف تأثير التربية تظل مستمرة. إلا أن شعور المربي أن هناك تقدماً ما على صعيد الجانب الذي يهتم بتنميته في شخصية من يربيه.

والحق أن ابن سينا يرى أن التربية الصحيحة والموضوعية للإنسان تبدأ قبل التحاق الطفل بدور الحضانة ورياض الأطفال، وأصبح لزاماً علينا العناية بتعليم الطفل وتأديبه وتقويمه وتهذيبه، وأن نفكر دائماً في تربية أطفالنا تربية حسنة مبنية على السلوك الحسن والقيم العليا الخلاقة حتى يكونوا المثل الأعلى في جميع جوانب الحياة، ويقول فرويل في كتابه تربية الإنسان: إن الغرض من التربية إيجاد حياة طاهرة مقدسة يملؤها الإخلاص والطهارة.

فالطفولة حياة قائمة بحد ذاتها ومرحلة تمولها قوانينها ونظرياتها في التربية وعلم النفس وهي ليست مجرد فترة زمنية يمر بها الإنسان دون أن يفهم ويدرك ويفسر ما يدور حوله من متغيرات بيئية مستخدماً حواسه وعقله في التعامل مع هذه المتغيرات.

لقد اهتم المفكرون العرب المسلمون الأوائل بدراسة وتحليل سمات مرحلة الطفولة، وكانت آراؤهم مبنية على أساس الملاحظة والحدس واستلهام ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية تحولت إلى مفاهيم متوافقة ومتآلفة تكون فيما بينها مبادئ النظرية التربوية الأخلاقية بتربية الطفل.

ثانياً: محددات التربية الأخلاقية عند ابن سينا

(١) كانط: فيلسوف ألماني ويعدّ من أعظم الفلاسفة المحدثين ولد سنة ١٧٢٤م وتوفي سنة ١٨٠٤م ويقال: إنه من أصل اسكتلندني.

١ – نظرته إلى الأخلاق:

أجمع الباحثون أن لنظرية الفيلسوف الأخلاقية علاقة وثيقة بفكره التربوي. وأن التربية بمجملها تهدف إلى تكوين شخصية تؤمن بمثل وأخلاقيات معينة، وهذا يدفعنا إلى البحث عن الجانب المعرفي عند ابن سينا عن الأخلاق، وما معنى الخلق عنده؟ وما هي الفضائل التي يريد أن يكتسبها الفرد أو المتعلم؟ وما هي الرذائل التي يسعى إلى إبعاد الفرد عنها؟ وكيف تتحقق تلك التربية الأخلاقية في نظره.

الحقيقة أن المعرفة شرط ضروري ومسبق لاختيار العمل الأخلاقي، فقد وحّد سقراط بين المعرفة والفضيلة، وبيّن أن الفضيلة لا تكون عن جهلٍ، ففي غياب المعرفة تنتفي حرية الاختيار، ويفقد العمل مضمونه الأخلاقي (عادل العوا، ١٩٨٧، الفكر التربوي العربي الإسلامي).، وعلى الإنسان أن يعي مضمون العمل الأخلاقي، وهي أفعال تخضع في قيامها لعامل التميز الذهني عند الإنسان كما يراها ابن سينا فنحن لا ننال السعادة بالأفعال الجميلة، ما لم تكن تلك الأفعال قاصدة هادفة من جهة، ومتحققة بصناعة معينة من جهة أخرى، بحيث يستطيع الإنسان امتلاك القدرة على التمييز في أفعاله طوال حياته بأسرها.

إذا رجعنا إلى كتابات ابن سينا في هذا المجال فسوف تبرز لنا نظرته الخاصة به في الخير والشر، وتعاريفه الدقيقة لكل خلق من الأخلاق المقبولة أو المرذولة، وطريق تكوين العادة أو الطبع أو الخلق. وهو في ذلك كله متأثر بالثقافات الأجنبية بجوار الأثر الإسلامي الأصيل(محمد يوسف موسى، ١٩٥٠، مقال في الأخلاق).

ويشير الفارابي إلى أن إتباع الفعل الجميل يكون ملكَة لدى الإنسان لايمكن زوالها باعتبار أن «الخلق الجميل وقوة الذهن هما الفضيلة الإنسانية» وفي سبيل تحقيق هذه الغاية التي قصدها أبو نصر الفارابي ينبغي أن نسلك طريقين لنقف منها على مقاصد أبي نصر بالذات(محمود عبد اللطيف، ٢٠٠٧، الفكر التربوي عند الفارابي).

الأول: محاولة أن تصير الأخلاق الجميلة ملكة لنا، بحيث لا يمكن للصواب أن يزول إلا بعسرٍ ومشقةٍ.

الثاني: أن تكون لدينا القدرة على إدراك الصواب إدراكاً سليماً لا عوج فيه ولا ضلال.

الواقع أن الفارابي يشير إلى أن الوسط الأخلاقي يختلف قوة وضعفاً، سلباً وإيجاباً حسب أفعاله وغاياتها، وبذلك تبرز أهمية التعليم بالنسبة للإنسان فقد اتفق كبار المربين القدماء، على أن التعليم الذي لا يؤدي إلى الكمال لا يستحق أن يسمى تعليماً، لأن الغرض من التعليم تهذيب الأخلاق، مع العناية بالصحة والتربية البدنية، والعقلية والوجدانية، والعلمية، وإعداد الطفل للحياة الاجتماعية.

٢– معنى الخلق عند ابن سينا:

يرى ابن سينا أن الخلق لا يعني السلوك الفاضل فقط، ولكن تعوده والإتيان به في كل مناسبة من المناسبات، ولا يستطيع الإنسان أن يأتي بعكسه أو ضده، فالخلق في نظر ابن سينا عبارة عن ملكة يصدر بها عن النفس أفعال ما بسهولة من غير تقدم روية»(ابن سينا، ١٩٥٢، رسالة العروس).

ونحن غير قادرين على إطلاق صفة الصدق على إنسان إلا إذا كانت عادته أن يصدق في أقواله، وهكذا سائر الأقوال حول الأخلاق الفاضلة، كما أننا لا نطلق صفة الكذب على إنسان إلا إذا كانت عادته أن يكذب في أقواله، وهكذا سائر الأخلاق المرذولة.

فالتربية الأسرية لها دور بارزومهم في تربية الطفل وتأديبه وتقويمه وتهذيبه وتعويده السلوك الفاضل،

والابتعاد عن كل ما من شأنه أن يسيئ للسلوك الحسن والقيم العليا الخلاقه حتى يكون المثل الأعلى في جميع جوانب الحياة.هذا ما أكده «فروبل» في كتابه تربية الإنسان قائلاً: «إن الغرض من التربية إيجاد حياة طاهرة ومقدسة يملؤها الإخلاص والطهارة وإتباع الفعل الجميل» ويرى (هربرت سبنر) أن الغرض من التربية يمكن أن يلخص في فكرةٍ واحدة وهي كلمة (الفضيلة).

وكما صرح (بستالوتزي) قائلاً: أن الطفل الذي تعلم الصلاة والتفكير والعمل هو أكثر من نصف متعلم، وأنه لم يكن غرضه من تعليم الطفل أن يعلمه من العلم ما لم يعمل الآداب والأخلاق وحسن المعاملة».

فالتربية تهدف إلى إشاعة الاستمساك بالحق، ودفع الباطل، وعلينا أن نربي أطفالنا على قبول الحق، وإبداء الحماسة له والانفعال به، ويعد ذلك الخطوة الأولى على تحقيقه، إن القبول بالحق والحقيقة شأن من شؤون النفوس الكبيرة التي ترفعت عن الأهواء والافتتان بالمنافع العاجلة، وهو ضالة من يهتم بمصيره الأكبر، وبمصير المجتمعات التي يعيش فيها، وتتطلب التربية تعويد الطفل على تحمل المسؤولية عن الأعمال التي يقوم بها – أياً كان ذلك العمل – وهذا نوع من الاستمساك بالحق وإحقاقه، وهذا الخلق كما يرى ابن سينا سينمو لدى الطفل حين يسمع الثناء على ما قام به من عمل الخير، وحين ينبّه بلطف على ما كان من خطأ.

الواقع أن تحقيق النجاح في تربية الطفل خلقياً يجب أن نعرف طبيعة الطفل ونفسيته، وغرائزه وميوله، حتى يكون المثل الأعلى للأخلاق، ويشير الفارابي إلى أنه ينبغي أن تبدأ التربية الخلقية في المنزل أولاً، وفي المدرسة ثانياً، لكي تبنى المدرسة على أساس متين من الأخلاق.

إن اكتشاف روسو الهام في ميداني علم النفس وعلم التربية هو وجود (طبيعة خاص بالطفولة) وأن هذه الطبيعة أو هذه المرحلة الطبيعية هي مرحلة ضرورية ووظيفته ولهذا نراه يدعو بإلحاح إلى معوقة الطفولة بقوله:

– تعلموا كيف تتعرفون إلى أولادكم لأنكم يقيناً تجهلونهم كل الجهل.
– الطفولة لها وظيفتها في النمو.
– دعوا الطفولة تنضج في الأطفال.... دعوا الطبيعة تعمل وحدها زمناً طويلاً قبل أن تتدخلوا بالعمل مكانها خشية عرقلة عملها».
– احترموا الطفولة ولا تتسرعوا أبداً بالحكم عليها خيراً كان أو شراً».

ويرى ابن سينا أن الأخلاق موضوع فلسفي عالجه الفلاسفة في مختلف العصور، وقد وضعوا نظريات ومذاهب أخلاقية تمثل ذروة الإبداع، العقلي، وهذا يحتم علينا ضرورة الكشف عن الاتجاهات التربوية التي برزت عند هؤلاء الفلاسفة، ولاسيما أن المربي نفسه يعمل في نشاط خلقي وتحدد طبيعة اختباراته الخبرة التي يقدمها في إطار الاهتمام بالأخلاق الفاضلة للوصول إلى حياة أفضل.

٣– الأخلاق الفاضلة عند ابن سينا:

تتجسد تربية الناشئين بصون فطرتهم الطاهرة عن التدنس وارتكاب الأخطاء وغرس معاني الإيمان في قلوبهم بشتى المناسبات، ولفت نظرهم إلى كل ظاهرة من ظواهر الكون الدالة على القيم الحميدة والأخلاق الفاضلة، وتربية الناشئ خلقياً حتى يكون المثل الأعلى للأخلاق في المنزل والمدرسة حتى يعرف معنى الواجب ويقدر حقوقه الإنسانية.

إن غاية التربية تكوين شعب مثقف كريم الأخلاق ومذهب، لأن التربية هي التي تسهم في بلوغ الإنسان الكمال، وترسم خطى الإنسان في بلوغه الكمال الأخلاقي في جميع جوانب الحياة، والدافع أن سبيل الوصول

إلى حياة أفضل لن يكون إلا عبر التربية ومقوماتها.

السؤال الكبير الذي يطرح نفسه، ما هي الأخلاق الفاضلة، التي يريد ابن سينا أن يكتسبها الإنسان وتكون له ملكة يصدر عنها في أقواله وأفعاله؟ ما هي صورة الإنسان في نظرة من الناحية الأخلاقية؟ وما المزايا الأخلاقية التي يجب أن يكون عليها؟ في هذا السياق يذكر ابن سينا تلك الأخلاق الفاضلة ممثلة في (ابن سينا، ١٣٢٨هـ، علم الأخلاق):

١- **العفة:** وبها يكون المرء معتدلاً في شهوات البدن من مأكل ومشرب، ولا ينقاد إلى تلك الشهوات بل يتصرف فيها بحسب الرأي الصحيح.

٢- **القناعة:** وهي أن يضبط نفسه عن الاشتغال بما يزيد عن كفايته وحاجته من المعاش والأقوات القيمة للأبدان ولا يتطلع إلى ما عند غيره من ذلك.

٣- **السخاء:** أن يبذل ما عنده من أموال في أوجه الحاجة للآخرين، وحسن المواساة بما يجوز أن يواسي به منها.

٤- **الشجاعة:** هي الإقدام على ما يجب من الأمور التي تحتاج إلى أن يعرض الإنسان نفسه لها متحملاً في سبيل ذلك المكاره مستهيناً بالآلام الواصلة إليه منها.

٥- **الصبر:** هو أن يلزم نفسه احتمال ألم أو مكروه نزل به ويلزمه في حكم العقل احتماله، أو أن يتوقف الإنسان عن محبوب لنفسه مشتهى ويلزمه في حكم العقل اجتنابه حتى لا يتناوله على غير وجهة.

٦- **كتمان السر:** أن يضبط الإنسان قوة الكلام عنده فلا يظهر ما في ضميره مما يضر إظهاره وإبداؤه قبل وقته.

٧- **الصدق:** هو أن يطابق ما يقوله لما في ضميره.

٨- **الرحمة:** هي الرقة على من يحل به مكروه.

٩- **الحزم:** أن يتصرف التصرف السليم البعيد عن الضرر بدون تردد.

١٠- **الحياء:** هو أن يرتدع عن الأمور التي يقبح تعاطيها والإقدام عليها لما ينتج من قبح الأحدوثة.

١١- **إصابة الرأي:** أن تجري ملاحظته لعواقب الأمور الغضب فيمن يجنى عليه جناية يصل مكروهها إليه.

١٢- **الحلم:** هو الإمساك عن المبادرة إلى قضاء الغضب فيمن يجنى عليه جناية يصل مكروهها إليه.

١٣- **العلم:** هو أن يدرك الأشياء التي من شأن العقل الإنساني أن يدركها إدراكاً لا يلحقه فيها خطأ ولا زلل، فإن كل ذلك بالحجج اليقينية والبراهين الحقيقية يسمى حكمة.

١٤- **البيان:** هو أن يحسن نقل ما يعنى إلى ضمير مخاطبه.

١٥- **حسن العهد والمحافظة:** هو أن يحافظ على الصلات والعلاقات بينه وبين أهله وأصدقائه.

١٦- **عظم الهمة:** وهو أن لا يقتصر على بلوغ غاية من الأمور التي يزداد بها الإنسان فضيلة وشرفاً حتى يسمو بنفسه إلى ما وراءها مما هو أعظم فوراً وأجل خطراً.

١٧- **إصابة الرأي:** أن تجري ملاحظته لعواقب الأمور التي يفكر فيها حتى تظهر له جهة الصواب.

١٨- **الفطنة وجودة الحدس:** هو أن يسرع هجومه على حقائق معاني ما تورده الحواس عليه.

١٩- **التواضع:** هو أن يمنع من التكبر على الناس بفضيلة في نفسه جسمانية أو نفسانية متذكراً ما طبع

عليه الإنسان من ضعف ونقص» (ابن سينا ١٣٢٨هـ علم الأخلاق، الرسالة السادسة).

إن هدف الأخلاق وضبط السلوك يعد من أهم الأهداف التي تسعى التربية العربية الإسلامية إلى تحقيقها في تنشئة الطفل وهو محور النشاط التربوي وقد ظهرت أهمية هذا الهدف واضحة من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من آيات وأحاديث تحث المسلم على التحلي بالخلق الكريم وقد خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم في قوله تعالى: ﴿**وإنَّك لعلى خُلقٍ عظيم**» وذهب المفكرون المسلمون أمثال الإمام الغزالي إلى ربط العلم بالعمل والسلوك الديني بالسلوك الأخلاقي، فالتربية بالنسبة له هي «إخراج الأخلاق السيئة وغرس الأخلاق الحسنة» في نفس المتعلم، والتربية الصحيحة ما هي إلا عملية بناء للقيم بذلك فهي تشجيع الناشئة على الخلق النبيل وأن يكون اللوم والتوبيخ والعقاب برفق معهم، وهي عملية توجيه لا تأنيب وعقاب وعنف لذلك نجد أن الغزالي كان ضد الإسراع في معاقبة التلاميذ بل إنه كان يحبذ التعرف على الدوافع الكامنة وراء السلوك الشاذ والسعي إلى تغيرها وتعديلها فالطفل لا يولد شاذاً ولا منحرفاً وإنما هناك ظروف تدفعه إلى مثل هذا السلوك غير السوي.

إن هذه الفضائل يجب أن يتحلى بها إنسان ابن سينا حتى يصبح إنساناً فاضلاً في نظره، وعليه أن يتعود تلك الفضائل حتى تصير أخلاقاً، له وعادات سلوكية يصدر عنها في كل تصرفاته.

إن طبيعة الإنسان الحقيقية طبيعة ملكية وعلينا أن نربيه حقاً من أجل هذا السمو. وهذا ما عبر عنه ابن سينا في كتابه السياسة قائلاً: «وينبغي للإنسان أن يعدّ لنفسه ثواباً وعقاباً ويسوسها به، فإذا أحسنت طاعتها وساس انقيادها لما يسوقها من قبول الفضائل وترك الرذائل، وإذ أنت بخلق كريم أو منقبة شريفة أثابها بإكثار حمدها وجلب السرور لها، وتمكينها من بعض لذاتها وإذا ساءت طاعتها وامتنع انقيادها، وجمحت فلم يسلس عنانها وأثرت الرذائل على الفضائل وأتت بخلق لئيم أو فعل ذميم عاقبها بإكثار ذمّها ولومها وجلب عليها شدة الندامة ومنعها لذتها حتى تليق له»(ربطوريتا، ١٩٥٠، ابن سينا لمن تكون له المدحة).

وعكس هذه الأخلاق الفاضلة تكون الأخلاق المرذولة التي يريد ابن سينا أن يبتعد عنها الإنسان، وأن يتخلص منها، لأن الرذيلة في الأصل هي سيطرة قوة الشهوة أو الغضب على قوة العقل، وهذا يؤدي إلى الانحراف والابتعاد عن الفضيلة، ولما كان الإنسان في كثير من الأحيان لا يستطيع اكتشاف رذائله أو الرذائل المحيطة به من الحسد، والحقد، وسرعة الانتقام، والبذاءة والشتيمة، والغيبة والنميمة، والكذب، وإذاعة السر، والجهل الذي هو من أعظم الرذائل والنقائص المضادة للعلم الذي هو الفضيلة العظمى من فضائل القوة التميزية والقدر والخيانة والقساوة التي هي بإزاء الرحمة، يقتضي ذلك وجود صديق حكيم للإنسان يبصره بذلك. يقول ابن سينا: «ولما كانت معرفة الإنسان نفسه غير موثوق بها لما في طباع الإنسان من الغباوة عن مساويه وكثرة مسامحته نفسه عند محاسبتها ولأن عقله غير سالم من ممازجة الهوى إياه عند نظره في أحوال نفسه كان غير مستفيد في البحث عن أحواله والفحص عن مساويه ومحاسنه عن معونة الأخ اللبيب الوارد الذي يكون منه بمنزلة المرأة فيريه حسن أحواله حسناً وسيئها سيئاً» (لويس معلوف، ١٩٠٦، كتاب السياسة لابن سينا).

وللشريعة الإسلامية جانب تربوي أخلاقي يتجلى في الأمر والنهي، والتحريم، والتحليل، والإباحة والخطر، والحدود، والعقوبات، والقصاص، والإرشاد إلى أساليب عملية معينة «عن طريق الترغيب والترهيب، أو أخذ العبرة من التاريخ أو الحض على التقوى ومخافة الله، ولذلك نجد كثيراً من الأحكام يعللها القرآن تارة بـ ﴿**لعلكم تتقون**﴾ [سورة البقرة:الآية ٢١]، وتارة بالتطهير والتزكية ﴿**خُذْ مِنْ أموالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتزكِّيهِمْ بها**﴾ [سورة التوبة: الآية١٠٣]. وهذا يشير إلى أن تعاليم الشريعة الإسلامية عندما تتمكن من نفس الفرد ومشاعره تصبح

بمثابة ضابط خلقي، يحاكم المرء نفسه إليه، عندما يقف أمام أمور مشتبهات، والضابط الخلقي هنا غير الوازع التربوي الديني، فالوازع يبعدك عن موضوع المحرمات بالكليّة.

والسؤال الذي يطرح نفسه؟ متى يصبح الإنسان فاضلاً؟ ومتى يتعود الخلق الفاضل؟ في هذا الجانب نرى غلبة النزعة الأفلاطونية على الفكر السينوي إذ يبدو لنا أخذه بنظرية القوى الثلاث للنفسه».(ابن مسكويه، ١٩٥٩، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) القوة الناطقة، والقوة الغضبية، والقوة الشهوية.

فالقوة الناطقة: تتجلى فيها الفكر والتمييز والنظر في حقائق الأمور.

أما القوة الغضبية: فيكون بها الغضب والنجدة والإقدام على الأهوال والشوق إلى التسلط والترفع وضروب الكرامات.

والقوة الشهوية: ففيها تكون الشهوة وطلب الغذاء والشوق إلى الملاذ التي في المآكل والمشارب وغير ذلك.

هذه القوى الثلاث متباينة إذا قوي بعضها أضر بالآخر، وربما تبطلها، «والإنسان الفاضل هو الذي تتغلب قوته النظرية على قوتيه الغضبية والشهوية وتتحكم فيها نشتهي ولا يشتهي، وفيما يغضب ولا يغضب، ومع تعود القوة الغضبية والشهوية أن تنقاد لأحكام العقل يصبح الإنسان فاضلاً، أما إذا تغلبت قوى البدن الشهوية والغضبية على القوة الناطقة أذعن العقل لمطالب البدن ولم يعد إنساناً فاضلاً، فالإنسان الفاضل هو الذي تذعن قواه الشهوية والغضبية لقواه الناطقة، أو هو الإنسان الذي تستعلي قواه الناطقة على قواه الحيوانية الشهوية والغضبية»(ابن سينا، ١٣٢٨هـ، علم الأخلاق).

يجب على المربي أن يذكّر الناشئ بنظرية القوى الثلاث للنفس، ويبين له معانيها وكيف يبني العلاقة الاجتماعية لكل منها، وعليه أن يحذره من جليس السوء، وأن يختار له مجالس الصالحين، والرفقة المؤمنة، والأتراب الذين ربوا تربية صالحة، وأن يحذره مما يدنّس النفس، أو يضيع وقته في غير ما هو طاعة أو فائدة علمية أو كسب دنيوي حلال، عملاً بقوله تعالى: ﴿**لا خيرَ في كثيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إلاّ مَنْ أمَرَ بصَدَقَةٍ أَوْ مَعْروفٍ أَو إصْلاَحٍ بيْنَ النَّاسِ ومَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتغاءَ مَرْضاتِ الله فَسَوفْ نُؤْتِيهِ أجْراً عظيماً**﴾ [سورة النساء:الآية ١١٤].

الواقع أن كتابات ابن سينا لا تخلو من الحديث عن الخير الذي يسعى إليه الإنسان والصورة المثالية للإنسان الفاضل في نظره عليه أن يغير له الطرق كي يوصله إلى ما ينبغي له أن يعمله حتى يصبح فاضلاً، ووضع برنامج له لإيصاله إلى الحكمة والأخلاق الفاضلة، وهو ما يسمى في كتب فلاسفة الأخلاق بمشكلة الواجب(أندريه كرسون، ١٩٥٢، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة). وأول واجبات الإنسان إذا أراد أن يصبح إنساناً فاضلاً أن يعرف عيوبه ويحدد أخطاءه لمعالجتها قبل أن تصبح خلقاً دائماً له. فلقد نظر ابن سينا إلى الإنسان نظرة عالية فيها إكبار له وإجلال، وفيها إعجاب به واحترام لشأنه والإنسان في رأيه يجب أن يحدد السلوك الفاضل لأنه يستطيع أن يغير من أخلاقه حسبما أراد وهذا هو المبتغى.

يقول ابن سينا: «ومن أوائل ما يلزم من رام سياسة نفسه أن يعلم أن له عقلاً هو السايس ونفساً أمارة بالسوء كثيرة المعايب جمة المساوئ في طبعها واصل خلقها هي المسوسة، وأن يعلم أن كل من رام إصلاح فاسد لزمه أن يعرف جميع فساد ذلك الفاسد معرفة مستقصاة حتى لا يغادر منه شيء ثم يأخذ في إصلاحه وإلا كان ما يصلحه غير حريز ولا وثيق، وكذلك من رام سياسة نفسه ورياضتها وإصلاح فاسدها لم يجز له أن يبتدئ في ذلك حتى يعرف جميع مساوئ نفسه معرفة محيط فإنه إن أغفل بعد تلك المساوئ وهو يرى أنه دعمّها بالإصلاح كان كمن يديل ظاهر الكلم وباطنه مشتمل على الداء» (لويس معلوف، ١٩٠٦، كتاب السياسة لابن

سينا).

إن الفلسفة الأخلاقية كما يرى (كانط) تصدر عن العقل وحده، ومفهوم (الواجب) أو (الأمر الأخلاقي» الذي يشكل الدعامة الأساسية لهذه الفلسفة لا يصدر عن التجربة، ولا يصدر عن طبيعة الإنسان الحسية، كما أنه لا يصدر عن الدين، إله الأمر الأخلاقي هو أمر العقل.

وفي استطاعة الإنسان أن يغير من أخلاقه حسبما أراد، والمرجع في ذلك كله إلى العقل.

هذه هي فلسفة ابن سينا في الإنسان والمعرفة والأخلاق والمجتمع، وهي فلسفة جمعت بين وجهة النظر الإسلامية الصافية، ووجهة النظر الفلسفية. إن ثقافة ابن سينا الإسلامية أتاحت له صوغ فلسفته في الإنسان والأخلاق والمجتمع، وكان للفلسفة اليونانية الدور الهام في تلك الفلسفة. فالإنسان في الإسلام هو أفضل ما في هذا الكون من عناصر وموجودات، ميزه الله مزوداً بالاستعداد لكسب المعارف والمهارات المختلفة وللاختراع والإبداع والقيام بالعمليات العقلية المتعددة لبناء الإنسان الصالح والمواطن الصالح، وفي جميع جوانبه جداً وروحاً وعقلاً، بذمة متناهية تأخذ في حسابها جميع مكونات الإنسان وتهتم بنوازعه الفطرية وتوجهه نحو الكمال وتدربه للصعود إلى القمة بكل طريق ممكنة وجهد مستطاع.

ثالثاً: الحرية والأخلاق عند ابن سينا

أول ما تعنيه الحرية ممارسة الإنسان لأفعاله بملء حريته واختياره فهي ترتبط بعناصر النظرية الأخلاقية كلها، فلا إلزام، ولا مسؤولية ولا جزاء من غير حرية، وإن سلوك الإنسان يفقد مضمونه الأخلاقي في غياب الحرية وإرادة الاختيار (الفكر التربوي العربي الإسلامي، ١٩٨٧، الأصول والمبادئ).

وللحرية مظاهر متعددة تتمثل في حرية التفكير التي تمكن الإنسان من تحديد أهدافه وتلمس الحلول لمشكلاته وقضاياه وفق حاجاته وإمكاناته ومطالب مجتمعه. كما تتمثل في حرية الحركة والنشاط وهي لا تنفصل عن حرية التفكير بل هي الوسيلة نحوها، ولو لم يكن ذلك كذلك فإن الحرية ستتحول إلى عبث وانفجارات انفعالية، وهناك حرية التعبير والعبادة والعمل، وجميعها لازمة لمواصلة مسيرة الحياة في ثقة واطمئنان(محمود أحمد السيد، ١٩٩١ – في قضايا التربية المعاصرة).

إذا كانت التربية الفعالة تهدف إلى بناء الشخصية المتوازنة والمتكاملة والمتعادلة من جميع الوجوه جسمياً وفكرياً وانفعالياً واجتماعياً، فالإنسان لا ينال السعادة بالأفعال الجميلة ما تكن تلك الأفعال «قاصرة هادفة من جهة، ومتحققة بصناعة معينة من جهة أخرى، بحيث يعود الكائن الناطق يمتلك قدرة على التمييز في أفعاله المختارة طيلة حياته بأسرها»(الفارابي ١٩٨٥، تحقيق جعفر آل ياسين).

ولما كانت الأخلاق في نظر ابن سينا أمراً مكتسباً غير موروث، وكان في قدرة الإنسان أن يكتسب الأخلاق، أو يمارس سلوكه بالقدر الملائم من الحرية الأخلاقية بالولاء المطلق لدين الله تعالى.

ويرى ابن سينا، أن القيم الأخلاقية تمثل في قيمة الأخلاق، وإرادة الخير وفعل الخير، وما برح الناس يختلفون حول تحديد معنى الخير فمنهم من اعتبره سعادة، واعتبر السعادة لذة حسية، أو لذة معنوية، ومنهم من اعتبره فضيلة شجاعة، أو عدل، أو إحساس، أو نظام أو حب الوطن، ومنهم من أراد أن يكون الخير تشبيهاً بالإله، أو بالعظماء، أو بالعباقرة، أو بالأبطال ومنهم من أراد اعتباره منفعة... الخ (عادل العوا، ١٩٨٣ الفكر التربوي العربي الإسلامي).

فالواجب الأخلاقي هو أمر قطعي صادر عن إرادة خالصة وهي تعني عند كانط أنها غير مشوبة بأي شيء أدنى منها كالمصلحة والرغبة والنزوة إلى إرادة منفعلة برغبات حسية، فإذا كان الأمر كذلك لابد لنا من

طرح السؤال: كيف يمكن تحقيق السلوك الأخلاقي في الحياة العملية؟

يجيب كانط: بالإرادة الحرة، فإذا كان العقل الإنساني كما يرى ابن سينا قادراً على تصور الواجب، وإصدار الأمر، فله القدرة على أدائه. فالإنسان العاقل هو مشرِّع القانون وهو المنفذ له، وفي تشريعه للقانون يتحرر من الأهواء، أي يحقق حريته نظرياً، وفي طاعته للقانون بحقه حريته عملياً.

يؤدي كل هذا إلى مفهوم وحدة الذات العاقلة واستقلالها أي إلى الإرادة الحرة، فالطاعة طاعة الأمر الأخلاقي، هي إذن أسمى مراتب الحرية، فهي ليست خضوعاً لأمر غريب عن الذات، صادر عن سلطة خارجية أو عن أمر ديني بل عن سلطة الأمر الأخلاقي.

فالتعاليم الإسلامية الكثيرة تدلنا على أنه على الإنسان أن يتخلّق بخلق الرحمة، وأن يتمتع بالإحساس المرهف مع كل ما فيه نوع من الحياة، بل إن ذلك يجب أن يمتد إلى الجمادات أيضاً، وذلك بالمحافظة على وجودها، فلا ينبغي للمسلم أن يدمر الموارد المتاحة، وألا يستخدمها إلا على وجه يعود عليه بالنفع، وبحسب علاقات منتظمة تدل على وحدة التدبير والنظام، بحيث تدعو المسلم إلى أن يهتدي بفعله وقلبه معاً إلى أنه أمام تناسق مطلق وجمال معجز وتدبير مميز يزيده معرفة بالخالق المدبر لله سبحانه وتعالى. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**سبْحَانَ الّذي خَلَقَ الأَزْواجَ كُلَّها ممّا تُنبتُ الأرضُ ومِن أنفُسِهم ومِمّا لا يعلمون**﴾ [سورة يس: الآية ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿**الذّي خَلَقَ سَبْعَ سَمَواتٍ طِباقاً ما ترى في خَلْقِ الرَّحْمَنِ من تَفَاوُتٍ فارْجِعِ الْبَصَر هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ**﴾ [سورة الملك: الآية ٣] وكقوله تعالى: ﴿**لا الشّمْسُ ينبغي لها أن تُدْرِكَ الْقَمَرَ ولا الليلُ سابق النّهار وكل في فلكٍ يَسْبَحُون**﴾ [سورة يس:الآية ٤٠].

إن تنمية القيم والأخلاق لدى الإنسان كما يراها ابن سينا تتمثل في معارفنا وخبراتنا بالقدر الملائم من الظروف والأحوال التي بوساطتها تصبح القيم حقيقة واقعة في الحياة؛ فنحن لا نعرف على وجه التحديد القدر الملائم من الحرية أو النظام أو الفقر، أو الغنى، أو المعرفة.... لنمو المثل العليا بالنفوس. وربما جاز القول: إن الالتزام بأصول الحياة الإسلامية الصحيحة قد يوفر نوعاً من المناخ المطلوب لذلك، والنتيجة القصوى المترتبة على الفعل الأخلاقي وإنجاز أشكاله كافة، أن نميز في الفاعل الأخلاقي سمتين الأولى: فاعلاً آخذاً يلقى من نفسه، ومما يكتنف وجوده في العالم معطيات يتناولها بفكره التقويمي الأخلاقي، فينقلب من جهة أخرى إلا فاعل مبدع مرتبط يربط تصوره وفعله بمثل أخلاقي أعلى (محمود عبد اللطيف، ٢٠٠٧، الفكر التربوي عند الفارابي).

بفضيلة من الفضائل بمفهوم من الخير هو مفهوم الناس جميعاً، ويعتزم تحويل اختباره الحر إلى عمل ينفع نفسه والناس معاً.

رابعاً: العلاقة بين الفلسفة التربوية والأخلاق

العلاقة بين الفلسفة والتربية علاقة وثيقة، فكل فيلسوف تتضمن فلسفته نظرية تربوية، وكل تربوي له نظرية فلسفية (جيمس، س، روس ١٩٤٩، الأسس العامة لنظريات التربية).

ومع ذلك فإن هناك فرقاً كبيراً بين تناول ابن سينا للتربية في الإنسان والمجتمع والمعرفة والأخلاق وبين تناوله في الفلسفة لتلك الموضوعات.

فالباحث في التربية لا ينبغي له أن يركز على التفاصيل الفلسفية الدقيقة ويقتضى في هذا السبيل بل هو مطالب بإبراز القدر الكافي لفهم آراء هذا الفكر في ميدان التربية والتربية الأخلاقية فالفلسفة الأخلاقية تصدر

عن العقل وحده. ومفهوم (الواجب) أو (الأمر الأخلاقي) الذي يشكل الدعامة الأساسية لهذه الفلسفة لا يصدر عن التجربة، ولا يصدر عن طبيعة الإنسان الحسية، كما أنه لا يصدر عن الدين، إن الأمر الأخلاقي هو أمر العقل.

ولكي نتناول ابن سينا كصاحب فكر تربوي فلابد أن نقف على نظرته للأخلاق والمعرفة – ولن نعرض من فكر ابن سينا في هذه الموضوعات إلا ما نراه ضرورياً لفهم فكره التربوي. إن تقصي جذور هذه النظريات ونقدها والحكم عليها ووضعها في الإطار التاريخي بين الفكر الفلسفي التربوي والأخلاقي، فالإنسان هو موضوع التربية، وتختلف نظرات المربين إلى العملية التربوية باختلاف وجهات نظرهم للإنسان وطبيعته الإنسانية. فالتربية تهتم بتكوين شخصية الإنسان وتؤمن بمثله وأخلاقياته، والقيم الأخلاقية ليست مجرد إتيان السلوك الفاضل، ولكن تعوِّده والإتيان به في كل مناسبة من المناسبات لأن الإنسان تعوده، ولا يستطيع أن يأتي بعكسه أو ضده.

الواقع ابن سينا يرى أن الفضائل مكتسبة للإنسان، وهو يستطيع أن ينتقل من خلق إلى خلق أو يكتسب من الفضائل ما لم يكن له، وهذا يشير إلى مقدار سيطرة الإنسان الفطرية على قوتيه الشهوية والغضبية»(عبد الرحمن النقيب،٢٠٠٠، الفكر التربوي).

لقد احتفى الإسلام بالجانب الأخلاقي في الإنسان والمجتمع بحيث ورد في القرآن الكريم ألف وخمسمائة وأربع آيات تتصل بالأخلاق سواء في جانبها النظري أم في جانبها العملي، وهذا المقدار يمثل ما يقرب من ربع آيات القرآن الكريم (عبد الرحمن عبد الرحمن، ٢٠٠٢، الفكر التربوي).

والله سبحانه وتعالى أثنى على نبيه محمد ﷺ بقوله: ﴿**وإنَّكَ لعلىَ خُلُقٍ عظيمٍ**» [سورة القلم: الآية ٤].

وأن الرسول أكد هذا الجانب الأخلاقي بقوله: «إنما بُعثْتُ لأتمم مكارم الأخلاق».

والأخلاق في الإسلام أخلاق عملية يرتبط فيها القول بالعمل والنظرية بالتطبيق يقوله تعالى: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاَ تَفْعَلُون۞ كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾ [سورة الصف:الآية ٢–٤] ويقول تعالى: ﴿**إنّ الذين أمنُوا وعمِلُوا الصّالحاتِ كانَتْ لـهُمْ جنَّاتُ الْفردَوس نُزُلاً**﴾ [سورة الكهف:الآية ١٠٧]. فالإنسان مسؤول عن أخلاق في الدنيا والآخرة، بقول تعالى: ﴿**كلُّ امرىٍ بما كَسَبَ رهينٌ**﴾ [سورة الطور:الآية ٢١] وقال تعالى: ﴿**اليوم تُجزَى كلُّ نفسٍ بما كسبتْ لا ظُلْمَ اليوم إنّ الله سريع الحساب**﴾ [سورة غافر:الآية ٤١].

وللشريعة الإسلامية جانب تربوي، وجانب تطبيقي أخلاقي يتجلى في الأمر والنهي، والتحريم والإرشاد إلى كيفيات وأساليب عملية أو تعاملية معينة في كثير من أمور الحياة.

فالإنسان العاقل هو مشرّع للقانون وهو منفذ له، فهو يحقق حريته نظرياً، وفي إطاعته للقانون يحقق حريته عملياً، كل هذا يؤدي إلى مفهوم وحدة الذات العاقلة واستقلالها أي إلى الإرادة الحرة، فالطاعة، طاعة الأمر الأخلاقي، وهذا أسمى مراتب الحرية، فهي ليست خضوعاً لأمر غريب عن الذات، صادر عن سلطة خارجية أو عن أمر ديني بل عن سلطة الأمر الأخلاقي.

السؤال الكبير ما موقع التربية في الفلسفة؟

المشكلة التربوية تقع في قلب التساؤل الفلسفي: ما هي المعرفة الحقيقية؟ ما هي غايتها؟ ما هي غاية الإنسان،؟ إن اتجاه الإجابات عن هذه الأسئلة التي تطرحها الفلسفة يعين غايات التربية وأساليبها ومضمونها. بتعبير

آخر، الفلسفة العامة هي بالضرورة فلسفة للتربية والتربية تعكس في غاياتها، وطرائقها ومناهجها الفلسفة العامة للمجتمع في مرحلة من مراحل تطوره.

إن الفلسفة مثالية كانت، أو مادية، دينية، أو علمانية تشكل أساساً للتربية تنطلق منه وترتد إليه. إن تاريخ التربية بصورة عامة، وتاريخ مؤسساتها يرتبط في جانب هام من جوانبه بتطور النظرية الفلسفية. فعلاقة فلسفة التربية، والتربية الأخلاقية هي علاقة تأثير وتأثر، فعلم الأخلاق يعلم المرء كيف يجب أن يكون هو نفسه، وكيف يجب أن تكون أحواله التي تخصه، حتى يكون سعيداً في الدنيا والآخرة، وبذلك يرسم الفيلسوف صورة صادقة لدلالة المنهج التربوي الأخلاقي الذي وضعه من نظريته في التربية وحتى آخر مراحله في الأخلاق.

ويصور القرآن الكريم كيف أن للإنسان مطالب بأن يجاهد نفسه لكي يرتقي أخلاقياً، وكيف أن هناك حالات أخلاقية مختلفة للإنسان، فهناك من يخلد إلى الأرض ويتبع شهواته وهذا ما عبر عنه القرآن بقوله تعالى: ﴿**إنّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون**﴾ [سورة الأعراف:الآية ٢٧] وهناك من ينتصر انتصاراً كاملاً على نفسه ولا يصبح للشيطان عليه سبيل، وفي هذا جاء قوله تعالى: ﴿**إنّ عبادي ليس لك عليهمْ سلطانٌ إلاّ مَنِ اتَّبعَكَ مِنَ الغاوين**﴾ [سورة الحجر :الآية ٤٢].

التربية عند ابن سينا تهدف إلى تهيئة حياة سعيدة للأفراد ونموهم نمواً كاملاً ومن جميع النواحي، الجسمية والعقلية والخلقية، والتربية السينوية لم تركز على الجانب الأخلاقي فقط، بل استهدفت وجوده الشخصية المتكاملة جسماً وعقلاً وخلقاً لخلق المواطن الكامل، وإعداده لمهنة أو عمل، أو حرفة، يشارك بها في عملية «البناء الاجتماعي» لأن المجتمع في نظر ابن سينا إنما يقوم على «التعاون» وعلى تخصص كل فرد في عمل أو مهنة وتبادل المنافع والخدمات بين أفراده، وما اهتمام ابن سينا بتكوين العادات الحسنة لدى الفرد إلا دليل على حرص البالغ بتربيته وغرس الفضيلة لديه، وبذلك يكون من السهل تطبيعه بالأخلاق والقيم التربوية الفاضلة إذا تم اتباعها في السنوات الأولى من حياته وتنعكس إيجاباً على التربية في النظرية وفي التطبيق في جميع الجوانب.

الفصل الخامس

التربية الاجتماعية

- مقدمة

١- نظرته إلى المجتمع

٢- مكانة المجتمع في نظر ابن سينا

٣- دور التربية الاجتماعية في بناء العلاقة بين الفرد والمجتمع

٤- صلة التربية الاجتماعية بالتربية الجسمية والجمالية

التربية الاجتماعية عند ابن سينا

مُقَدِّمَة

إن الحياة الاجتماعية تبين لنا أننا في حاجة ماسة إلى التربية الاجتماعية في البيت والمدرسة والمجتمع، فالطفل يجب أن يتدرب منذ الصغر على حبّ أخيه والمحيطين به، ويفكر في غيره كما يفكر في نفسه، وأن نعلمه أن يكون اجتماعياً في جميع مراحل حياته، من دون تجاهل طبيعته فللطفل طبيعته ومورثاته، وبالتالي ردود أفعاله الخاصة.

لقد اتخذت التربية الاجتماعية تعريفات متعددة منها: إنها العمل الذي نقوم به لتنشئة الطفل أو الشاب، أو مجموعة من العادات الفكرية أو اليدوية التي تكتسب أو مجموعة من الصفات الخلقية التي تنمو، ويرى «دوركهايم» أنها تكوين الأفراد تكويناً اجتماعياً فهي في نظره «العمل الذي تحدثه الأجيال الراشدة في الأجيال التي لم تنضج بعد النضج اللازم للحياة الاجتماعية(رونيه أوبير ١٩٦٣، التربية عند ابن سينا).

ويرى (جون ديوي): أن التربية تنظيم مستمر للخبرة هدفه توسيع محتواها الاجتماعي وتعميقه، فلكل مجتمع مبادئه ومثله العليا، كما أن له مصالحه، وطموحاته، وتقاليده ومشكلاته، وبين هذه وتلك نوع من التشابك والتضاغط المستمر، المثل والمبادئ تضغط على المصالح، حتى تظل في إطارها، والمصالح تضغط على المبادئ كي تتسع لها من خلال توسيع مدلولاتها، والتخفيف من صراحة أحكامها، ومن المبادئ والمصالح تتكون البيئة القيمية والأخلاقية.

حين يكون صوت المبادئ هو الأعلى، فإن نسق الحياة كلها يتحسّن: السياسة والأخلاق والتربية والاجتماع. وحين يعلو صوت المصالح، فإن الغايات الاجتماعية تولد آنذاك من رحم المصالح، وتصبح مسوغة لكل الوسائل التي تحققها مهما كانت غير مشروعة وينحط بذلك توازن الحياة كلها (عبد الكريم بكار، ٢٠٠١، التربية والتعليم).

ولابد أن نقف على نظرة ابن سينا إلى الإنسان الذي سيقع عليه فعل التربية ونظرته للمجتمع الذي سيرى له وفيه، والإنسان كما يراه ابن سينا مولود على الفطرة، ليس شريراً بطبعه أو خيراً بطبعه، وإنما يستمد أخلاقه من المجتمع والبيئة التي يعيش فيها بكل مؤثراتها، وهو أولاً وأخيراً يستطيع أن يغير من عاداته وأخلاقه عن طريق عملية التطبيع الاجتماعي بكل وسائلها وأساليبها المختلفة.

اولاً: نظرة ابن سينا إلى المجتمع

اهتم ابن سينا كثيراً بالإنسان وبتربيته، وبناء أفراد المجتمع بناء قوياً متماسكاً متوازناً متعاضداً ذلك لأن «قوة المجتمعات البشرية لا تتعين بعدد الأفراد الذين يؤلفونها، بل تتناسب مع شدة الروابط التي تربط بعضها ببعضها الآخر، كما أن صلابة الأحجار والصخور لا تتبع حجمها، بل تتناسب مع تماسك أجزائها، فنرى بعض

الأمم تشبه الأحجار الهشة، حتى إنها لتشبه أحياناً أكوام التراب والرمال لأن أجزاءها قليلة التماسك والالتصاق، ولو كانت كثيرة العدد في حين أن بعض الأمم تشبه الأحجار الصلبة والصخور الصلدة، فإن أجزاءها شديدة التماسك والالتصاق وإن كانت قليلة العدد (محمود عبد اللطيف ٢٠٠٧، الفكر التربوي عند الفارابي).

السؤال الذي يطرح نفسه في نظر ابن سينا هو: كيف يتكون المجتمع؟ وما مكانة الإنسان ودوره في البناء الاجتماعي؟ هل الإنسان له قيمة وله دور في حياة المجتمع أم أنه خاضع ولا إرادة له؟

إذا عدنا إلى مؤلفات ابن سينا في هذا الصدد نرى أنه هدف إلى تكوين مجتمع فاضل وفقاً للمبادئ الرئيسة التي تقوم عليها فلسفته وآراؤه في السعادة والأخلاق والكون وخالقه، وما وراء الطبيعة، إلا أنه أراد أن يظهر اهتمامه بالعلاقات الاجتماعية، وتربية الطفل وانتمائه إلى جماعته الصغيرة وهي الأسرة، ثم إلى جماعته الكبرى وهي المجتمع، إلا أنه تناول العملية الكلية للتربية الاجتماعية ضمن إطار نظرية اجتماعية سينوية تقوم على دعامتين بارزتين:

– **الدعامة الأولى:** تتناول اجتماعية الإنسان الذي لا يستطيع أن يعيش منفرداً، فهو بحاجة المجتمع في نموه وفي ثقافته وفي طلب أسباب الحياة. الإنسان بحاجة إلى المجتمع ولابد أن يحيا في المجتمع، وبذا يقول ابن سينا: « الإنسان يفارق سائر الحيوانات بأنه لا يحسن معيشته لو انفرد وحده شخصاً واحداً يتولى تدبير أمره من غير شريك يعاونه على ضرورات حاجاته. وأنه لابد أن يكون الإنسان مكفياً بآخر من نوعه يكون ذلك الآخر أيضاً مكفياً به وبنظيره فيكون مثلاً هذا ينقل إلى ذاك وذاك يخبز لهذا وهذا يخيط للآخر، والآخر يتخذ الإبرة لهذا وإذا اجتمعوا كان أمرهم مكفياً ولهذا اضطروا إلى عقد المدن والاجتماعات» (ابن سينا، ١٨٩٢، النجاة).

فالمجتمع الإنساني في الأصل سببه عدم قدرة الإنسان الفرد على إشباع حاجاته والاستغلال بشؤون نفسه، ومن تلك الحاجة الاجتماعية – ولد «التجمع الإنساني على اختلاف صوره الاجتماعية» والله سبحانه وتعالى – هو الذي «خلق الإنسان» بحيث لا يستطيع أن يحيا بمفرده أو يستقل بنفسه.

ومن هنا نستطيع القول: إنه تقع على التربية مسؤولية التوجيه والضبط لسلوك الأفراد والجماعات لحاجة الإنسان إلى تحقيق العلاقة الاجتماعية بين أفراد المجتمع حتى يقوم كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه عن طريق التعاون.

فالله سبحانه وتعالى قد خلق الناس متفاوتي الميول والمواهب والقدرات، واستدعى ذلك بالضرورة أن يتخصص كل إنسان في عمل من الأعمال أو حرفة من الحرف، وهذا التخصص لابد أنه يدعو إلى التعاون إذا خلق الناس متفاوتي الحظ من العقل والغنى والفقر والميول والقدرات، وجعل في هذا الاختلاف مدعاة للتكامل في داخل المجتمع الواحد، ولولا هذا التباين في الأرزاق والقدرات ما كان هذا التماسك والترابط في داخل المجتمع الواحد. يقول ابن سينا « ثم منّ (الله) عليهم (عباده) بفضل رأفته مستأنفاً بأن جعلهم في عقولهم وآرائهم متفاضلين كما جعلهم في أملاكهم ومنازلهم وراتبهم متفاوتين لما في استواء أحوالهم وتقارب أقدارهم من الفساد الداعي إلى فنائهم لما يلقى فيهم من التنافس والتحاسد والتظالم؛ فقد علم ذوو العقول أن الناس لو كانوا جميعاً ملوكاً لتفاوتوا عن آخرهم ولو كانوا كلهم سوقة لهلكوا عياناً بأسرهم كما أنهم لو استووا في الغنى لما مهن واحداً لأحد ولا رفد حميم حميماً ولو استووا في الفقر لما توافدوا وهلكوا بؤساً»(ابن سينا، ١٩٠٦، كتاب السياسة، مجلة المشرق).

ويشير ابن سينا إلى أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا بدون التفاعل مع المجتمع في جميع جوانب الحياة، وهذا التفاعل الاجتماعي المستمر بينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه.

– الدعامة الثانية ألوهية المجتمع:

الأهداف التربوية في الإسلام تعنى بالمجتمع عنايتها بالفرد، فكل إنسان هو فرد مستقل بذاته، وهو في الوقت نفسه عضو في مجتمع معين ولا وجود في التاريخ البشري لإنسان عادي عاش بمعزل عن الآخرين وكان قادراً على تحقيق ذاته الإنسانية، وحتى حينما يحاول الإنسان الإنزواء عن الجماعة بصورة مؤقتة فإنه لا يستطيع إلا التفكير في تلك الجماعة بصورة أو بأخرى.

الواقع أن المجتمع السينوي مجتمع إلهي في كل أموره. في عقائده، وعباداته، ونظمه وأخلاقه، ورغم أن ابن سينا عاش في القرن الرابع الهجري وبالذات في بلاد ما وراء النهر حيث طغى الجانب الفلسفي والكلامي على الجانب العملي والسلوكي في حياة الناس الدينية، إلا أننا نجد إيماناً كاملاً من ابن سينا بالمجتمع الإلهي الإسلامي الصحيح الذي يستمد مقومات وجوده من القرآن والسنة. وهو يفلسف لنا وجود هذا المجتمع الإسلامي ودوافعه ومبررات وجوده.

وقد جمع القرآن بين الفرد والجماعة بصورة جلية عند تبيان قوة المؤمن في القتال وقدرته على الصمود أمام الكفار. فالقرآن الكريم عند تأكيده على هذه الحقيقة المتصلة بالفرد المسلم صاغها في إطار جماعي. يقول تعالى: ﴿**إن يكنْ منكُم عِشرونَ صابرونَ يغلبُوا مِائَتين وإن يَكُنْ منكُمْ مِائةً يَغْلِبُوا ألفاً مِنَ الذين كفروا بأنَّهمَ قومٌ لا يَفْقَهُونَ**﴾ [سورة الأنفال:الآية ٦٥] ويرى جودت سعيد أن هذه الآية لا تشير إلى العدد الذي يستطيع المؤمن مواجهته وحسب، بل إنها تدل كذلك على ضرورة تآلف وتكاثف الأفراد المؤمنين، حتى تتم لهم الغلبة على الأعداء، وحتى يتمكن الفرد الواحد من مواجهة عشرة من الكفار.

والتربية الإسلامية تهدف إلى إعداد الإنسان للدارين: الآجلة والعاجلة، وهنا تفترق عن كل الترتيبات المادية التي ترى أن الهدف الأسمى هو الإعداد للحياة الدنيا، فالإنسان لا ينتهي من المطاف مجرد موته، ولكنه ينتقل من الحياة الدنيا إلى حياة أخرى يبعث فيها حياً ولا يعرف فيها للموت طعماً.

والواقع أن ابن سينا يرى أن «المجتمع» قد نشأ نشأة طبيعية لحاجة الأفراد إلى التعاون، ولكن من الذي ينظم أمور هذا التعاون؟ وكيف يحدث التفاعل بين أفراد المجتمع؟ وكيف تنظم العلاقة بين الحكام وبين الأفراد العاديين؟ كل هذه المشاكل فكر فيها عقل ابن سينا الفيلسوف، وقرر أن حل تلك المشاكل يكون بعودة التشريع إلى مصدره الإلهي وهو الله سبحانه وتعالى والرسول ﷺ.

يقول ابن سينا «فلابد في وجود الإنسان وبقائه من معاملة ومشاركة، ولا تتم المشاركة إلا بمعاملة كما لابد من ذلك من سائر الأسباب التي تكون له، ولابد في المعاملة من سنة وعدل ولابد للسنة والعدل من سان ومعدل ولابد أن يكون هذا بحيث يجدر أن يخاطب الناس ويلزمهم السنة، ولابد من أن يكون هذا إنساناً، ولا يجوز أن يترك الناس وآراءهم في ذلك فيختلفون ويرى كل منهم ماله عدلاً وما عليهم ظلماً (ابن سينا، ١٨٩٢، النجاة).

فحب المسلم لله وامتثاله لأوامره يجعله محباً لغيره من الناس، وهذا من شأنه أن يولد في المجتمع الإسلامي الشعور بوحدة الجماعة والتآخي والتراحم، وقد قرر الإسلام أن صلاة الجماعة في الأوقات الخمسة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة والإنسان المسلم يقرأ في صلاته كل يوم عشرات المرات قوله تعالى:

﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ سورة الفاتحة آية ٥ إنه يناجي ربه باسم الجماعة حتى ولو كان في صلاة فردية.

ما أراده ابن سينا مما تقدم أن المجتمع يحتاج إلى مشرع لأموره؛ وهذا المشرع لابد أن يكون إنساناً يمتاز عن غيره بمميزات تجعله مطاع الكلمة تنقاد له الجماعة. وهذا هو تعليل ابن سينا لوجود النبي وما اختصه به الله من معجزات، وضرورة وجود النبوة. يقول ابن سينا: «فواجب إذن أن يوجد نبي وواجب أن يكون إنساناً وواجب أن يكون له خصوصية ليست لسائر الناس حتى يستشعر الناس فيه أمراً لا يوجد لهم فيتميز عنهم فتكون له المعجزات (ابن سينا، ١٨٩٢، النجاة).

إن نصرة الحق وإحقاقه والدفاع عنه، من المهمات الأساسية للمسلم في هذه الحياة وأن بقاء المجتمع كما يرى ابن سينا لابد له من مشرع، والمشرع لابد أن يكون إنساناً نبياً يتميز عن الناس بمعجزات وبما يملك من القوى الخارقة والاتصال بالسماء، وما يجعل الناس يستقبلون شريعته وأحكامه على أنها حكم الله وإرادته، وبذلك يرضون له طواعية وينقادون لتعاليمه عن تسليم واقتناع وإذعان وبذلك لا يحدث التمرد على التشريع.

وكما يرى ابن سينا أن هذا المشرع إذا وجد فعليه أن ينظم أمور البشر وفق إرادة الله ووحيه، ويحدد لهم العقائد والعبارات والأخلاق والنظم التي يسيرون عليها في حياته ومن بعده. فبالحق والعمل بملء القلب وتركيز العقل والفكر هو ما يحتاج إليه الإنسان.

يقول ابن سينا: «فهذا الإنسان المشرع وجب أن يسنّ للناس في أمورهم سنناً بأمر الله تعالى وإذنه ووحيه وإنزاله الروح القدس عليه فيكون الأصل فيما يسنّه تعريفه إياهم أن لهم صانعاً واحداً قادراً وأنه عالم بالسر والعلانية وأن من حقه أن يطاع أمره وأنه يجب أن يكون الأمر لمن له الخلق وأنه قد أعدّ لمن أطاعه المعاد المسبق ولمن عصاه المعاد المشقى» (ابن سينا ١٩٥٠، رسالة العروس مجلة الكتاب، ١٩٥٢).

فالمشاعر الإنسانية التي ترتبط بمبدأ التشريع بوحي من الله فهذا يرتكز أساساً على الإيمان بالله واليوم الآخر، وبدون هذا الأساس الديني العميق لايمكن أن يخضع الناس للتشريع السماوي أو يطبقوه، فلابد من إصدار تشريعات تذكر الإنسان بأعماله وتصرفاته في حياته الاعتيادية وفق المبادئ والتوجيهات القرآنية. يقول ابن سينا: «ويجب أن تكون هذه الأفعال الشرعية مقرونة بما يذكر الله تعالى والمعاد لا محالة وإلا لا فائدة فيها والتذكير لايكون إلا بألفاظ تقال أو نيات تنوى في الخيال، وأن يقال لهم إن هذه الأفعال يتقرب بها إلى الله ويستوجب بها الخير الكريم». كالصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد في سبيل الله؛ فهذه العبادات فيها منبهات إلى ذكر الله واليوم الآخر بجوار ما فيها من مصالح دنيوية.

الواقع أن ابن سينا حدد الهدف الأساسي من كل ما يتلقاه الناس من العقائد والعبادات، وتنظيم كل ما يتعلق بأمور المجتمع، فهو يقول: «ويجب أن يكون القصد الأول للسان في وضع السنن وترتيب المدينة على أجزاء ثلاثة: المديرون والصناع والحفظة، وأن يرتب في كل جنس منهم رئيساً مرتب تحته رؤساء بلونه فيرتب تحتهم رؤساء يلونهم إلى أن ينتهي أفناء الناس فلا يكون في المدينة إنسان معطل ليس له مقام محدود، بل يكون لكل واحد منهم منفعة في المدينة وأن يحرم البطالة والتعطل وأن لا يجعل لأحد سبيلاً إلى أن يكون له من غير الخط الذي لابد منه للإنسان وتكون جنبته معفاة ليس يلزمها كلفة، فإن هذا يجب أن يلزمهم كل الردع فإن لم يرتدعوا نفاهم من الأرض، وإن كان السبب في ذلك مرضاً أو آفة أفرد لهم موضعاً» يكون فيه «ملاجئ» يكون فيه أمثالهم ويكون عليهم قيم (ابن سينا، ١٣٣٥، رسالة الشفا، الجزء الثاني).

كما ينظم النبي أمور المجتمع من الناحية المالية، ويحدد ميزانيته دخلاً ومنصرفاً، يقول ابن سينا: «ويجب

أن يكون في المدينة وجه مال مشترك بعضه من حقوق تفرض على الأرباح المكتسبة والطبيعية كالثمرات والنتاج وبعضه يفرض عقوبة، وبعضه يكون من أموال المنابذين للسنة وهو الغنائم، ويكون ذلك عدة لمصالح مشتركة ولازمة لصلة الحفظة الذين لا يشتغلون بصناعة، ونفقة على الذين حيل بينهم وبين الكسب بأمراض وزمانات» (ابن سينا، ١٣٣٥، ج٢ رسالة الشفاء، الجزء الثاني).

الواقع أن الشيخ الرئيس يرى أن المشرع للمجتمع هو النبي، وعلى المجتمع الإنساني أن تكون دوافعه إلهية، وتطبيق تعاليم الشريعة، لذا لابد من العقوبات وفق المخالفات التي يقع فيها الإنسان لردعه عن ارتكاب مثل تلك المخالفات التي يعاقب عليها الشرع.

وهذا ينمي خبرة التفريق عند الإنسان بين الجائزات والممنوعات، على أن يتم الاستماع بأذن صاغية، وبعقل مفتوح لكل ما يطرح من أفكار، وأن نتقبله على أنه اجتهاد، ما لم يصادف إجماعاً أو نصاً قطعياً، فالأفكار لاتنضج، ولا تتبلور مالم يتم تناولها من خلال الحوار والمناظرة والنقاش والمفاتحة للوصول إلى الحقيقة. إن سعة الفهم لا تؤدي بالضرورة إلى الاتفاق في الآراء المطروحة، لكنها تمنح الأساس للاختلاف، أي تجعل الاختلاف مؤصلاً واضحاً، وتجعل ما يتم من اتفاق متيناً، لأنه يقوم على قواعد فكرية ومنهجية صحيحة.

إن الإنسان كما يراه ابن سينا كائن قابل للتعلم، بل إن الإنسانية كلها، تظل تتعلم باستمرار، وإذا تملكنا هذه الفكرة فسوف نعرف كيف نكتسب المرونة، وكيف نستخدمها في تحسين نوعية الحياة.

ثانياً: مكانة المجتمع في نظر ابن سينا

إن البناء العظيم للمجتمع لا يتحقق إلا من خلال الإنسان الذي يعمل بوعي على تكوين الحياة الاجتماعية ومن ثم الإنسانية. وهذا المجتمع بتلك الصورة السينوية عليه أن يدعو الأعداء والمخالفين إلى مجتمع الهداية وإلا فيسن مقاتلتهم، وبذا يقول ابن سينا: «أما إذا كانوا أصحاب سنة حميدة غير سنة النبي فلا يتعرض لهم إلا إذا كان الوقت صالحاً بأنه لا سنة غير السنة النازلة، أو إذا جاهروا بفساد هذه السنة النازلة وأنه ليس من حقها أن تقبل وكذبت اللسان في دعواه أنها دعوة للناس جميعاً وعند ذلك يسن جهادهم ولكن مجاهدة دون مجاهدة أهل الضلال الصوف أو يلزموا غرامة على ما يؤثرونه» (ابن سينا، ١٣٣٥، ج٢ رسالة الشفاء، الجزء الثاني).

فالمجتمع كما رآه ابن سينا هو مجموعة من الأفراد متفاوتي الحظوظ في المواهب والقدرات، وهذا يقتضي نوعاً من التخصص ليتم التعاون بين أفراد المجتمع والتفاعل فيما بينهم في جميع جوانب الحياة لتطبيق هذا التعاون الذي ينظم للناس أمور حياتهم، بشكل صحيح وفق مبادئ الشرع فالتربية ركزت على تنمية الإنسان عاطفياً ونفسياً بعد أن ركزت على تنميته فكرياً «ودعت إلى تنمية النوازع الخلقية والسمو بها، وتقوية الجسم والارتقاء بالإحساس الجمالي إلى الكون والحياة على أن يكون ذلك في خدمة المجتمع والارتفاع به والنهوض بمستواه والعمل على رفاه الإنسان وسعادة البشرية في كل مكان (عادل العوا، ١٩٨٧، استراتيجية تطوير التربية، الفكر التربوي العربي الإسلامي).

إن براعة المربي في إدراك حاجات الإنسان أكثر إلحاحاً، والجوانب التي تتطلب عناية أعظم، فالعقلاني بحاجة إلى توجيه للاهتمام بالجانب الروحي، والهدف النهائي لكل مسلم هو الفوز برضوان الله – تعالى – ولذا فإن كل الأهداف الصغرى يجب أن تخدم هذا الهدف على نحو مباشر أو غير مباشر، «،عن كل هدف صغير هو وسيلة إلى هدف أكبر يستمد شرعيته وأدبياته من شرعية الهدف الأكبر وأدبياته».

– من الواضح أن ابن سينا يرى أن المجتمعات تتصف بعلاقاتها الإنسانية وبكمالها وتعاونها

الاجتماعي وهذا مبني على القيم الأخلاقية، إن ما جاء به الشيخ الرئيس لم يخرج عن كونه مسلماً نشأ في بيئة إسلامية وأتقن العلوم والمبادئ الإسلامية، فقد تناول تربية الإنسان كفرد من الناحية الجسمية والعقلية والروحية والعلمية والأخلاقية وأعطى كلاً منها الوزن الذي تستحقه.

فالأهداف الجسمية لا تطغى على الأهداف العقلية أو الروحية، كما أن العناية بالجانب الروحي لا يتعارض مع تنمية العقل، وتربية الجسم تربية سليمة. فالتربية للنفس الإنسانية شاملة ومتوازنة، والأهداف التربوية تعنى بالمجتمع عنايتها بالفرد، فكل فرد مستقل بذاته، وهو في الوقت نفسه عضو في مجتمع معين «ولا وجود في التاريخ البشري لإنسان عادي بمعزل عن الآخرين، وكان قادراً على تحقيق ذاته الإنسانية» (محمود عبد اللطيف ٢٠٠٧، الفكر التربوي عند الفارابي).

– إن الصورة المثالية للمجتمع كما ارتأه ابن سينا لم تكن هي نفس الصورة الحقيقية للمجتمع الإيراني حيث يعيش ابن سينا، مع أنه عاش في بلاد ما وراء النهر في واقع يختلف إلى حد ما عن تلك الصورة المثالية، وهذه النظرة السينوية إلى المجتمع قد أثرت في فكر ابن سينا التربوي، فهو في فكره التربوي يحافظ على مورثات هذا المجتمع ممثلاً في عقائده وعباداته وأخلاقه، ويوصي بأن تقدم هذه المورثات للطفل في أولى مراحل تعليمه، كما يوصي بأن يوجه الطلاب بعد ذلك توجيهاً تربوياً ومهنياً كل حسب ميوله وقدراته حتى يعمل الفرد المكان الذي خلق له وبذلك يحدث التفاعل والتماسك الاجتماعي (عبد الرحمن النقيب، ٢٠٠٢، الفكر التربوي الإسلامي).

اهتمت التربية اهتماماً كبيراً بالجانب الاجتماعي كاهتمامها بالجانب الفكري لخدمة المجتمعات وتحسين العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع من خلال حسن المعاملة والتواضع والصدق وتأدية الأمانة وتجنب كل ما من شأنه أن يسيء إلى الإنسان والعلاقات بين أفراد المجتمع. إن حاجة الإنسان إلى الاجتماع والتعاون مسألة لا حدود لها، فالإنسان اجتماعي بطبعه، ومضطر إلى هذا الاجتماع لسد حاجاته وتأمين متطلباته، فهو لا يستطيع أن يعيش منفرداً وحتى يتمكن من العيش بأمان وهدوء ونجاح مع أفراد المجتمع الذي يقضي فيه، فإن عليه أن يتقيد بالأصول التي تمكنه من كسب مودتهم، ورفع مستواهم وفي مقدمة هذه الأصول حسن المعاملة، والتعاون، والتضحية» وقد أعطيت المعاملة الاجتماعية أهمية عظمى حتى جعلت رجال الدين يقولون: «الدين المعاملة» وجعلت رجال الأخلاق يقولون: «عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به».

ثالثاً: دور التربية الاجتماعية في بناء العلاقة بين الفرد والمجتمع

التربية الاجتماعية هي الأسلوب، وهي الأداة التي تضع الإنسان في بداية طريق النمو والاستفادة من الوسط الاجتماعي القائم لتحقيق الألفة بين أفراد المجتمع المبنية على دعائم الأخوة وحدها أساس يقوم عليها المجتمع ليصبح أفراده متعاونين متعاضدين، ويقول تعالى: ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً**﴾ [سورة آل عمران:الآية ١٠٣] كما يقول تعالى: ﴿**لو أنفقْتَ ما في الأرض جميعاً ما ألَّفت بين قلوبهم ولكن الله ألَّف بينهم إنه عزيز حكيم**﴾ [سورةالأنفال:ألآية ٦٣]، وقد تحققت هذه الألفة بأوسع معانيها زمن الرسول ﷺ عندما حقق الألفة والمحبة والإخاء والمودة بين المهاجرين والأنصار، وهذا يمثل أقوى مظهر من مظاهر التربية الاجتماعية البناءة ذلك «أن المهاجرين قوم تركوا في سبيل الله أموالهم وأراضيهم فجاؤوا إلى المدينة وهم لا يملكون من حطام الدنيا شيئاً، والأنصار مستقرون في بيوتهم، وأموالهم بين أيديهم

ليلتفت كل منهم إلى أخيه من المهاجرين، وليفتح له بيته، وليقتسم معه سراء الحياة وضراءها لم يفعل ذلك أحد من الأنصار، وهو له كاره، بل كان يشعر بالسرور والارتياح، وهو ينشد رضا الله وكان كل منهم يتسابق إلى تقديم العون إلى أخيه الإنسان (محمود السيد، ١٩٧٨، معجزة الإسلام التربوية).

انطلاقاً من قول الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه».

ويرى ابن سينا أن إيجاد مجتمع واحد تتحقق فيه سعادة الأفراد على أكمل وجه لا يكون ذلك إلا إذا تعاون أفرادها على الأمور التي تنال بها المساعدة، واختص كل منهم بالعمل الذي يحسنه، وبالوظيفة المهيأ لها بطبعه، وهذا ما أراد الشيخ الرئيس تحقيقه ووضعه في أصوله الثابتة، وهو يؤكد ضرورة الاجتماع بغية التعاون والعمل على تحقيق الحاجات التي تفتقر إليها الجماعة، ويحقق فضيلة العدالة للوصول إلى المجتمع الفاضل.

لقد تبنى ابن سينا مفهوم التعاون بين أفراد المجتمع في كل ما من شأنه أن يحقق السعادة، والإتقان في العلم، كما دعا إلى الانصراف الكلي إلى العمل وإخراجه على أحسن صورة، وأكمل أداء، انطلاقاً من القاعدة التي اختطها الرسول ﷺ لأصحابه «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

والحق أن نزعة ابن سينا الإنسانية كانت نقية لا تشوبها شائبة، فقد أوتي من الخصال الرفيعة ما يصعب تحقيقه في عامة الناس، فهو سليم البنية، جيد الذهن، ثاقب الذكاء، حاضر البديهة، ماضي العزيمة، حصيف صادق، عادل نزيه، متجرد عن المادة مؤثر للذات والروح (الفارابي، ١٩٣١، إحصاء العلوم).

بذا نبين أهمية العلاقة بين الفرد والمجتمع عند ابن سينا، ودور التربية الاجتماعية في إذكاء هذه العلاقة في مختلف جوانب الحياة والارتقاء بوحدة المجتمع وتماسكه وبنائه.

- دور النمو الاجتماعي في تحسين العلاقة بين الفرد والمجتمع السينوي:

يقصد بالنمو الاجتماعي أو الجانب الاجتماعي في التربية عدة معان أهمها:

١- نمو المشاعر الاجتماعية كالشعور بالانتماء، والميل الفطري إلى الجماعة وحب التقليد.

٢- نمو الخبرات الاجتماعية، وما ينتج عنها من أساليب التعايش مع الجماعة، ومعرفة ما تحرمه الجماعة وما تستحبه، وما توجبه على أفرادها، وأساليب السلوك في المجتمع، وآداب الحياة المشتركة.

إن نمو التصورات الاجتماعية بأفكارها وأهدافها المشتركة تنعكس في نفوس الأفراد، نتيجة للتربية الاجتماعية التي يتلقونها في جميع الجوانب الحياتية، وهذا سيؤدي إلى تنمية المشاعر الاجتماعية بشكلها المزدهر المتفتح الخير، فالمجتمع يتكون باجتماع مجموعة من الأفراد، واشتراكهم على تصورات وأهداف ومصالح، يفهمونها فهماً موحداً ويعملون لها جميعاً، فيؤلف ذلك بينهم بروابط تربط جميع الأفراد وتشدهم بعضاً إلى بعض، وتحبب إليهم العيش المشترك والتعاون والتكافل فيما بينهم» (عبد الرحمن النحلاوي، ١٩٧٩ أصول التربية الإسلامية).

- كان اهتمام الشيخ الرئيس ينصب في تكوين العادات الاجتماعية وآداب السلوك الاجتماعي، واكتساب المهارات من منظور أن الممارسة والتكرار والفهم والقدرة والتعزيز والتوجيه كل ذلك سيتحول إلى عادات اجتماعية وآداب السلوك الاجتماعي في جميع جوانب حياة الإنسان، مستمداً فكره وعمله من إسلامه ومذهبه، وتلك مسحة نطلق عليها دلالة الاجتهاد العقلي التي امتاز بها أعلام التراث في القرن الرابع الهجري وفي طليعتهم ابن سينا والفارابي. فالتصورات المشتركة الإسلامية، تكوّن الجانب الأكبر على الوجود الاجتماعي، بل يتعداه إلى كل أحوال الناشئ الفردية والاجتماعية، وللتربية الاجتماعية دور كبير في تربية الإنسان وتحسين العلاقة بين أفراد المجتمع، وهي تسهم بشكل أو بآخر في الحفاظ على المكتسبات الخيرة والنبيلة التي حصل عليها، فالتربية الإسلامية تهدف إلى إيجاد الإنسان الصالح المؤمن بربه، وحرص القرآن على تربية الإنسان كفرد عندما أكد على فردية التكليف والجزاء، فالقرآن الكريم عندما تناول تربية الإنسان فقد أخذ بعين الاعتبار جميع المكونات التي تدخل في تركيبه: الجسم والعقل والروح، وهذا يشير إلى مدى الاهتمام الكبير الذي أولاه ابن سينا للجوانب الإنسانية من حيث الرعاية والتهذيب، وتكوين العادات الفاضلة والتمسك بها، وتحسين مردودها الاجتماعي والأخلاقي، وغرس المفاهيم وتعديل السلوك الاجتماعي، ومواجهة التحديات وتعزيز القيم والعمل الصالح، وتحسين العلاقات الاجتماعية وترسيخها. وهذا يؤكد أن الترابط الاجتماعي فطري في الأفراد لأنهم يحتاجون إليه فيما بينهم كي يحصل لهم الكمال الذي لأجله جعلت الفطرة طبيعية في الأفراد.

رابعاً: صلة التربية الاجتماعية بالتربية الجمالية والجسمية

لقد أولت التربية الاجتماعية الجانب الجمالِي في بناء الشخصية اهتمامها، والجمال الذي أنشدته هو التناسق والانسجام مما يسرّ النفس ويمتّع الحس، وقال رسول الله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» وهي دعوة إلى أن ينهل المرء من معين الجمال الذي أوجده الله في مخلوقاته، وأن يستمتع بمظاهر هذا الجمال في التناسق والانسجام والتكامل.

الواقع أن ابن سينا يرى أن الهدف من التربية الجمالية: هو أن نبعث في نفس الطفل حب الجمال، والإعجاب به، والميل والإصغاء إليه، بحيث يستطيع أن يعطي حكماً صادقاً على جمال ما يرى من الرسوم

والتصاوير، وعلى حسن ما يسمع من القطع الغنائية والموسيقية أو على سحر ما يشاهد من المناظر الجميلة والحركات المنتظمة.

والقرآن الكريم يلفت نظر الإنسان إلى جمال المخلوقات لدى جمال الخلق وروعته، بل جعل الإسلام الالتفات أمراً عقدياً قال تعالى: ﴿**الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور۞ ثم ارجع البصر مرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير**﴾ [سورة الملك:الآية ٣-٤].

فالتربية الجمالية: « تعبير يقصد به الجانب التربوي الذي يرقق وجدان الفرد وشعوره، ويجعله مرهف الحس مدركاً للذوق والجمال، فيبعث في نفسه السرور والارتياح ومن ثم يرتقي وجدانه وتتهذب انفعالاته» (إبراهيم عصمت مطاوع، ١٩٧٩، أصول التربية). ويتضمن هذا التعريف بعدين:

الأول: بعد تربوي، والثاني: بعد جمالي، بيد أن التربية عملية تنمية الشخصية المتكاملة والمتوازنة. ومعنى هذا التكامل هنا هو: إنسان الجوانب المختلفة في الإنسان ومنها الجانب الجمالي... وهذا الجانب له أثره وخطورته في تكوين الشخصية، ولا يقل أثراً أو خطورة عن أي جانب آخر من جوانب الشخصية، الجانب الانفعالي، أو الجسمي، أو الاجتماعي.

ومن هنا يرى ابن سينا أن قيمة التربية الجمالية تتمثل في دقة التصوير، وروعة الملاحظة، وتحقيق الإيقاع الموسيقي البديع الذي يضفي على الأسلوب بصورة عامة ظلالاً من الفن والجمال.

إن الاهتمام بالتربية الجمالية «يولد لدى الأفراد حب الحياة والاندماج فيها بحيث يمارسونها بلا إسفاف ويسلكون فيها مسالك تدل على أنهم أسوياء» (محمد عزيز نظمي، ١٩٧٢، القيم الجمالية).

وإذا كان الجمال سمة بارزة من سمات هذا الوجود بل أبرز سماته، فإنه يجب تأهيل الشخصية للإحساس بهذا الجمال وتربية الوجدان ليتوازن ذلك مع تنمية جوانب الشخصية المتكاملة، فالصلة وثيقة بين الجوانب المختلفة، لأن ما يؤثر في الوجدان، لابد من أن يؤثر في الوقت نفسه في التفكير، وهذا من شأنه أن يؤثر بعمق في حياة الإنسان بجميع جوانبه» (محمد علي أبو ربان، ١٩٧١، القيم الجمالية).

ونشير إلى أن الشيخ الرئيس (ابن سينا) أكد أن الجمال هو صنو للحق والخير، وأن حسن الجمال فطرة في الكون لأن خالقه اتصف بصفات الجلال والجمال... وأن التربية الجمالية لها أهميتها القصوى في تربية الإنسان، وهي ليست منعزلة عن سائر أنواع التربية الجسدية والعقلية والخلقية.

فالتربية الجمالية هي نقطة ارتكاز في التربية كلها، وتلك التربية تكمن في إقامة الوزن، وتمييز اللفظ وسهولة المخرج والفن في النهاية يوسع رقعة الحياة ويربط بين الإنسان الفرد والجماعة، وما بين الإنسان الفرد والإنسانية، بعد أن ربط بين هذا الإنسان والكائنات الأخرى، بمعنى آخر يربط بين الإنسان والكون... وبهذا الشمول والتعدد والامتلاء تصبح لوحة الكون الغنية أجمل وأكمل وأوسع.

إن بعض المؤرخين ومنهم (فارمر) كشفوا عن فضل العرب على الموسيقى العالمية ومنهم الإغريق، فقد قال فارمر: (الفارابي وابن سينا زادا على ما جاء به الإغريق في علم الموسيقى) فمقدمة الفارابي لكتابه الكبير في الموسيقى تضاهي في الواقع إن لم تبزّ كل ما ورد في المصادر اليونانية وجهودهم (أي العرب) في وصف الآلات الموسيقية تسهل على الغرب المعاصر فهم (السلالم) الموسيقية الخاصة بتلك الفترة.

فالتراث ليس مرحلة تاريخية بعينها ولكنه جماع التاريخ المادي والمعنوي للأمة منذ أقدم العصور إلى الآن، ولقد تبنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في استراتجيتها مفهوم الماضي الحي ورأت أن الأصالة

تعبر عن هذا المفهوم وتعني اختيار مافي التراث من نماذج ومن أصول، اختياراً قائماً على الفهم والتمييز ومانتطوي عليه من الإبداع والابتكار، وعلى ماتلد عليه من ذاتية ثقافية الأمة وذاتية العبقرية التي أسهمت في تطوير هذا التراث في مجالات القيم والفكر والثقافة، أو في تأكيد مجالات العلم والفلسفة أو في مجالات السياسة والإرادة (محمود أحمد السيد، ١٩٩١، في قضايا التربية المعاصرة)

وفي مجال منهج التربية الجسمية عند ابن سينا: كان اهتمام ابن سينا يتصف بالدرجة الأولى بالنمو الحسي – الحركي والتربية الخلقية والوجدانية، وهو بالحقيقة لم يشر إلى منهج محدد في مرحلة تربية الطفل سوى الرياضة والموسيقى، الرياضة لتربية الطفل ونموه الجسدي والحركي، ولكي يتعلم عن طريقها كثيراً من العادات الخلقية والذهنية. والموسيقى حتى يرهف حسه وترقى مشاعره ووجدانياته.

وتبعاً لذلك فإن الأنشطة الجسمية المختلفة، التي كان يمارسها الفرد، وما ارتبط بذلك من عادات صحية تعمل على حفظ الجسم وصيانته، والتحكم في عضلاته لتعلم جميع أنواع اللعب، فقد أعطانا ابن سينا توجيهاته في ذلك كله حول المنازعة والمباطشة والإحضار وسرعة المشي والرمي من القوس والقفز إلى شيء ليتعلق به والحلج على إحدى الرجلين، والأراجيح وركوب الزواريق والخيل...» (ابن سينا، ١٢٩٤هـ، القانون).

ولكل نوع من الرياضة عنده أشكال وصور مختلفة عند الأداء (تمارين رياضية) فمثلاً المباطشة أنواع منها أن يشبك كل واحد من اللاعبين يده على وسط صاحبه ويلزمه ويتكلف كل واحد منها أن يتخلص من صاحبه وهو ممسكه، وأيضاً أن يلتوي بتدبير على صاحبه ويلزمه ويتكلف كل واحد منهما أن يتخلص من صاحبه وهو ممسكه، وأيضاً أن يلتوى بتدبير على صاحبه يدخل يده اليمين على يمين صاحبه، ويده اليسار إلى يساره ووجهه إليه ثم يشيله ويقلبه، ولا سيما وهو ينحني تارة ويبسط أخرى، ومن ذلك المدافعة بالصدرين، وملازمة كل واحد منهما عنق صاحبه يجذبه إلى أسفل» (ابن سينا، ١٢٩٤هـ، القانون).

لقد احتلت التربية الجسمية مكانة كبيرة في التربية في القرن الرابع الهجري، لما كانت عليه حياتهم من شظف العيش، والإقامة في بيئة مملوءة بالمخاطر، والقوي هو الذي يكتب له العيش والعز والسيادة، لذلك حظيت أسماء اللعب التي أشار إليها ابن سينا في كتاب القانون بمكانة مرموقة بين الأنشطة الرياضية.

وقد أوضح ابن سينا مظاهر الاهتمام بالجسم من خلال تنفيذ الفرد لهذه الألعاب لما لها من أهمية في حياة الإنسان، إذ أدرك أن هناك صلة وثيقة بين الجسم والعقل، وعبر عن هذه الصلة بالحكمة القائلة «العقل السليم في الجسم السليم» ولقد نظر الإسلام إلى الجسد الإنساني نظرة كريمة، وأولاه عناية كبيرة مراعياً في ذلك كل حاجاته ومتطلباته، فقد وضع الحركة الرياضية حاجة أساسية للإنسان تتأسس على الجانب الجسمي فيه، وجعلها موضع التقدير والاهتمام، إذ تعد جوهر التربية الجسمية.

وابن سينا يرى ضرورة أن تخلط الرياضات الشديدة والسريعة بفترات من الراحة أو برياضات فاترة، كما أنه يرى أنه يجب أن ينتقل الصبي في استعمال الرياضات المختلفة ولا يقام على رياضة واحدة، إذ لكل عضو رياضة تخصه فهناك رياضة لليدين والرجلين والصدر وأعضاء التنفس. وابن سينا بذلك يتفق مع كثير ما يقول مع موجهي التربية الرياضية في عصرنا الحديث عن ضرورة اختيار الرياضة المناسبة لكل عمر، وضرورة أداء الكثير من التمرينات المختلفة التي تكفل نمو عضلات الجسم وأعضائه في اتساق محدد.

إن الاهتمام بالأنشطة الرياضية وإشراف المربين عليها باعتبارهم يلمون بالمبادئ الأولية للتمرينات الرياضية يؤلف وسيلة من الوسائل التي تساعد على تنمية العضلات وتقوية الأجسام حتى تصل إلى حدها

الممكن من النمو، وهذه التمارين تكسب الأطفال قوة في أعصابهم. واعتدالاً في قوامهم واتساعاً في صدرهم، ونشاطاً في أعمالهم، مثالنا على ذلك ما قاله ابن سينا: «إن اللعب بالرمي يمثل مكوناً من مكونات التربية الجسمية، وهو يمثل ضرورة من ضرورات الحياة للكائن الحي، ولدى كل كائن حي ميل فطري للعب والحركة والنشاط».

وابن سينا يرى أن الرياضة ضرورية لكل المراحل التعليمية، وأن لكل إنسان بحسبه رياضة توافقه وتخصه، فالتربية الجسمية احتلت مكانة بارزة في الفكر التربوي العربي الإسلامي فيه والإسلام بعد انتشاره.

وقد أراد من عرضه لأنواع اللعب، أن يبين لنا أهمية العناية بالبدن، وبصحة الإنسان كي يستطيع أن يقوم بأعباء الحياة، وهذا يتطلب منه أن يكون قوياً في جسمه، سليماً في بدنه، وقديماً قال اليونانيون في حكمهم: «العقل الصحيح في الجسم الصحيح» وبذلك نرى أن التربية الجسمية، احتلت مكانة بارزة في الفكر التربوي، والشيخ الرئيس أسهم في تأكيد ميزات التربية الجسمية، وخاصة تلك التي ترتبط بدورها وقيمتها من حيث النظرة إلى الجسم الإنساني وإعداد الفرد القادر على أداء دوره في الحياة وتحمل تبعاتها، وبالتالي من حيث مدى العناية والاهتمام بها، وأثرها على تكوين القدرة العقلية على الفرد. وقد أدلى المربون الجوانب التربوية، الاجتماعية، والعقلية، والأخلاقية والجسمية العناية والاهتمام من حيث بناء الإنسان بناء متكاملاً ومنسجماً ومتعادلاً ومتوازناً ومتطوراً من جميع الوجوه خدمة للمجتمع والإنسانية.

لقد أولت التربية العربية الإسلامية الجانب الجمالي في بناء الشخصية اهتمامها والجمال الذي نشدته هو التناسق والانسجام مما يسر النفس ويمتع الحس. ومن يشعر بالجمال ويحس به يدفعه ذلك إلى فعل الجميل، فعل كل ما هو خير لأن الخير في الجمال، وإدراك الجمال وتذوّق جزء من خبرة الإنسان في الحياة، ذلك أن التوازن والتماثل والتناسب والإيقاع هي عوامل أساسية في الخبرة وهي من العناصر التي يمكن طريقها أن تنظم الخبرة في أنماط معينة والتربية الجمالية تربي في الطفل حب الجمال وتقديره والإعجاب به، وهذا يتطلب الحرص والعناية بالمواد وكل ما يؤدي إلى التربية الجمالية.

إن الفن العربي في القرن الرابع الهجري، تمثل في النقوش والخشب والمعدن والجلد والثياب والفخار والزجاج والسجاد والستائر، وفي صناعة الكتب وعلى الخطوط وما يتعلق بالقرآن الكريم.

الفصل السادس

التربية العقلية عند ابن سينا

- مقدمة

١- نظرة ابن سينا إلى المعرفة العقلية

٢- الغرض من التربية العقلية

٣- ملامح التربية العقلية

٤- علاقة التربية العقلية بالتربية العلمية

التربية العقلية عند ابن سينا

مُقدِّمَة

تهدف التربية العقلية إلى تهذيب قوة الإدراك، وتنمية الخيال، وتقوية الإرادة، وإحياء الشعور، وتربية قوة الحكم في النفوس وتكوين عادات الانتباه، والإخلاص في العمل والمثابرة، وكسب المعرفة وفهمها وهضمها وتمثيلها، للاستفادة منها في الحياة العملية، ولإعداد الفرد للحياة، أي تمرينه على كيفية فهم الحقائق، ولن يكون ذلك إلا بالاعتماد على الإرشاد والتشويق، والدقة في الحكمة، والتعبير عن الأفكار بوضوح وقوة وبلاغة والانتفاع بالمعلومات في الحياة اليومية.

فالتربية العقلية عملية قصدية تهدف إلى تنشئة الإنسان المتكامل، وحيث أن العقل أحد المكونات الأساسية للشخصية الإنسانية، فإن التربية العقلية لم تكن إلا ميداناً رئيسياً من ميادين التربية. فالعقل هو الذي يمكن المرء من معرفة بناء العالم الذي يحيط به، ذلك أن العقل كما يرى ابن سينا هو أصل نظريات المعرفة، وطبيعي أن يكون لكل نظرية من تلك النظريات تطبيقاتها التربوية. والسؤال الذي يطرح نفسه كيف نظر ابن سينا إلى أصل تلك المعرفة وماهيتها وحدودها ودرجة اليقين منها.

وللإجابة عن ذلك نجد أن ابن سينا يرى أن النفس بقواها المختلفة هي وسيلة المعرفة أو الإدراك. فالمعرفة الحسية في نظره هي معرفة مكتسبة، أما المعرفة العقلية فموضوعها المدركات المجردة ووسيلتها ما أودعه الله في الإنسان من قوة نظرية قادرة على تحصيل تلك المعرفة العقلية.

أولاً: نظرة ابن سينا إلى المعرفة العقلية

الواقع أن ابن سينا حدد مقومات عمل المعرفة العقلية، ذلك أن العقل يقوم بتنظيم الاستجابة التي تنتقل إلى داخل الفرد مروراً بالحواس وعن طريقها يقوم بأكثر من ذلك، فهو الذي يصحح الحواس عندما تقع في الخطأ، فالعين ترى العصا مكسورة في الماء، وتحسب السراب ماء، والعقل هو الذي يدرك حقيقة الظاهرة التي أدت إلى انكسار الضوء في الماء، وتلك التي أدت إلى عدم التمييز بين الماء والسراب، من هذا تتضح أهمية العقل للعملية التربوية، ولكن ما هي تلك القوة النظرية (العقل) وكيف حدثت؟ وما مراحل تكوين العقل؟ هل العقل فطري أم مكتسب؟

يرى ابن سينا أن العقل فطري أودعه الله في الإنسان، ولكن العقل الإنساني عند الطفل يبدأ كمجرد استعداد للمعرفة ثم ينمو هذا العقل الإنساني بنمو المعرفة ونمو المدركات:

وهناك أربع مراحل للنمو العقلي وتكوين تلك القوة النظرية الفطرية:

المرحلة الأولى: أن لا يكون لتلك القوة النظرية «العقل» شيء من المعلومات كما هو الحال عند الطفل

حيث لا يوجد عنده معلومات مطلقاً، ولكن فيه مجرد الاستعداد لتلك المعلومات وتسمى تلك القوة النظرية في هذه المرحلة «بالعقل الهيولاني» وهي موجودة لدى كل شخص من النوع الإنساني وهي التي تفرق بين الإنسان وغيره من الحيوانات لا بعلم حاضر ولا بقوة قريبة من العلم بل مجرد الاستعداد له» (الغزالي ١٩٦١، منطق تهافت الفلاسفة). ويضرب ابن سينا مثلاً على ذلك قدرة الطفل الصغير على القراءة والكتابة قبل تعلمه القراءة والكتابة.

المرحلة الثانية: من هذا تتضح أهمية العقل للعملية التربوية، ولا أدل على ذلك من أن تربية من لا عقل له عملية في غاية الصعوبة إن لم تكن مستحيلة مع أن نجاح العملية التربوية يتوقف إلى حد كبير على العقل، إلاّ أنه يمكن القول: إن تنمية العقل تعتمد على التربية، فالمدرسة التي تعود الطلاب على الحفظ الأصم تقف حجر عثرة أمام تنمية عقولهم، بخلاف المدرسة التي تحث طلابها على الابتكار والتفكير الموضوعي السليم، فيصير ما كان بالقوة البعيدة بالقوة القريبة، أي أن العقل الهيولاني قد حصل فيه التصديق بالمعقولات الأولى التي يتوصل منها وبها إلى المعقولات التي تعتمد على المدركات العقلية.

والمعقولات الأولى كما يرى ابن سينا هي المقدمات التي يقع بها التصديق لا باكتساب ولا بأن يشعر المصدق بها أنه كان يجوز له أن يخلو عن التصديق بها، كاعتقادنا بأن الكل أعظم من الجزء وأن الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية. والقوة النظرية عندما تدرك تلك المعقولات الأولى تسمى عند ابن سينا عقلاً بالحكمة (ابن سينا، ١٩٥٢، النجاة).

المرحلة الثالثة: إن الأوليات كما يرى ابن سينا هي قضايا ومقدمات تحدث في الإنسان من جهة قوته العقلية من غير سبب يوجب التصديق بها إلا ذواتها، ومن خصائص العقل أيضاً (الاعتقاد بأن الأشياء هي كما هي، ويقول ابن سينا: إن مبدأ الذاتية وكل ما يتفرع عنه من مبدأ عدم التناقض وما يصدق على الجنس يصدق على النوع، كلها مبادئ مكتسبة في النفس لا بواسطة الملاحظة بل بواسطة الإشراق أي بواسطة نور إلهي(ابن سينا، بدون تاريخ، رسالة في السعادة).

ولما كان العقل يعتمد على هذه المعاني والمبادئ الأولية في القياس، فإن العثور على الحد الأوسط يكون بواسطة إشراق، ولا غرابة في ذلك لأن الأوليات مكتسبة بواسطة هذا الإشراق، أو الإلهام الإلهي الذي يسميه أيضاً حدساً.

لقد اعتمد ابن سينا العقل دليلاً له للكشف عن الحقيقة المودعة في النظام الطبيعي محكماً فيما يشحن من مشكلات الحياة الاجتماعية بعبارة أخرى إنّ العقل عند ابن سينا مدخل للنظر في شؤون الحياة كافة.. الطبيعة والاجتماع والأخلاق، فقد اعتبر العقل بأنه الذي يهدي الناس إلى الأصول العامة للنظر العلمي، بحيث تكون المعقولات النظرية حاصلة في ذهن الإنسان ولكنه غافل عنها، ومع ذلك فإنه متى شاء أحضرها ويسمى العقل في تلك المرحلة (عقلاً بالعقل) ويوضح ابن سينا ذلك بقوله: « وهذا يكون قد حصل فيها (القوة النظرية) الصورة المعقولة الأولية إلا أنه ليس يطالعها ويرجع إليها بالفعل بل كأنها عنده مخزونة فمتى شاء طالع تلك الصورة بالفعل فعقلها، وعقل أنه عقلها، ويسمى (عقلاً بالفعل) لأنه عقل، ويعقل متى شاء بلا تكلف ولا اكتساب»(ابن سينا، ١٩٥٢، النجاة).

المرحلة الرابعة: أن تكون المعلومات حاضرة في العقل، وهو يطالعها، ويداوم التأمل فيها، وهذا هو العلم الموجود بالفعل، الحاضر في كل وقت، يقول ابن سينا في حد هذا العقل «وهو أن تكون الصورة المعقولة حاضرة فيه وهو يطالعها ويعقلها بالعقل، ويعقل أنه يعقلها بالفعل، فيكون حينئذ عقلاً مستفاداً»(ابن سينا، ١٩٥٢، النجاة).

إن هذه المراحل الأربع التي يذكرها ابن سينا ليست متشابهة في جميع العقول، لما كان العقل الفعال هو الذي يمنع الصور للعقول البشرية في هذه العقول الهيولانية ما فيه استعداد شديد يمكنه من أن يتصل بالعقل الفعال دون أن يحتاج إلى كبير شيء، ولا إلى تخريج وتعليم، فكأنه يعرف كل شيء من نفسه، وهذه الدرجة هي أعلى درجات العقول الهيولانية، ويسميها ابن سينا عقلاً قدسياً، «وهو من جنس العقل بالملكة»(ألبير نصري نادر، بدون تاريخ في النفس الإنسانية عند ابن سينا).

ثانياً: الغرض من التربية العقلية

أجمع المؤرخون على أن الغرض من التربية العقلية كسب المعرفة وتهذيب العقل والمهارة في استعمال ما يعرفه الإنسان، «وهذه الأغراض الثلاثة متصلة بعضها ببعض كل الاتصال، وليس الغرض من المعرفة العلم بحقائق مجردة تعرف للنجاح في الامتحان»(محمد عطية الليراني، ١٩٤٣، روح التربية والتعليم).

ومن الخطأ الاعتقاد أن الحفظ هو الوسيلة تكسب العلم والمعرفة، فهناك أشياء كثيرة تتمكن من الحصول عليها عن طريق الخبرة والتجربة لتصل إلى الحقيقة.

فالتربية العقلية لا تهدف إلى الاعتماد على الذاكرة وحدها لخزن المعلومات، بل تهدف إلى إعداد الفرد للحياة، أي تمرينه على كيفية فهم الحقائق عن طريق الإرشاد والتشويق والاعتماد على النفس في التفكير والدقة في الحكمة.

اعتبر ابن سينا العقل بأنه الدليل للكشف عن الحقيقة المودعة في النفس وهو الذي يهدي الناس إلى الأصول العامة للنظر العلمي، وما اهتمام ابن سينا بالعقلانية وبالتفكير الموضوعي إلا دليل على أن العلم الذي يحتوي على حقائق هامة مرتبة ترتيباً منطقياً «نستطيع أن نستخدمها وننتفع بها في أعمالنا وحياتنا اليومية، وسيلة لسعادتنا وسعادة غيرنا، ولا يمكن الوصول إلى هذا النوع من العلم إلا بالتفكير والنشاط الفعلي»(محمد عطية الليراني، ١٩٤٣، روح التربية والتعليم).

إن مواهب ابن سينا تتلخص في ذلك الذكاء النادر، والذاكرة القوية، والعقل الخصب الذي أدى إلى إبراز أهمية التساؤل من حيث هي مَعْلَمة من معالم الحياة العقلية بما فيها من مؤثرات وتأثيرات، وبما اشتملت عليه من تطورات ونهضات، وكان ابن سينا يعيش في قمة هذا الطور الشامخ من الثقافات إذ كان العصر كله مصدراً في نفسه وكتبه.

فالتربية الإسلامية تُعلي من شأن العقل، والقرآن الكريم يشير في عشرات الآيات إلى العمليات العقلية مثل التفكير والتدبير والتأمل، ومع أن لفظة عقل لم ترد في القرآن الكريم إلا أن الأفعال الدالة على العقل وردت في عدد من الآيات. وقد شبه القرآن الكريم من يعطلون عقولهم ولا يستخدمونها في مجالاتها الصحيحة بالأنعام، بل هم أضل سبيلاً. ويلخص صلاح الدين المنجد موقف القرآن من العقل بقوله: «وعلى هذا نرى أن الفعل عقل قد استعمل في القرآن الكريم إما بمعنى الفهم والإدراك والعلم، وإما بمعنى التمييز بين الخير والشر وإمساك النفس عن الأمور القبيحة، وفي جميع هذه المواضع يلح القرآن الكريم إلحاحاً متواصلاً على استعمال العقل، وعلى الفهم والتمييز بين الخير والشر» (صلاح الدين المنجد، بدون تاريخ، الإسلام والعقل).

إن الإنجازات العلمية التي حققها العلماء العرب كانت نتيجة التأمل والنظر والحذق في جميع العلوم المعرفية والفلسفية، والحق لقد كانت حياة ابن سينا الفكرية خصبة جداً.

وإن جميع مؤلفاته كانت تهدف إلى رسم صورة شاملة للكون في مجموعة.

زد على ذلك فإن ابن سينا يرى أن ليست الغاية من تربية الوظائف العملية إلا اكتساب وسائل الصدق والمعرفة والمهارات العلمية لتنمية القدرات العقلية لدى المتعلم، ذلك أن الإفرازات الاجتماعية لعصر العقل كانت أخطر بكثير من إفرازاته العقلية والمعرفية، هذه الإفرازات التي تمثلت في نظرية (العقد الاجتماعي) ونظرية (الإرادة العامة).

والحق أنه ليس الغرض من دراسة المواد النظرية والعلمية التربية العقلية فحسب، ولكن الهدف المرسوم معرفة تلك المواد معرفة جيدة تؤدي إلى الاستفادة منها عملياً وعقلياً ووجدانياً ولغوياً في جميع الاتجاهات التربوية.

ثالثاً: ملامح التربية العقلية

ما أراده ابن سينا من التربية العقلية لم يكن تربية الفكر فحسب، بل إتقان المهارة والانتفاع بالأفكار التي تحصل عليها ونفهمها. وللوصول إلى تلك المهارة نحتاج إلى الكثير من التمرين والعمل، والدقة والسرعة، والفراسة، وحسن الحكم، وسرعة الخاطر، وحضور البديهة(محمود عبد اللطيف، ٢٠٠٧، الفكر التربوي عند الفارابي).

قديماً اهتم المربون الغربيون في القرون الوسطى في التربية العقلية، إذ عنوا بدراسة اللغات بجميع فروعها لمساعدة التلميذ في تربية العقل وتقوية قواه العقلية، ليكون قادراً على القيام بما يطالب به من أعمال، وهذا يتطلب معرفة الجوانب التربوية وفهمها بشكل جيد لأنها تسهم في كسب المعارف، وتربية قوة الحكم في النفوس وإعداد الفرد للحياة وتمرينه على كيفية فهم الحقائق لمعرفة بناء العالم الذي يحيط به.

فالعقل هو وسيلة الإدراك النظري للفرد، وهو ينتقل من الأمور الحاضرة إلى الأمور غير الحاضرة، وهذا الانتقال كما يقول ابن سينا: «لا يخلو من ترتيب فيما يتصرف فيه وهيأه، وذلك الترتيب والهيئة قد يقعان على وجه الصواب، وقد يقعان لا على وجه صواب، وكثيراً ما يكون الوجه الذي ليس بصواب شبيهاً بالصواب أو موهماً أنه شبيه به، فالمنطق علم يتعلم فيه ضروب الانتقالات من أمور حاصلة في ذهن الإنسان إلى أمور مستحصلة وأحوال تلك الأمور وعدد أصناف ترتيب الانتقالات فيه وهيئته جاريان على الاستقامة وأصناف ما ليس كذلك» (ابن سينا ، ١٨٩٢،الإشارات والتنبيهات).

ولأهمية المنطق في اكتساب المعرفة العقلية وفهمها وهضمها وتمثيلها للاستفادة منها في الحياة العملية، أفرد ابن سينا بحوثاً مستفيضة في كتبه تناول فيها مدلول الكلمة، وعلاقة اللغة بالمنطق، وأشكال القياس، ومواده، والاستقراء والبرهان، وهذا ما أراد تحقيقه والوقوف عنده.

فالتربية العقلية تتمثل أولاً في المدركات العقلية، فالعقل قوة مستقلة في إدراكه عن بدن الإنسان، وهو موجود لدى كل إنسان، والعقل هو وسيلة الإدراك العقلي، ويرى ابن سينا أن الإنسان يولد وعنده القدرة على الإدراك العقلي، أو عنده (القوة النظرية) على حد تعبيره، وأن أول ما يحصل في هذه القوة النظرية من المعقولات ما سمّاه «ببداية العقول أو الآراء العالية» وهو يعني بها تلك المعاني المتحققة بغير حاجة إلى القياس والتعلَم، والتربية العقلية ميدان رئيسي من ميادين التربية لأنها توصل الإنسان إلى الحقيقة عن طريق أحكام القياس ومعرفة المنطق، وهذا ما يرشده إلى البرهان الفعلي الصحيح.

إن ما جاء به ابن سينا وما دعا إليه ومارسه من أساليب تربوية يدلنا على أساليب وطرائق التعليم الصحيحة، وتعدد الطرق التربوية والتعليمية بتعدد الفلسفات في هذا الميدان، وهذا يمثل حجر الزاوية في بناء شرخ الفلسفة التربوية الصحيحة، وستظل أفكار الشيخ الرئيس العقلانية والحقانية تتبوأ الصدارة حتى يطل على العالم الإسلامي عبقري جديد يفعل ما فعله ابن سينا في عصره.

إن المعقولات الأولية هي في منتهى الأهمية عند ابن سينا لأنها مقدمات للقياس الذي يوصل إلى (المعرفة العقلية) ولذا وقف ابن سينا عند هذه المعقولات الأولى يبحث عن مصدرها: من أين أتت تلك المعقولات الأولى إلى العقل؟

هل أدركها من المحسوسات ثم جردها وحولها إلى معقولات؟ أم أنها فطرية غير مكتسبة حصلت بنبض علوي عن طريق الإلهام؟ أم أنها فطرية ومكتسبة معاً؟ (عبد الرحمن النقيب، ٢٠٠٢، الفكر التربوي الإسلامي).

ويرى ابن سينا أن تلك المعاني الكلية الأولية لو كانت مستفادة من استقراء الجزئيات الحسية أو تجريدها لما وثق بها الإنسان ثقة مطلقة مطبوعاً على البحث عن أصل كل شيء وعن علته بدون أن يقتصر على الانقياد والتقليد، وأنه لا يأخذ بأي شيء حتى يحكّم عقله به، وإن لم يجزه أهمله ورماه، ولا يجعل الشيء الجائز كالشيء الذي تثبته الأدلة ويخرجه البرهان من باب الإنكار. ويقول شفيق جبري في هذا الصدد:

«فالأدلة والبراهين عن أعمال العقل، إنما هي طريقة ديكارت ملاكها العقل ومدار طريقته على هذه الكلمة لا تصدق إلا ما كان واضحاً، صدق ما كان واضحاً» (شفيق جبري، ١٩٤٨، الجاحظ معلم العقل والأدب)..

كما يرى ابن سينا أن المعاني الكلية لا تقبل الشك أو الخطأ شأن غيرها من المدركا الفكر التربوي عند ابن سينا – م١٦: «الجوهر العقلي تجده عند الأطفال خالياً عن كل صورة عقلية، ثم نجد فيه المعقولات البديهية من غير تعلم ولا تروية، فلا يخلو إما أن يكون حصولها فيه بالحس والتجربة وإما أن يكون بفيض إلهي متصل». فالوضوح إنما هو أصل الأمر في اليقين، فما ينبغي لقوة من القوى الظاهرة أن يكون لها سلطان على حرية تفكيرنا، وما القوى الظاهرة إلا السلطة والأوهام والمصلحة والأحزاب، فما أشبه قول ديكارت: «لا تصدق إلا ما كان واضحاً».

يقول الجاحظ: «لا أجعل الشيء الجائز كالشيء الذي تثبته الأدلة...» (قدري طوقان، ١٩٦٠، مقام العقل عند العرب).

وكان ديكارت يقول: «بعدم التسليم بشيء إلا بعد فحصه بنور العقل وتحقق وجوده، ويرفض كل ما قام على الظن والتخمين، وما أَلِفَته العادة وأتى من العرف».

كان ابن سينا نظاراً محققاً وكان منهاجه في العلم مطولاً واسعاً، يتناول كل ما يقع عليه الحس، وتنظره العين، وتتشوق إليه النفس، وليس نظره في كل ما عانى النظر المجرد، بل نظر الفلسفة والغرائب، ويبحث فيكشف عن الحقائق إلا داعياً إلى استعمال العقل، وتجويد الفكر لأنه مع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة وفي التفكير «مشحذة للأذهان»، ومنبهة لذوي الغفلة وتحليل لعقدة البلادة، وسبب لاعتياد الروية، وانفساح في الصدر، وعزاء في النفوس، وحلاوة تقتاتها الروح وثمرة تغزو العقل.

فالعقل الإنساني يتلقى تلك البديهيات من «العقل الفعال» والعقل هو القادر على ترتيب المقدمات معتمداً على تلك البديهيات ليصل إلى نتائج جديدة يقينية تصبح فيما بعد «بديهيات جديدة» يستخرج منها نتائج.

رابعاً: علاقة التربية العقلية بالتربية العلمية

استخدم ابن سينا الخبرات التربوية العملية ميداناً لتطور الشخصية واعتماد المنهج العلمي الذي يقوم على الملاحظة والتجريب في كثير من الأحيان للوصول إلى الحقيقة بتحكيم المنطق واعتماد البراهين والأدلة الموضوعية. وفي الحضارة الإسلامية لا يبتعد ابن سينا والفارابي عن أن يكونا فيلسوفين تامي الشروط وخاصة ابن سينا عظيم العظماء الذي أحاط بمعارف عصره ومجتمعه وتاريخه.

فهو لا ينظر إلى الأمور الغيبية وطريقه هو التعلم وليس الحدس، وكان يفرق بين الإدراك الحسي والإدراك العقلي، فالإدراك الحسي وسيلة الحواس الباطنة والظاهرة، وموضوعه المواد أو المحسوسات، أما الإدراك العقلي، فوسيلته العقل مستعيناً بالمنطق، وموضوعه المعنويات أو المدركات غير الحسية. فالحقيقة هي ضالته للكشف عن الفوائد المرجوة من إثارة النظرة التربوية والتعليمية، وكانت إشارته إلى العلوم التطبيقية والبحث في مضامينها تتدرج

تحت عناوين عامة، وكأنه يريد من الإيماء أن الإنسان يحتاج إلى نتائجها والاستفادة منها.

والحق أن علماء التراث سجلوا سبقاً جوهرياً في قضيتين مهمتين هما المقاربة والموضوعية في البحث العلمي التجريبي، وابن سينا لم يقنع من العلم بالملاحظة والتدوين بل بالممارسة والتجريب للوصول إلى الحقيقة. فهو يعتمد ما أراد وما أريد منه، وكأنه المغني الحجة يستغني في علوم الدنيا، دائماً والآخرة فلا يلحق غبار أحد (محمد كرد علي ١٩٦٩، آراء البتان).

فالعملية التربوية كما يراها ابن سينا مطبوعة على البحث، عن أصل كل شيء وعن علته، دون أن يقتصر على الانقياد والتقليد، وفي مواضع كثيرة من مؤلفاته كان يرد الرأي إلى العقل ولا يأخذ بأي شيء حتى يحكم عقله. وكان يذهب في العلم وفي الدين وفي التربية وجوانبها المتعددة مذهب العقل لا يحكم غيره، وظلت آراؤه في البحث العلمي منهاجاً علمياً للباحثين المربين وكان يدعو إلى التخصص والثقافة العامة، وأن العقل يستعين بالمدركات الحسية بعد أن يجردها من علائق المادة في تكوين بديهيات تصلح أن تكون مقدمات لمعرفة عقلية جديدة. والمنطق هو الآلة التي تعصم العقل من الوقوع في الخطأ.

كما أنه يرى أن الإدراك الحسي لا يتم إلا بتوسط آلات جسدية، أي أن الجسم بأعضائه له دخل في اكتساب المعرفة الحسية، أما الإدراك العقلي فهو مستقل عن الجسم وآلاته، والعقل جوهر مستقل فطري في كل إنسان ولكنه يقوم بالتعلم.

لقد أدرك ابن سينا العلاقة القائمة بين العلوم النظرية والعلوم العملية.

ويرى أن التخصص لا يعني انفصال هذه العلوم عن بعضها، وهي متصلة بعضها ببعض، متعاونة في إدراك الحقيقة والوصول إليها، وبعض تلك العلوم ضروري للبعض الآخر.

- فالعلوم العملية وهي ثلاثة أقسام؟

١- قسم يعرف به الإنسان كيف ينبغي أن تكون أخلاقه وأفعاله حتى تكون حياته الأولى والأخرى سعيدة.

٢- قسم يعرف به الإنسان كيف ينبغي أن يكون تدبيره لمنزله المشترك بينه وبين زوجه وولده ومملوكه حتى تكون حاله منتظمة مؤدية إلى التمكن من كسب السعادة.

٣- وقسم يعرف به الإنسان أصناف السياسات والرئاسات والاجتماعات والمدنية الفاضلة ويعرف وجه استيفاء كل واحد منها وعلة زوالها وجهة انتقاله.

- أما العلوم النظرية، فقد تناولت العلم الطبيعي، ويشتمل على أقسام تقوم منه مقام الأصل من الدراسة وأقسام أخرى فرعية تتفرع منها وهي:

- العلوم الطبيعية الأصلية، والعلوم الطبيعية الفرعية.

فالعلوم الطبيعية الأصلية قسمها ابن سينا إلى ثمانية أقسام منها:

- قسم يعرف منه الأمور العامة لجميع الطبيعيات كالمادة، والصورة، والحركة والطبيعة، والإنسان ويشتمل عليه كتاب (سمع الكيان).

- وقسم يعرف منه أحوال الأجسام التي هي أركان العالم وهي السموات وما فيهن ويشتمل عليه كتاب «السماء والعالم».

- وقسم يعرف منه حال الكون والفساد والتوليد والنشوء... الخ ويشتمل عليه كتاب (الكون والفساد).

- وقسم يعرف منه حال الكائنات المعدنية ويشتمل عليه كتاب المعادن.
- قسم يعرف منه حال الكائنات النباتية والحيوانية ويشتمل عليه كتاب النبات وكتاب الحيوان ويذكر ابن سينا أن العلوم الطبيعية الفرعية تشمل:
- الطب – والغرض منه معرفة مبادئ البدن الإنساني وأحواله من الصحة والمرض وأسبابها ودلائلهما ليدفع المرض ويحفظ الصحة.
- أحكام النجوم: وهو علم تخميني والغرض منه الاستدلال من أشكال الكواكب بقياس بعضها إلى بعض، وبقياس إلى درج البروج، وبقياس جملة ذلك إلى الأرض لمعرفة ما يكون من أحوال العالم والبلدان والمواليد والتحاويل والاختبارات والمسائل «عبد الرحمن النقيب، ٢٠٠٢، الفكر التربوي العربي الإسلامي.
- علم الفراسة: والغرض منه الاستدلال من الخلق على الأخلاق.
- علم التعبير: الغرض منه الكشف عن التخيلات الحكيمة على ما شاهدته النفس من علم الغيب.
- علم الكيمياء: والغرض منه سلب الجواهر المعدنية خواصها وإفادتها خواص غيرها، وإفادة خواص بعض ليتوصل إلى اتخاذ الذهب والفضة من غيرها (ابن سينا، بدون تاريخ، أقسام العلوم العقلية).

أما العلم الرياضي، فيتناول علوم ومباحث أصلية وعلوم ومباحث فرعية، فالعلوم الرياضية الأصلية تضمنت علم العدد، علم الهندسة، علم الهيئة، علم الموسيقى، أما العلوم الرياضية الفرعية، فهي متفرعة من العلوم الرياضية الأصلية، فيتفرع من علم العدد: علم الجمع والتفريق وعلم الجبر والمقابلة ويتفرع من علم الهندسة: علم المساحة، وعلم الحيل المتحركة، وعلم جر الأثقال وعلم الأوزان والموازين، وعلم الآداب الجزئية وعلم المناظر والمرايا، وعلم نقل المياه.

- ويتفرع من علم الهيئة: علم الزيجات والتقاويم.

- ويتفرع من علم الموسيقى: اتخاذ الآلات العجيبة الغريبة مثل الأرغل وما أشبهه (ابن سينا، بدون تاريخ، أقسام العلوم العقلية).

فقد ذكر ابن سينا العلوم والمناهج المتعددة التي تشمل على العلوم النظرية والعملية، وهي تعتمد أصلاً على المنطق اليوناني وعلى الكتب والمراجع الفلسفية، وذكر أيضاً أمام كل علم مرجعه الأصلي أو الكتاب المعتمد في هذا الاتجاه الطويل بأنواع تلك العلوم النظرية والعملية.

إن الحركة التربوية في القرن الرابع الهجري تناولت جميع الاتجاهات المختلفة، فهو لم يكتب ما كتب إلا بعد الدرس الطويل، والخبرة الواسعة، فقد كانت نظرته التربوية واضحة في أغلب مؤلفاته التي لم تكن للعامة دون الحاجة، واهتم الخاصة في كل شيء وأجرى تجاربه العلمية لتكون لبنة في فكره التربوي، وأحاط بأكثر ما كان في أيدي عصره من ثقافات ومعارف تربوية، وعرف ما كان في زمنه في الأرض من أعاجيب قلّما عرفها إنسان عصره، وهو لم يحتقر شيئاً يدخل في باب العلم والثقافة، ولم يستنكف أن يأخذ من صغار الناس كما يأخذ من كبارهم، وكشف كل غامض واستقرأ كل باب واستنبط العديد من مجاهل العلم.

تناول ابن سينا الجوانب التربوية، فجاءت تجاربه وتحرياته وتحقيقاته ومعايناته في إطار نظرته التربوية، لكن ليس بالمعنى الحديث لمعنى التربية، فهو من رواد الحقيقة يحاول الوصول إليها عن طريق التجربة وغير التجربة، وبمعرفة المادة ومعونة العقل، وإنه كان كذلك دقيق الملاحظة يبتعد عن الهوى ويتنزه عن الغرض في

كل ما يجرب أو يمحص، وفي تجربته وعيانه وسماعه ونقده وشكه وتعليله كان يطلع علينا في صورة العالم الذي يعمل عقله في البحث عن الحقيقة. هدفه إعداد الفرد للحياة، أي تمرينه على كيفية فهم الحقائق.

بالاعتماد على الإرشاد والتشويق، وتعويده الاعتماد على نفسه في التفكير، والدقة في الحكمة والتعبير عن أفكاره بوضوح وقوة وبلاغة والانتفاع بالمعلومات في حياته اليومية.

إن التراث العربي التربوي أصيل في أساسياته ومنطلقاته، فهو تجريبي واقعي في وسائله وأساليبه وفكره وأعماله، وهو دعوة وبيان وتربية ومسؤولية علمية في بناء الذات الإنسانية لتأصيل التراث التربوي والإفادة من قواعده في صياغة النفس فكراً وسلوكاً وتواصلاً.

وعصرنة التراث تعني اختيار ما في التراث من نماذج وأصول اختياراً قائماً على الفهم والتمييز والفرز والتبويب والتقويم التحليلي الأمين البعيد عن الأهواء العارضة. ومن ثم ترسيخ أكثر عناصر التراث قدرة على الإسهام في تغيير واقعنا باستخدام المنهج في التفكير.

إن غنى التراث العربي الإسلامي بأعلام التربية ومؤلفاتهم الضخمة وفي طليعتهم الشيخ الرئيس (ابن سينا) جدير أن يبذل لها المربون والباحثون جهودهم وقدراتهم لتقديم دراسات وتحقيقات تربوية من التراث وهي إذ تعد نواة في عمل تربوي واسع الأفق متعدد الأبعاد فإنها تدفعهم إلى مزيد من العمل التراثي في مجال التربية، ومن المفيد أن يطلع المربي على دراسات تربوية من التراث مقارنة بالتربية الحديثة لا للكشف عن أحقية تراثنا وسبقه إبداعه وحسب وإنما ليتابع مربونا المعاصرون هذه الدراسات ويربطوا بين ماضي التربية وحاضرها، مستفيدين من نتاج العقل الحديث، وتجارب الإنسان التربوية العامة التي يمكنها ان تتلاءم مع قيمنا وأصالتنا.

وبذلك تستطيع أن تواجه التحديات التي تتعرض لها إذا تسلح أبناؤها بالعزيمة والإرادة والتصميم والثقة بالغد والمستقبل.

المصادر والمراجع

١- أمين أحمد، ١٩٥٠، مؤلفات ابن سينا، جامعة الدول العربية.

٢- آل ياسين جعفر، ١٩٨٣، دار الأندلس للطباعة والنشر ص ٦٨.

٣- ابن أصيبعة، عيون الأنباء، ج٢ ص ٤.

٤- ابن أصيبعة، ١٩٥٦، عيون الأنباء، دار الفكر بيروت ص ٣٤٣.

٥- آل ياسين جعفر ١٩٨٤، حياة ابن سينا وفكره الفلسفي، الناشر دار الأندلس للطباعة ص ٢٢.

٦- الأنطاكي، داوود بن عمر، ١٩٥٢، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب الناشر، مطبعة مصطفى الباني.

٧- الأهواني، أحمد فؤاد، ١٩٥٥، في رسالته «التربية في الإسلام أو التعليم في رأي النابلسي القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

٨- ابن سينا، الحسين بن علي ١٢٩٤هـ، القانون في الطب، دار صادرة بيروت، الجزء الأول والثاني ص١٥٠ - ١٥٤.

٩-ابن سينا ١٢٩٤هـ، كتاب القانون في الطب ج٢ ص ٣٩.

١٠- ابن سينا ١٢٩٤، كتاب القانون في الطب، الجزء الأول ص ١٥٠.

١١- ابن سينا، كتاب السياسة، فصل سياسة الرجل وولده.

١٢- ابن سينا، بدون تاريخ، مجموعة رسائل في الحكمة، والبيهقي وابن القطيف، وطبقات الأطباء الجزء الثاني ص ٦.

١٣- أبو العطا عبد الدايم، ١٩٤٨، أهداف الفلسفة الإسلامية نشأتها وتطورها.

١٤- أحمد سعد مرسي ١٩٦٦، تطور الفكر التربوي، الناشر عالم الكتب القاهرة ص ٥٥٦ - ٥٥٧.

١٥- أولبري دبلاسي ١٩٦١، الفكر العربي ومكانته في التاريخ ترجمة تمام حسان الناشر عالم الكتب ص ٢٨٦.

١٦- آل ياسين جعفر ١٩٨٣، فيلسوفان رائدان الكندي والفارابي ص ٢٨١ الناشر دار الأندلس للطباعة والنشر.

١٧- الأنطاكي: داود بن عمر ١٩٥٢، تذكرة أولي الألباب، والجامع للعجب العجاب، الناشر مطبعة مصطفى الباني، ١٢٩٤هـ.

١٨- ابن سينا، كتاب القانون، ج١ ص ١٥٧.

١٩- ابن سينا، كتاب السياسة فصل سياسة الرجل ولده.

٢٠- ابن سينا، ١٩٥٢، النجاة، رسالة العروس، نشر شارل كونس، مجلة الكتاب ص ١٦٦.

٢١- ابن سينا بدون تاريخ، رسالة في السعادة.

٢٢- ابن سينا، ١٩٥٢، النجاة، رسالة العروس، الناشر شارل كونس، مجلة الكتاب، ص ١٧٨.

٢٣- ابن سينا، بدون تاريخ، أقسام العلوم العقلية ص ٢٣٢، تسع رسائل في الحكمة والتطبيقات.

٢٤- ابن سينا، بدون تاريخ، أقسام العلوم العقلية ص ٢٣٧.

٢٥- ابن سينا ١٨٩٢، الناشر مطبعة ليدن، النجاة ص ٣٠٨.

٢٦- ابن سينا، ١٩٠٦، كتاب السياسة، الناشر لويس معلوف، مجلة المشرق ص ١٠٧.

٢٧- ابن سينا، ١٨٩٢، الناشر مطبعة ليدن، النجاة، ص ٣٠٤.

٢٨- ابن سينا، ١٩٢٢، رسالة العروس، الناشر شارل كونس، مجلة الكتاب، أبريل ص ٣٩٨.

٢٩- ابن سينا ١٣٣٥هـ، رسالة الشفاء، جامع البدائع، القاهرة الجزء الثاني ص ٥٦١.

٣٠- ابن سينا، ١٢٩٤هـ، رسالة الشفاء، جامع البدائع، القاهرة الجزء الثاني ص ٥٦١.

٣١- ابن سينا، ١٢٩٤هـ، كتاب القانون في الطب ج١ ص ١٥٩.

ابن سينا، ١٢٩٤هـ، كتاب القانون ج١ ص ١٧٨.

٣٢- ابن سينا، ١٢٣٨هـ، علم الأخلاق، الرسالة السادسة من مجموعة الرسائل القاهرة، نشر مطبعة كروستان العلمية ص ١٩٣ - ١٩٧.

٣٣- ابن سينا، ١٩٥٠، لمن تكون لـه المدحة من كتاب المجموع أو الحكمة العروضية في كتاب القاهرة، نشر مكتبة النهضة المصرية ص ٥١ - ٦٤.

٣٤- ابن سينا، ١٣٢٨، علم الأخلاق، القاهرة، نشر مبطعة كردستان ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

٣٥- ابن سينا، ١٩٠٦، كتاب السياسة، نشر لويس معلوف، مجلة المشرق ص ٩٧٢ - ٩٧٣.

٣٦- ابن سينا، ١٣٢٨هـ علم الأخلاق، القاهرة، نشر مطبعة كردستان ص ١٩٥ - ٢٠٠.

٣٧- ابن سينا، ١٩٥٢، رسالة العروش نشر شارل كرنس مجلة الكتاب ص ٣٨٠.

٣٨- ابن سينا: ١٢٩٤، كتاب القانون ج١ ص ١٥٧.

٣٩- ابن سينا: كتاب السياسة فصل سياسة الرجل ولده.

٤٠- ابن سينا: كتاب السياسة.

٤١- ابن سينا: ١٢٩٤، القانون في الطب - نشر دار صادر بيروت ج١ ج٢ ص ١٥١.

٤٢- ابن سينا ٣٧٢هـ، البرهان من الشفاء، القاهرة، نشر المطبعة الأميرية ٣٧٥هـ ص ٥٧ وما بعدها.

٤٣- ابن سينا: رسالة في السعادة ص ٢ - ٣.

٤٤- ابن سينا: ١٣٦٩هـ آراء ابن سينا في الحكم نشر مطبعة الزهراء النجف ص ٨١.

٤٥- ابن سينا: ١٣٠٥ دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية بهامش منافع الأغذية ودفع مضارها لأبي بكر الرازي - القاهرة، نشر المطبعة الخيرية هـ - ص ٧٣.

٤٦- آل ياسين جعفر، ١٩٨٤، دراسة تحليلية لحياة ابن سينا وفكره الفلسفي، الناشر دار الأندلس للطباعة والنشر ٢ و١٠٧.

٤٧- ابن سينا، ١٢٩٤هـ، القانون في الطب، الناشر مطبعة بولاق.

٤٨- ابن أبي أصيبعة، ١٩٥٦، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الناشر دار الفكر - بيروت، ص ٣ و٢٩.

٤٩- البيهقي ظهر الدين، ١٩٤٦، تاريخ حكماء الإسلام، الناشر مطبعة الترقي بدمشق ص ١٠١ و١٠٢، ١٠٣.

٥٠- ابن أبي أصيبعة، ١٢٩٩هـ - عيون الأنباء الناشر، المطبعة الوهابية القاهرة، ص٢، ابن سينا، بدون تاريخ، الشفاء.

٥١- ابن سينا بدون تاريخ، الإشارات.

٥٢- الناتلي أبو بعد الله، بدون تاريخ، تاريخ حكماء الإسلام.

٥٣- أحمد السيد محمود، ١٩٩١، في قضايا التربية المعاصرة، الناشر، دار الندوة للدراسات والنشر، ص ١٦.

٥٤- الفحام شاكر، ١٩٨١، في ذكرى ابن سينا الألفية ، الناشر، مطبعة الكتاب العربي دمشق ص ١٠.

٥٥- العقاد عباس محمود ١٩٥٢، الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لابن سينا، بغداد ص ٢٢.

٥٦- أولبري بلامسي، ١٩٦١، الفكر العربي ومكانه في التاريخ، الناشر، عالم الكتب ص ٢٨١.

٥٧- الأندلسي ابن صاعد، ١٩١٧، الكلام عند العرب، الناشر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص ٤١، ٦٤.

٥٨- ابن سينا ١٣٦٩هـ، آراء ابن سينا في الحكم نشر مطبعة الزهراء النجف ص ٨١.

٥٩- ابن سينا، ١٩٥٢، المهرجان الألفي لذكرى ابن سينا، بغداد نشر الجامعة العربية ص ٢٦٠.

٦٠- المنظمة العربية للتربية والثقافة العلوم، ١٩٨٧، الفكر التربوي العربي الإسلامي، تونس ٤٩٢.

٦١- الجوزية ابن قيم ١٣٨٩هـ، تحفة المردود بأحكام المولود – نشر المطبعة الهندية ص ١٤٤ ت ١٤٥.

٦٢- الخوري أنطون بدون تاريخ أعلام التربية، دار الكتاب اللبناني – بيروت.

٦٣- الخضيري محمد محمود ١٩٥٢، سلسلة متصلة من تلاميذ ابن سينا في مائتي عام ضمن الكتاب.

٦٤- المهرجان الذهبي الألفي لذكرى ابن سينا بغداد ص ٥٤ – ٥٥.

٦٥- الخونساري محمد يافي بدون تاريخ روضات الجنات ص ١٤٠.

٦٦- ابن سينا، ١٩٥٢، الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لذكرى ابن سينا بغداد الناشر الجامعة العربية ص ٥، ٧، ١٠.

٦٧- ابن سينا، ١٩٥٢، الناشر، الجامعة العربية.

٦٨- الرازي أبو بكر، ١٩٦٢، الناشر مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الركن والهند ثلاثون جزءاً.

٦٩- الزركلي، خير الدين، بدون تاريخ، كتاب الإعلام ج٧، ص ٢١.

٧٠- السيد محمود أحمد، ١٩٩١، في قضايا التربية المعاصرة، نشر دار الندوة والدراسات والنشر دمشق، ص ٤٢.

٧١- الشطي أحمد شوكت، بدون تاريخ، تاريخ الطب وآدابه وألامه نشر مديرية الكتب والمطبوعات، جامعة حلب ١٩٨٢.

٧٢- ابن رشد، بدون تاريخ، فصل المقال ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ضمن كتاب فلسفة ابن رشد القاهرة، نشر مكتبة صبيح ص ٢ – ٨.

٧٣- ابن صاعد الأندلسي ١٩١٧، العلوم عند العرب: من كتاب جورجي زيدان طبقات الأمم – نشر المطبعة الكاثوليكية، بيروت ص ٤١ – ٦٤.

٧٤- العقاد عباس محمود، بدون تاريخ، التفكير فريضة إسلامية، نشر دار القلم العربي طبعة أولى القاهرة ص ٤١ – ٤٢.

٧٥- ابن أصيبعة، ١٩٥٦، عيون الأنباء: ج٢ ص٦ الوافي بالوفيات ج٢ ص ٣٩٦ – ٣٩٧.

٧٦- الغزالي، ١٩٦١، تهافت الفلاسفة، المسمى معيار العلم، نشر سليمان دينا، القاهرة، دار المعارف، ص ٢٨٨.

٧٧- الفارابي ١٩٨٥، تحقيق جعفر آل ياسين، ص ١٢.

٧٨- الفكر التربوي العربي الإسلامي، ١٩٨٧، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تحقيق عادل العوا تونس ص ٢٢٧.

٧٩- الفكر التربوي العربي الإسلامي/١٩٨٧، الأصول والمبادئ تونس ص ٤٢٢.

٨٠- الفكر التربوي العربي الإسلامي /١٩٨٧/ الأصول والمبادئ تونس ص ٤٨٠.

٨١- الفارابي، ١٩٥٩، آراء أهل المدينة الفاضلة تحقيق ألبير نصري نادر، نشر المطبعة الكاثوليكية بيروت ص ٢٥ – ٤٦.

٨٢- الفاخوري حنا، خليل الجر، ١٩٥٨ تاريخ الفلسفة العربية، نشر دار المعارف بيروت ح١ ص ١٢٥.

٨٣- الفارابي، ١٣٢٨هـ، ما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة، القاهرة، نشر المكتبة السلفية ص ٢.

٨٤- الفارابي، ١٣٢٨هـ، ما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة، القاهرة، نشر المكتبة السلفية، ص ١٤.

٨٥- الفنتيل محمد فوزي ١٩٦٦، التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها القاهرة، نشر مكتبة مصر ص ١٥.

٨٦- الناتلي أبو عبد الله، بدون تاريخ، تاريخ حكماء الإسلام.

٨٧- النقيب عبد الرحمن، ٢٠٠٢، الفكر التربوي الإسلامي، نشر دار الفكر العربي، القاهرة.

٨٨- النحلاوي عبد الرحمن، ١٩٨٣: أصول التربية الإسلامية، نشر دار الفكر دمشق.

٨٩- النقيب عبد الرحمن، ٢٠٠٤، الفكر التربوي، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٤٠ – ٤١ – ٤٢.

٩٠- النشار علي سامي، ١٣٦٧هـ، مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسطاليس، نشر دار الفكر

العربي، القاهرة، ص٣.

٩١- النـاتلي أبـو عبـد الله بـدون تـاريخ: تـاريخ حكمـاء الإسـلام - ٣٧ - ٣٨ - والنـاتلي نسـبة إلـى ناتـل مدينـة بطرسـتان (معجـم البلدان).

٩٢- الهاشـمي عبـد الحميـد: بـدون تـاريخ «صـبغ علـم الـنفس بالصـبغة الإسـلامية» نشـر فـي إسـماعيل القـاروني العلـوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية ص ٩٥ - ٩٦.

٩٣- الفحام شاكر ١٩٨١، أسبوع العلم العشرون ابن سينا، نشر مطبعة الكاتب العربي ص ١٩، الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لذكرى ابن سينا ٨ - ٤١.

٩٤- اللبان إبراهيم عبد المجيد، ١٩٥٤، الفلسفة والمجتمع الإسلامي، مكتبة النهضة القاهرة.

٩٥- ابن مسكويه: ١٩٥٩، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، القاهرة، نشر مكتبة صبيح ص ١٦ - ٨.

٩٦- البستاني: بطرس، بدون تاريخ، كتاب تاريخ العلوم عند العرب ١٢٨ و٢٥٣.

٩٧- البابا محمد زهير، ١٩٨٤ مؤلفات ابن سينا الطبية، منشورات جامعة حلب.

٩٨- البستاني بطرس، بدون تاريخ، دائرة المعارف، دار المعرفة، لبنان، مجلد ٥٣٥/١.

٩٩- البخاري صحيح ١٣٥١هـ، نشر الطبعة العثمانية المصرية الجزء الرابع ص ٣٧.

١٠٠- البابا محمد زهير، ١٩٨٤، مؤلفات ابن سينا الطبية، منشورات جامعة حلب.

١٠١- بامات حيدر، بدون تاريخ في مجلة الإسلام، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة نشر، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥ - ١١٩ - ١٨٧.

١٠٢- المنصور وسمية عبد المحسن، ٢٠٠٠، توظيف المأثور القولي في تنمية لغة الطفل، مجلسة عالم الفكر ص ١٤١.

١٠٣- بكار عبد الكريم، ٢٠٠١، التربية والتعليم، نشر دار القلم دمشق.

١٠٤- بكار عبد الكريم، ٢٠٠١، التربية والتعليم، نشر دار القلم بدمشق.

١٠٥- بدوي عبد الرحمن، بدون تاريخ، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية مجلد ١.

١٠٦- بدوي عبد الرحمن، بدون تاريخ موسوعة الحضارة العربية الإسلامية مجلد ١.

١٠٧- بدوي عبد الرحمن، بدون تاريخ، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية مجلد ١.

١٠٨- بكار عبد الكريم، ٢٠٠١، المسلمون والتحدي، الناشر، دار القلم بدمشق، ص ٤٩.

١٠٩- بكار عبد الكريم، ٢٠٠١، التربية والتعليم، الناشر، دار القلم بدمشق ص ٤٠.

١١٠- جواد مصطفى، ١٩٦٥، العقلية والحال الاجتماعية في عهد ابن سينا، الناشر، مجلة المجمع العلمي العراقي بغداد، ص ٢٠٨.

١١١- حاج أحمد محمد أبو القاسم، ١٣٩٩هـ، العالمية الإسلامية الثانية، نشر دار المبرة، أبو ظبي.

١١٢- حسين محمد كامل ١٩٨٧، الطب عند العرب والمسلمين بدون تاريخ ومساهمات ط١، نشر الدار السعودية للنشر والتوزيع.

١١٣- حسين محمد كامل - ١٩٨٧، الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات ط١، نشر الدار السعودية للنشر والتوزيع.

١١٤- حسن محمد عبد الغني، ١٩٥٢، ابن سينا المترجم والمؤرخ، الناشر مجلة الثقافة دمشق، ٣٨ - ٤٠.

١١٥- خير الله أمين أسعد: ١٩٤٦ الطب العربي، نشر المطبعة الأميركانية بيروت.

١١٦- خير الله أمين أسعد، ١٩٤٦، الطب العربي، نشر المطبعة الأمير كانية، بيروت، ١٩٤٦.

١١٧- خضر فخري رشيد، بدون تاريخ، تطور الفكر التربوي ص ١٥٦.

١١٨- ديوي جون، ١٩٤٦، الديمقراطية والتربية، نشر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ص ٣٣٧.

١١٩- ديوي جون، فيلسوف أميركي معاصر توفي ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م وله كتب شهيرة وإليه تنسب طريقة المشروع، من أهم طرق

التربية العربية الديمقراطية والتربية – الطبعة الثانية.

١٢٠– روزنتال، ١٩٦١، مناهج العلماء والمسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس فريحة، بيروت، نشر دار الثقافة ص ١٥٥ – ١٥٦.

١٢١– رضوان أبو الفتوح، ١٩٦٥، القومية العربية نشر لجنة البيان العربي القاهرة ص ٩٢ – ٢١٣.

١٢٢– زادة طاش كبرى ١٣٢٨هـ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة– حيدر آباد.

١٢٣– زكريا فؤاد، ١٩٧٨، التفكير العلمي، نشر المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب ص ١٦٠.

١٢٤– سبنسر هربرت، ١٩٨٢، ١٩٠٣، هو من أكبر فلاسفة التربية في انكلترا، وله كثير من الآراء في التربية، وقد هذب رأي روسو في العقوبة الطبيعية.

١٢٥– سارتون جورج ١٩٥٩، العلم القديم والمدينة الحديثة، ترجمة عبد الحميد صبرة، نشر مكتبة النهضة، ص ٢١٧.

١٢٦– سارتون جورج، ١٩٥٩، العلم القديم والمدينة الحديثة، الناشر، مكتبة النهضة، ترجمة عبد الحميد صيرة، ص ٢١٧.

١٢٧– سليمان حسن فتحيه، بدون تاريخ، مذاهب في التربية، المذهب التربوي عند ابن خلدون، الناشر، دار الهنا للطباعة والنشر، القاهرة، ص٣.

١٢٨– شلق علي/٢٠٠٣ أبو حيان التوحيدي، نشر الدار العربية للعلوم ص ٣٨ – ٤٠.

١٢٩– شيخ الأرض تيسير: ١٩٦٢، ابن سينا بيروت، نشر دار الشرق الجديد، ص ١٦٨.

١٣٠– شلبي أحمد: بدون تاريخ تاريخ التربية الإسلامية ص ٢٩٩.

١٣١– شمس الدين عبد الأمير، المذهب التربوي عند ابن سينا من خلال فلسفته العملية.

١٣٢– شلبي أحمد بدون تاريخ، تاريخ التربية الإسلامية، ص ٢٩٩.

١٣٣– شلق علي، ٢٠٠٣، أبو حيان التوحيدي، الناشر، الدار العربية للعلوم، ص ٣٤، ٣٥.

١٣٤– صليبا جميل، ١٩٣٧، ابن سينا، الناشر، مكتبة النشر العربي، دمشق، ص ٢.

١٣٥– طوطح خليل ١٩٣٥، التربية عند العرب، القدس نشر المطبعة التجارية ص ٩٩ – ١٠٥.

١٣٦– عبد اللطيف محمود، ٢٠٠٧، التراث العربي الإسلامي في مجال الفكر التربوي، ج٢، الفكر التربوي عند الفارابي، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب.

١٣٧– علي محمد كرد، ١٩٣٤، الإسلام والحضارة العربية، دار الكتب المصرية، ص ٢١ – ٢٨٩.

١٣٨– عبد اللطيف محمود، ٢٠٠٧، الفكر التربوي عند الفارابي، نشر وزارة الثقافة، ج٢، ص١٤٢.

١٣٩– عيسى أحمد ١٩٨٢، معجم الأطباء، ط٢، نشر دار الرائد العربي، بيروت.

١٤٠– عبد اللطيف محمود ٢٠٠١، التعبير وطرائق التدريس، نشر دار الجمهورية ص ٧٨.

١٤١– عرقسوسي محمد خير، ١٩٨٢، ابن سينا والنفس الإنسانية، نشر مؤسسة الرسالة.

١٤٢– عبد الكريم عبد الله، بدون تاريخ التربية عبر التاريخ ص ١٩٠.

١٤٣– عبد الرحمن عبد الرحمن، ٢٠٠٢، الفكر التربوي الإسلامي، نشر دار الفكر العربي.

١٤٤– عبد الله عبد الرحمن، ١٩٨٨، دار الفكر التربوي الإسلامي، نشر مؤسسة الرسالة، دار النشر ص ١٢٠، ١٦٦.

١٤٥– عبد اللطيف محمود: ٢٠٠٥، الفكر التربوي عند الفارابي، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة ص ١١٣.

١٤٦– عبد اللطيف محمود: الفكر التربوي عند الفارابي، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة ص ١٠٤.

١٤٧- عبد الموجود محمد عزت ١٩٧٩: أساسيات المنهج وتنظيماته ط١، نشر دار الثقافة والطباعة والنشر، القاهرة.

١٤٨- عرقسوسي، محمد خير، ١٩٨٢، ابن سينا والنفس الإنسانية، نشر مؤسسة الرسالة بيروت ط١ ص ٤٩.

١٤٩- عيون الأنباء: ج٢ ص ١٨ الوافي بالوفيات ج١٢ ص ٤٠٤.

١٥٠- عطية محمد الأبراشي، ١٩٤٣، روح التربية والتعليم.

١٥١- عبد اللطيف محمود، ٢٠٠٧، الفكر التربوي عند الفارابي، نشر وزارة الثقافة، ص ١٣١.

١٥٢- علي محمد كرد، ١٩٦٩، البيان، نشر دار الأمانة بيروت.

١٥٣- علي محمد كرد، ١٩٦٩، البيان، نشر دار الأمانة، بيروت.

١٥٤- عبد الرحمن عبد الرحمن، ١٩٨٨، الفكر التربوي الإسلامي، الناشر، دار البشر، القاهرة ص ١٠٤.

١٥٥- عرقسوسي محمد خير، ١٩٨٢، ابن سينا والنفس الإنسانية، الناشر، مؤسسة الرسالة بيروت، ص ١٠٨، ٤٦.

١٥٦- عبد اللطيف محمود، ٢٠٠٥، الفكر التربوي عند الجاحظ، الناشر، وزارة الثقافة، ص ٦٣.

١٥٧- عبد اللطيف محمود، ٢٠٠٧، الفكر التربوي عند الفارابي، الناشر، وزارة الثقافة، ص ١٨.

١٥٨- عبد الدايم عبد الله، ١٩٠ - ١٩٥، التربية عبر التاريخ.

١٥٩- عرقسوسي محمد خير، ١٩٨٢، ابن سينا والنفس الإنسانية، الناشر، مؤسسة الرسالة بيروت، ص ٢٣، ٢٤.

١٦٠- غنيمة محمد عبد الرحيم، ١٩٥٣، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، نشر دار الطباعة المغربية ص ١٣٣ - ١٤١.

١٦١- قنواني جورج شحاتة ١٩٦٦، ابن سينا أسبوع العلم العشرون نشر مطبعة الكتاب العربي دمشق ص ١٥.

١٦٢- قنواتي جورج شحادة ١٩٨١، ابن سينا «أسبوع العلم العشرون» نشر مطبعة الكتاب العربي دمشق ١٩٨١ ص ٦٧.

١٦٣- قاسم محمود، ١٩٦٩، السماء والعالم والكون والفساد والأفعال والانفعالات، ص ١٣١.

١٦٤- قنواتي جورج شحاته، ١٩٥٠، مؤلفات ابن سينا، الناشر، دار المعارف بمصر ص ٧ - ٨.

١٦٥- قنواتي جورج شحاته، ١٩٨١، ابن سينا في أسبوع العلم العشرون، الناشر، مطبعة الكتاب العربي، دمشق ص ٦٧ و٦٨.

١٦٦- قيمر يوحنا ١٩٨٥، فلاسفة العرب (ابن سينا) الناشر، المطبعة الكاثوليكية، لبنان ص ٨.

١٦٧- كانط فيلسوف ألماني يعد من أعظم الفلاسفة المحدثين ولد سنة ١٧٢٤م وتوفي سنة ١٨١٤ ويقال إنه كان من أصل اسكتلندي.

١٦٨- كعدان عبد الناصر بدون تاريخ، العناية بالطفل وتربيته عند ابن سينا ص٢.

١٦٩- كرويي، بدون تاريخ، من أعلام مؤرخي تاريخ العلوم، ص ٨٥ - ٨٦.

١٧٠- كرسون أزريسه: ١٩٥٢، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة عبد الحليم محمود أبو بكر زكوي، نشر دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ص ٣٦.

١٧١- كرد علي محمد، ١٩٤٦، تحقيق، تاريخ حكماء الإسلام، الناشر، مطبعة الترقي، دمشق ص ١٠٢ و١٠٣.

١٧٢- لوبون جوستاف، ١٩٤٥، حضارة العرب ٤٢٦، ٤٥٩.

١٧٣- لوبون جوستاف: حضارة العرب، ترجمة محمد عادل زعيترة القاهرة، دار إحياء الكتب العربي ص ٤٥٧ - ٥٥٩.

١٧٤- لوتزي نسبا، ١٧٤٦، ١٨٢٨م، ولد بمدينة زيوريخ بسويسرا، له آثار خالدة في علم التربية.

١٧٥- ماجد عبد المنعم: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، نشر مكتبة وهبه القاهرة، ١٤٦.

١٧٦- مدكور إبراهيم، ١٣٦٧هـ، في الفلسفة الإسلامية، منهج وتطبيق نشر دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ص ٢١٤ - ٢١٧.

١٧٧- موسى محمد يوسف، ١٩٥٠، مقال «في الأخلاق» مجلة الكتاب - القاهرة، عدد نيسان ص ٤٥٥ - ٤٦٢.

١٧٨- محمد محمود الحاج قاسم، ١٩٧١، تاريخ طب الأطفال عند العرب، نشر دار الحرية للطباعة بغداد.

١٧٩- منجد صلاح الدين، بدون تاريخ، الإسلام والعقل.

١٨٠- مطاوع إبراهيم عصمت، ١٩٧٩، أصول التربية نشر دار المعارف بمصر.

١٨١- نحلاوي عبد الرحمن، بدون تاريخ، علم النفس كلية الشريعة ص ٤٤.

١٨٢- نحلاوي عبد الرحمن بدون تاريخ، الفكر التربوي الإسلامي، نشر دار الفكر دمشق، ٢٠٠ ص ١٤.

١٨٣- نادر ألبير نصري بدون تاريخ، النفس الإنسانية عند ابن سينا.

١٨٤- نظمي محمد عزيز، ١٩٧٢، القيم الجمالية، نشر دار المعارف بمصر.

١٨٥- يوسف الباشا، ١٩٤٥، فلسفة المتكلمين القاهرة، نشر مطبعة شبر الغنية ص ٥١.

المراجع باللغة الأجنبية

1 – The works of Aristotle translated to English under the aditor ship of sir David Ross. Akfordl18.
- RovesR – Dictiovary of Philosophy New york 1942.

2 – Supplement oux dictionvairesorabes liede /88/.

3 – 1B. N Sina، Eglur، Essa isur L'Hhist – orire de la Critiquse chey lesgresc paris 1886.

4 – Bachenshifo amailoGical Freiburge 1942.

5 – Rishard walzer. Greek into Arabic. OxFord. Bru roco ssiner. 1962. p. 6. f tz.

فهرس

الصفحة

الصفحة

الباب الثاني

الصفحة
